



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شرح منج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمّد أبو الفضل البراءى

(١٨)

دار النهضة العربية
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ٨ | شرح نهج البلاغه المجلد ٧ |
| ٨ | اشاره |
| ١٠ | اشاره |
| ١٢ | تتمه الخطب و الأوامر |
| ١٢ | اشاره |
| ١٢ | تتمه خطبه ٩٠ |
| ١٢ | اشاره |
| ١٦ | القول فى عصمه الأنبياء |
| ١٦ | اشاره |
| ١٧ | الفصل الأول فى حال الأنبياء قبل البعثه و من الذى يجوز أن يرسله الله تعالى إلى العباد |
| ٢٠ | الفصل الثانى فى عصمه الأنبياء فى زمن النبوه عن الذنوب فى أفعالهم و تروكهم عدا ما يتعلق بتبليغ الوحى و الفتوى فى الأحكام |
| ٢٧ | الفصل الثالث فى خطئهم فى التبليغ و الفتاوى |
| ٤٢ | ٩١ و من كلام له ع لما أراه الناس على البيعه بعد قتل عثمان رضى الله عنه |
| ٤٢ | اشاره |
| ٤٤ | فصل فيما كان من أمر طلحه و الزبير عند قسم المال |
| ٥٣ | ٩٢ و من خطبه له ع |
| ٥٣ | اشاره |
| ٥٦ | فصل فى ذكر أمور غيبية أخبر بها الإمام ثم تحققت |
| ٧٣ | ٩٣ و من خطبه له ع |
| ٨٠ | ٩٤ و من خطبه له ع |
| ٨١ | ٩٥ و من خطبه له ع |
| ٨٤ | ٩٦ و من كلام له ع |
| ٩٣ | ٩٧ و من كلام له ع |

- ٩٨ و من خطبه له ع ٩٥
- ٩٩ و من خطبه له ع ٩٩
- اشاره ٩٩
- أقوال مأثوره فى مدح الأناه و ذم العجله ١٠١
- فصل فى مدح قله الكلام و ذم كثرته ١٠٢
- ١٠٠ و من خطبه له ع و هى من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم ١١٤
- ١٠١ و من خطبه له ع تجرى هذا المجرى ١٢٠
- ١٠٢ و من خطبه له ع ١٢٣
- ١٠٣ و من خطبه له ع ١٣٤
- ١٠٤ و من خطبه له ع ١٣٧
- اشاره ١٣٧
- هزيمه مروان بن محمّد فى موقعه الزاب ثم مقتله بعد ذلك ١٤١
- شعر عبد الله بن عمرو العبلى فى رثاء قومه ١٤٣
- أنفه بن مسلمه بن عبد الملك ١٤٤
- مما قيل من الشعر فى التحريض على قتل بنى أميّه ١٤٥
- أخبار متفرقه فى انتقال الملك من بنى أميّه إلى بنى العباس ١٤٨
- ١٠٥ و من خطبه له ع ١٩١
- ١٠٦ و من كلام له ع فى بعض أيام صفين ١٩٩
- ١٠٧ و من خطبه له ع و هى من خطب الملاحم ٢٠١
- اشاره ٢٠١
- فصل فى التقسيم و ما ورد فيه من الكلام ٢٠٤
- ١٠٨ و من خطبه له ع ٢١٤
- اشاره ٢١٤
- فصل فى الكلام على الالتفات ٢١٦
- موازنه بين كلام الإمام على و خطب ابن نباته ٢٣١
- ١٠٩ و من خطبه له ع ٢٤٣

| | |
|-----|---|
| ٢٤٨ | و من خطبه له ع |
| ٢٥٩ | و من خطبه له ع يذكر فيها ملك الموت و توفيه الأنفس |
| ٢٥٩ | اشاره |
| ٢٦١ | فصل فى التخلص و سياق كلام للشعراء فيه |
| ٢٦٣ | فصل فى الاستطراد و إيراد شواهد للشعراء فيه |
| ٢٦٨ | و من خطبه له ع |
| ٢٧٢ | و من خطبه له ع |
| ٢٨٥ | و من خطبه له ع فى الاستسقاء |
| ٢٨٥ | اشاره |
| ٢٩٠ | صلاة الاستسقاء و آدابها |
| ٢٩٣ | أخبار و أحاديث فى الاستسقاء |
| ٣٠٠ | و من خطبه له ع |
| ٣٠٦ | و من كلام له ع |
| ٣٠٨ | و من كلام له ع |
| ٣٠٩ | و من كلام له ع و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا |
| ٣١٢ | و من كلام له ع |
| ٣١٥ | و من كلام له ع |
| ٣٢١ | و من كلام له ع قاله للخوارج |
| ٣٢٤ | و من كلام له ع قاله لأصحابه فى ساعه الحرب بصفين |
| ٣٢٨ | و من كلام له ع |
| ٣٣١ | فهرس الخطب |
| ٣٣٤ | فهرس الموضوعات |
| ٣٣٦ | تعريف مركز |

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدیدآور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدیدآور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] / ابن ابی الحدید

وضعیت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسملة. و منه الاستعانه و توفیق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين علی علیه السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فی ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقير... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالديه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴ - صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الواحد العدل

تتمه خطبه ٩٠ (١)

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَ خَيْرَهُ (٢) مِنْ خَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ وَ أَسَكَّنَهُ جَنَّتَهُ وَ أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ وَ الْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاهُ لِسَابِقِ عِلْمِهِ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمَرَ أَرْضَهُ بِسَيِّلِهِ وَ لِيُقِيمَ الْحُجَّهَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّهَ رَبُّوبِيَّتِهِ وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَّجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ مُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ص حُجَّتُهُ وَ بَلَغَ الْمَقْطَعُ عُذْرَهُ وَ نُذْرَهُ .

مهّد أرضه

سوّاها و أصلحها و منه المهاد و هو الفراش و مهّدت الفراش بالتخفيف مهّدا أى بسطته و وطّأته و قوله خيره من خلقه على فعله مثل عنبه الاسم

ص: ٣

١- (*) بقيه الخطبه التسعين؛ و أولها في الجزء السادس ص ٣٩٨.

٢- (١) مخطوطه النهج: «خيره»، بالتسكين.

من قولك اختاره الله يقال محمد خيره الله من خلقه و يجوز خيره الله بالتسكين و الاختيار الاصطفاء .

و الجبله الخلق و منه قوله تعالى وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّ الْأُولِينَ (١) و يجوز الجبله بالضم و قرأ بها الحسن البصرى و قرئ قوله سبحانه وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا (٢) على وجوه فقرأ أهل المدينة بالكسر و التشديد و قرأ أبو عمرو جبلا كثيرا مثل قفل و قرأ الكسائى جبلا كثيرا بضم الباء مثل حلم و قرأ عيسى بن عمر جبلا بكسر الجيم و قرأ الحسن و ابن أبى إسحاق جبلا بالضم و التشديد .

قوله و أرغد فيها أكله أى جعل أكله و هو المأكول رغدا أى واسعا طيبا قال سبحانه وَ كَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا (٣) و تقرأ رغدا و رغدا بكسر الغين و ضمها و أرغد القوم أخصبوا و صاروا فى رغد من العيش .

قوله و أوعز إليه فيما نهاه عنه أى تقدم إليه بالإندار (٤) و يجوز و وعز إليه بالتشديد توعيزا و يجوز التخفيف أيضا وعز إليه وعزا .

و الواو فى و أعلمه عاطفه على و أوعز لا على نهاه .

قوله موافاه لسابق علمه لا يجوز أن ينتصب لأنه مفعول له و ذلك لأن المفعول له يكون عذرا و عله للفعل و لا يجوز أن يكون إقدام آدم على الشجره لأجل الموافاه للعلم الإلهى السابق و لا يستمر ذلك على مذاهبتنا بل يجب أن ينصب موافاه على

ص: ٤

١-١) سورة الشعراء ١٨٤.

٢-٢) سورة يس ٦٢.

٣-٣) سورة البقره ٣٥.

٤-٤) ب:«الإندار»، و ما أثبتته من ج،د.

المصدرية المحضه كأنه قال فوافي بالمعصيه موافاه و طابق بها سابق العلم مطابقه .

قوله فأهبطه بعد التوبه قد اختلف الناس فى ذلك فقال قوم بل أهبطه قبل التوبه ثم تاب عليه و هو فى الأرض و قال قوم تاب قبل الهبوط و هو قول أمير المؤمنين ع و يدل عليه قوله تعالى فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا (١) فأخبر عن أنه أهبطهم بعد تلقى الكلمات و التوبه و قال تعالى فى موضع آخر وَ طَفِقَا يَخْصِمُ فَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّم تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢). فبين أن اعترافهما بالمعصيه و استغفارهما كانا قبل أمرهما بالهبوط و قال فى موضع آخر وَ عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْبَأَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا (٣) فجعل الإهباط بعد الاجتباء و التوبه و احتج الأولون بقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ (٤) قالوا فأخبر سبحانه عن أمره لهم بالهبوط عقيب إزالال الشيطان لهما ثم عقب الهبوط بفاء التعقيب فى قوله فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فدل على أن التوبه بعد الهبوط.

ص: ٥

١- ١) سورة البقره ٣٨، ٣٧.

٢- ٢) سورة الأعراف ٢٢-٢٤.

٣- ٣) سورة طه ١٢١-١٢٣.

٤- ٤) سورة البقره ٣٥-٣٨.

و يمكن أن يجاب عن هذا فيقال إنه تعالى لم يقل فقلنا اهبطوا بالفاء بل قال وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بِالْوَاوِ وَالْوَاوِ لَا تَقْتَضِي الترتيب و لو كان عوضها فاء لكانت صريحه فى أن الإهباط كان عقيب الزله فأما الواو فلا تدلّ على ذلك بل يجوز أن تكون التوبه قبل الإهباط و يخبر عن الإهباط بالواو قبل أن يخبر عن التوبه .

قوله ع و ليقيم الحجه على عباده أى إذا كان أبوهم أخرج من الجنة بخطيئه واحده فأخلق بها ألا يدخلها ذو خطايا جمه و هذا يؤكد مذهب أصحابنا فى الوعيد .

ثم أخبر ع أن البارئ سبحانه ما أخلى عباده بعد قبض آدم و توفيه ممّا يؤكد عليهم حجج الربوبيه بل أرسل إليهم الرسل قرنا فقرنا بفتح القاف و هو أهل الزمان الواحد قال الشاعر إذا ما مضى القرن الذى أنت فيهم و خلفت فى قرن فأنت غريب (١) .

و تعاهدهم بالحجج أى جدد العهد عندهم بها و يروى بل تعهدهم بالتشديد و العهد التحفظ بالشىء تعهدت فلانا و تعهدت ضيعتى و هو أفصح من تعاهدت لأن التفاعل إنما يكون من شيئين و تقول فلان يتعهده صرع .

قوله و بلغ المقطع عذره و نذره مقطع الشىء حيث ينقطع و لا يبقى خلفه شىء منه أى لم يزل يبعث الأنبياء واحدا بعد واحد حتى بعث محمّدا ص فتمت به حجته على الخلق أجمعين و بلغ الأمر مقطعه أى لم يبق بعده رسول ينتظر

ص: ٦

وانتهت عذر الله تعالى و نذره فعذره ما بين للمكلفين من الإعدار في عقوبته لهم إن عصوه و نذره ما أنذرهم به من الحوادث و من أنذرهم على لسانه من الرسل

القول في عصمه الأنبياء

إشاره

و اعلم أن المتكلمين اختلفوا في عصمه الأنبياء و نحن نذكر هاهنا طرفا من حكاية المذاهب في هذه المسأله على سبيل الاقتصاص و نقل الآراء لا على سبيل الحجاج و نخص قصه آدم ع و الشجره بنوع من النظر إذ كانت هذه القصه المذكوره في كلام أمير المؤمنين ع في هذا الفصل فنقول:

اختلف الناس في المعصوم ما هو فقال قوم المعصوم هو الذى لا يمكنه الإتيان بالمعاصى و هؤلاء هم الأقلون أهل النظر و اختلفوا في عدم التمكن كيف هو فقال قوم منهم المعصوم هو المختص فى نفسه أو بدنه أو فيهما بخاصيه تقضى امتناع إقدامه على المعاصى.

و قال قوم منهم بل المعصوم مساو فى الخواص النفسيه و البدنيه لغير المعصوم و إنما العصمه هى القدره على الطاعه أو عدم القدره على المعصيه و هذا قول الأشعرى نفسه و إن كان كثير من أصحابه قد خالفه فيه.

و قال الأكثرون من أهل النظر بل المعصوم مختار متمكن من المعصيه و الطاعه.

و فسروا العصمه بتفسيرين أحدهما أنها أمور يفعلها الله تعالى بالمكلف فتقتضى ألا يفعل المعصيه اقتضاء

غير بالغ إلى حدّ الإيجاب و فسروا هذه الأمور فقالوا إنها أربعه أشياء أولها أن يكون لنفس الإنسان ملكه مانعه من الفجور داعيه إلى العفه و ثانيها العلم بمثالب المعصيه و مناقب الطاعه و ثالثها تأكيد ذلك العلم بالوحي و البيان من الله تعالى و رابعها أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان و السهو لم يترك مهملاً بل يعاقب و ينبه و يضيق عليه العذر قالوا فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الشخص معصوماً عن المعاصي لا محاله لأن العفه إذا انضاف إليها العلم بما في الطاعه من السعاده و ما في المعصيه من الشقاوه ثم أكد ذلك تتابع الوحي إليه و ترادفه و تظاهر البيان عنده و تمم ذلك خوفه من العتاب على القدر القليل حصل من اجتماع هذه الأمور حقيقه العصمه.

و قال أصحابنا (١) العصمه لطف يمتنع المكلف عند فعله من القبيح اختياراً و قد يكون ذلك اللطف خارجاً عن الأمور الأربعة المعدوده مثل أن يعلم الله تعالى أنه إن أنشأ سحاباً أو أهب ريحاً أو حرك جسماً فإن زيدها يمتنع عن قبيح مخصوص اختياراً فإنّه تعالى يجب عليه فعل ذلك و يكون هذا اللطف عصمه لزيد و إن كان الإطلاق المشتهر في العصمه إنما هو لمجموع ألطاف يمتنع المكلف بها عن القبيح مده زمان تكليفه.

و ينبغي أن يقع الكلام (٢) بعد هذه المقدّمه في ثلاثه فصول

الفصل الأول في حال الأنبياء قبل البعثه و من الذي يجوز أن يرسله الله تعالى إلى العباد

فالذي عليه أصحابنا المعتزله رحمهم الله أنه يجب أن ينزه النبيّ قبل البعثه عما كان فيه تنفير عن الحق الذي يدعو إليه و عما فيه غضاظه و عيب.

ص: ٨

١- ١) هو التفسير الثاني للعصمه.

٢- ٢) تكمله من ج، د.

فالأول نحو أن يكون كافرا أو فاسقا و ذلك لأننا نجد التائب العائد إلى الصلاح بعد أن عهد الناس منه السخف و المجون و الفسق لا يقع أمره بالمعروف و نهيهِ عن المنكر عند الناس موقعهما ممن لم يعهدوه إلا على السداد و الصلاح.

و الثاني نحو أن يكون حجاجا أو حائكا أو محترفا بحرفه يقذرها الناس و يستخفون بصاحبها إلا أن يكون المبعوث إليهم على خلاف ما هو المعهود الآن بالألا يكون من تعاطى ذلك مستهاناً به عندهم.

و وافق أصحابنا في هذا القوم جمهور المتكلمين.

و قال قوم من الخوارج يجوز أن يبعث الله تعالى من كان كافرا قبل الرسالة و هو قول ابن فورك (١) من الأشعريه لكنه زعم أن هذا الجائر لم يقع.

و قال قوم من الحشويه قد كان محمد ص كافرا قبل البعثة و احتجوا بقوله تعالى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٢) و قال برغوث المتكلم و هو أحد النجاريه (٣) لم يكن النبي ص مؤمنا بالله قبل أن يبعثه لأنه تعالى قال له مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ (٤).

و روى عن السدى في قوله تعالى وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزَرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٥) قال وزره الشرك فإنه كان على دين قومه أربعين سنه.

و قال بعض الكراميه (٦) في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ص

ص: ٩

١-١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك؛ الأديب المتكلم الواعظ؛ ترجم له ابن عساكر في كتابه تبين كذب المفتري ص ٢٣٣، ٢٣٢.

٢-٢) سورة الضحى ٦.

٣-٣) النجاريه أصحاب الحسين بن محمد النجار؛ و محمد بن عيسى الملقب ببرغوث من رجالهم؛ و انظر الشهرستاني ٨٢، ٨١:١.

٤-٤) سورة الشورى ٥٢.

٥-٥) سورة الشرح ٢.

٦-٦) الكراميه؛ أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام؛ و انظر تفصيل آرائهم في الشهرستاني ٩٩:١-١٤٠.

إنّه أسلم يومئذ و لم يكن من قبل ذلك مسلما و مثل ذلك قال اليمان بن رباب متكلم الخوارج . و حكى كثير من أرباب المقالات عن شيخنا أبى الهذيل و أبى على جواز أن يبعث الله تعالى من قد ارتكب كبيره قبل البعثة و لم أجد فى كتب أصحابنا حكاية هذا المذهب عن الشيخ أبى الهذيل و وجدته عن أبى على ذكره أبو محمد بن متويه فى كتاب الكفايه فقال منع أهل العدل كلهم من تجويز بعثه من كان فاسقا قبل النبوه إلا ما جرى فى كلام الشيخ أبى على رحمه الله تعالى من ثبوت فصل بين البعته و قبلها فأجاز أن يكون قبل البعته مرتكبا لكبيره ثم يتوب فيبعثه الله تعالى حينئذ و هو مذهب محكى عن عبد الله بن العباس الرامهرمزي ثم قال الشيخ أبو محمد رحمه الله تعالى و الصحيح من قول أبى على رحمه الله تعالى مثل ما نختاره من التسويه بين حال البعته و قبلها فى المنع من جواز ذلك.

و قال قوم من الأشعريه و من أهل الظاهر و أرباب الحديث إن ذلك جائز واقع و استدلوا بأحوال إخوه يوسف و منع المانعون من ذلك من ثبوت نبوه إخوه يوسف ثم هؤلاء المجوزون منهم من جوز عليهم فعل الكبائر مطلقا و منهم من جوز ذلك على سبيل الندره ثم يتوبون عنه و يشتهر حالهم بين الخلق بالصلاح فأما لو فرضنا (٢) إصرارهم على الكبائر بحيث يصيرون مشهورين بالفسق و المعاصى فإن ذلك لا يجوز لأنه يفوت الغرض من إرسالهم و نبوتهم على هذا التقدير.

و قالت الإماميه لا يجوز أن يبعث الله تعالى نبيا قد وقع منه قبيح قبل النبوه

١- ١) من قوله تعالى فى سورة البقره ١٣١: إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . .

٢- ٢) ب: «لو فرض» و ما أثبتته من ج، د.

لا صغيرا ولا كبيرا لا عمدا ولا خطأ ولا على سبيل التأويل والشبهه وهذا المذهب مما تفردوا به فإن أصحابنا وغيرهم من المانعين للكبائر قبل النبوه لم يمنعوا وقوع الصغائر منهم إذا لم تكن مسخفه منفره.

اطردت الإماميه هذا القول فى الأئمه فجعلت حكمهم فى ذلك حكم الأنبياء فى وجوب العصمه المطلقه لهم قبل النبوه وبعدها

الفصل الثانى فى عصمه الأنبياء فى زمن النبوه عن الذنوب فى أفعالهم و تروكهم عدا ما يتعلق بتبليغ الوحي و الفتوى فى الأحكام

جوز قوم من الحشويه عليهم هذه الكبائر و هم أنبياء كالزنا و اللواط و غيرهما و فيهم من جوز ذلك بشرط الاستسرار دون الإعلان و فيهم من جوز ذلك على الأحوال كلها.

و منع أصحابنا المعتزله من وقوع الكبائر منهم ع أصلا و منعوا أيضا من وقوع الصغائر المسخفه منهم و جوزوا وقوع الصغائر التى ليست بمسخفه منهم ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبى الإقدام على المعصيه الصغيره غير المسخفه عمدا (1) و هو قول شيخنا أبى هاشم رحمه الله تعالى فإنه أجاز ذلك و قال إنه لا يقدم ع على ذلك إلا على خوف و وجل و لا يتجرأ على الله سبحانه.

و منهم من منع من تعمد إتيان الصغيره و قال إنهم لا يقدمون على الذنوب التى يعلمونها ذنوبا بل على سبيل التأويل و دخول الشبهه و هذا قول أبى على رحمه الله تعالى.

ص: ١١

(١-١) كذا فى ج، د، و فى ب: «عملا».

و حكى عن أبى إسحاق النظام و جعفر بن مبشر أن ذنوبهم لا تكون إلا على سبيل السهو و النسيان و أنهم مؤاخذون بذلك و إن كان موضوعا عن أمتهم لأن معرفتهم أقوى و دلائلهم أكثر و أخطارهم أعظم و يتهاى لهم من التحفظ ما لا يتهاى لغيرهم.

و قالت الإمامية لا تجوز عليهم الكبائر و لا الصغائر لا عمدا و لا خطأ و لا سهوا و لا على سبيل التأويل و الشبهه و كذلك قولهم فى الأئمة و الخلاف بيننا و بينهم فى الأنبياء يكاد يكون ساقطا لأن أصحابنا إنما يجوزون عليهم الصغائر لأنه لا عقاب عليها و إنما تقتضى نقصان الثواب المستحق على قاعدتهم فى مسأله الإحباط فقد اعترف إذا أصحابنا بأنه لا يقع من الأنبياء ما يستحقون به ذما و لا عقابا و الإمامية إنما تنفى عن الأنبياء الصغائر و الكبائر من حيث كان كل شىء منها يستحق فاعله به الذم و العقاب لأن الإحباط باطل عندهم فإذا كان استحقاق الذم و العقاب يجب أن ينفى عن الأنبياء و يجب أن ينفى عنهم سائر الذنوب فقد صار الخلاف إذا متعلقا بمسأله الإحباط و صارت هذه المسأله فرعا من فروعها.

و اعلم أن القول بجواز الصغائر على الأنبياء بالتأويل و الشبهه على ما ذهب إليه شيخنا أبو على رحمه الله تعالى إنما اقتضاه تفسيره لآيه آدم و الشجره و تكلفه إخراجها عن تعمد آدم للعصيان فقال إن آدم نهى عن نوع تلك الشجره لا عن عينها بقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ و أراد سبحانه نوعها المطلق فظن آدم أنه أراد خصوصيه تلك الشجره بعينها و قد كان أشير إليها فلم يأكل منها بعينها و لكنه أكل من شجره أخرى من نوعها فأخطأ فى التأويل و أصحاب شيخنا أبى هاشم لا يرضون هذا المذهب و يقولون إن الإشكال باق بحاله لأن آدم أحل بالنظر على

هذا القول فى أن المنهى عنه هل هو عين الشجره أو نوعها مع أنه قد كان مدلولاً على ذلك لأنه لو لم يكن مدلولاً على ذلك لكان تكليف الامتناع عن تناول تكليف ما لا يطاق و إذا دل على ذلك وجب عليه النظر و لا وجه يجب النظر لأجله إلا الخوف من تركه و إذا لم يكن بد من كونه خائفا فهو عالم إذا بوجوب هذا التأمل و النظر فإذا أخل به فقد وقعت منه المعصيه مع علمه.

و كما لا يرضى أصحاب شيخنا أبى هاشم هذا المذهب فكذلك لا يرتضون مذهب النظام و جعفر بن مبشر و ذلك لأن القول بأن الأنبياء يؤاخذون على ما يفعلونه سهوا متناقض لأن السهو يزيل التكليف و يخرج الفعل من كونه ذنباً مؤاخذاً به و لهذا لا يصح مؤاخذه المجنون و النائم و السهو فى كونه مؤثراً فى رفع التكليف جار مجرى فقد القدر و الآلات و الأدله فلو جاز أن يخالف حال الأنبياء حال غيرهم فى صحه تكليفهم مع السهو جاز أن يخالف حالهم حال غيرهم فى صحه التكليف مع فقد القدر و الآلات و ذلك باطل.

و اعلم أن الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قد تكلم فى كتابه المسمى بتنزيه الأنبياء و الأئمه على هذه الآيه و انتصر لمذهب الإماميه فيها (١) و حاول صرفها عن ظاهرها و تأول اللفظ بتأويل مستكره غير صحيح و أنا أحكى كلامه هاهنا و أتكلم عليه نصره لأصحابنا و نصره أيضاً لأئمه المؤمنين ع فإنه قد صرح فى هذا الفصل بوقوع الذنب من آدم ع ألام ترى إلى قوله و المخاطره بمنزلته و هل تكون هذه اللفظه إلا فى الذنب و كذلك سياق الفصل من أوله إلى آخره إذا تأمله المنصف و اطرح الهوى و التعصب ثم إنا نذكر كلام (٢) السيد الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قال رحمه الله تعالى

ص: ١٣

١-١) تكمله من ج،د.

١-٢) تكمله من ج،د.

أما قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ مَخَالَفَهُ لِلأَمْرِ (١) و الأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب و بالندب معا فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم مندوبا إلى ترك تناول من الشجره فيكون بمواقعتها تاركا فرضا و نفلا و غير فاعل قبيحا و ليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك الواجب فإن تسميه من خالف ما أمر به سواء كان واجبا أو نفلا بأنه عاص ظاهر و لهذا يقولون أمرت فلانا بكذا و كذا من الخير فعصاني و خالفني و إن لم يكن ما أمر به واجبا (٢).

يقال له الكلام على هذا التأويل من وجوه أولها أن ألفاظ الشرع يجب أن تحمل على حقائقها اللغويّه ما لم يكن لها حقائق شرعيه فإذا كان لها حقائق شرعيه وجب أن تحمل على عرف الشرع و اصطلاحه كالصلاه و الحجّ و النفاق و الكفر و نحو ذلك من الألفاظ الشرعيه و هكذا قال السيّد المرتضى رحمه الله تعالى في كتابه في أصول الفقه المعروف بالذريعه في باب كون الأمر للوجوب و هو الحق الذي لا مندوحة عنه و إذا كان لفظ العصيان في الاصطلاح الشرعي موضوعا لمخالفه الأمر الإيجابي لم يجز العدول عنه و حمله على مخالفه الندب.

و معلوم أن لفظ العصيان في العرف الشرعي لا يطلق إلا على مخالفه الأمر المقتضى للوجوب فالقول بجواز حملها على مخالفه الأمر الندبي قول تبطله و تدفعه تلك القاعده المقرره التي ثبتت بالاتفاق و بالدليل على أننا قبل أن نجيب بهذا الوجه نمنع أصلا أنه يجوز أن يقال لتارك النفل إنه عاص لا في أصل اللغه و لا في العرف و لا في الشرع و ذلك لأن حقيقه النفل هو ما يقال فيه للمكلف الأولى أن تفعل هذا و لك ألا تفعله و معلوم أن

ص: ١٤

١ - ١) العبارة في كتاب تنزيه الأنبياء بعد ذكر الآيه «...قالوا: و هذا تصريح بوقوع المعصيه التي لا تكون إلا قبيحه؛ و أكده بقوله: «فغوى»، و الغي ضد الرشد. الجواب: يقال لهم: أما المعصيه...».

٢ - ٢) تنزيه الأنبياء ٩.

تارك مثل ذلك لا يطلق عليه أنه عاص و يبين ذلك أن لفظ العصيان فى اللغة موضوع للامتناع و لذلك سميت العصا عصا لأنه يمتنع بها و منه قولهم قد شق العصا أى خرج عن الربقة المانعه من الاختلاف و التفرق و تارك الندب لا يمتنع من أمر لأن الأمر الندبى لا يقتضى شيئا اقتضاء اللزوم بل معناه إن فعلت فهو أولى و يجوز ألا تفعل فأى امتناع حدث إذا خولف أمر الندب سمي المخالف له عاصيا و يبين ذلك أيضا أن لفظ عاص اسم ذمّ فلا يجوز إطلاقه على تارك الندب كما لا يسمى فاسقا و إن كان الفسق فى أصل اللغة للخروج.

ثم يسأل المرتضى رحمه الله تعالى عما سأل عنه نفسه فيقال له كيف يجوز أن يكون ترك الندب معصيه أ و ليس هذا يوجب أن يوصف الأنبياء بأنهم عصاه فى كل حال و أنهم لا ينفكون عن المعصيه لأنهم لا يكادون ينفكون من ترك الندب (١).

و قد أجاب رحمه الله تعالى عن هذا فقال وصف تارك الندب بأنه عاص توسع و تجوز و المجاز لا يقاس عليه و لا يعدى عن موضعه و لو قيل إنه حقيقه فى فاعل القبيح و تارك الأولى و الأفضل (٢) لم يجز إطلاقه فى الأنبياء إلا مع التقييد لأن استعماله قد كثر فى فاعل القبائح فإطلاقه عن التقييد موهم.

لكننا نقول إن أردت بوصفهم بأنهم عصاه أنهم فعلوا القبيح فلا يجوز ذلك و إن أردت أنهم تركوا ما لو فعلوه لاستحقوا الثواب و لكان أولى فهم كذلك.

كذلك يقال له ليس هذا من باب القياس على المجاز الذى اختلف فيه أرباب أصول الفقه لأن من قال إذا ترك زيد الندب فإنه يسمى عاصيا يلزمه أن يقول إن عمرا إذا ترك الندب يسمى عاصيا و ليس هذا قياسا كما أن من قال لزيد البليد هذا

ص: ١٥

١-١) تنزيه الأنبياء ١٠.

٢-٢) من تنزيه الأنبياء.

حمار قال لعمر و البليد هذا حمار و القياس على المجاز الذى اختلف الأصوليون فى جوازه خارج عن هذا الموضوع.

و مثال المسأله الأصوليه المختلف فيها وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ (١) هل يجوز أن يقال طأطئ لهما عنق الذل.

و أما قوله لو سلّمنا أنه حقيقه فى تارك النذب لم يجز إطلاقه فى حقّ الأنبياء لأنه يوهم العصيان بل يجب أن يقيد.

فيقال له لكن البارئ سبحانه أطلقه و لم يقيده فى قوله وَ عَصَى آدَمُ فَيَلْزِمُكَ أَنْ يَكُونَ تَعَالَى مُوَهَّمًا وَ فاعلا للقيح لأن إيهام القبيح قبيح.

فإن قال الدلاله العقلية على استحاله المعاصى على الأنبياء تؤمن من الإيهام.

قيل له و تلك الدلاله بعينها تؤمن من الإيهام فى قول القائل الأنبياء عصاه فهلا أجزت إطلاق ذلك.

و ثانيها أنه تعالى قال فَغَوَى وَ الغى الضلال.

قال المرتضى رحمه الله تعالى معنى غوى هاهنا خاب لأنه نعلم أنه (٢) لو فعل ما ندب إليه من ترك تناول من الشجره لاستحق الثواب العظيم فإذا خالف الأمر و لم يصبر إلى ما ندب إليه فقد خاب لا محاله من حيث لم يصبر (٣) إلى الثواب الذى كان يستحقه بالامتناع و لا شبهه فى أن لفظ غوى يحتمل الخيبه قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما (٤).

ص: ١٦

١-١) سورة الإسراء ٢٤.

٢-٢) التنزيه: «لأنا نعلم».

٣-٣) ب: «فإذا خالف الأمر إلى و اندب إليه».

٤-٤) للمرقش، اللسان ٣٧٧: ١٩.

يقال له أ لست القائل في مصنفاتك الكلاميه إن المندوبات إنّما ندب إليها لأنها كالمسهلات و الميسرات لفعل الواجبات العقلية و أنّها ليست أطفافا في واجب عقلي و أن ثوابها يسير جدا بالإضافة إلى ثواب الواجب فإذا كان آدم ع ما أخل بشيء من الواجبات و لا فعل شيئا من المقبحات فقد استحق من الثواب العظيم ما يستحق ثواب المندوب بالإضافة إليه و مثل هذا لا يقال فيه لمن ترك المندوب إنه قد خاب أ لا- ترى أن من اكتسب مائه ألف قنطار من المال و ترك بعد ذلك درهما واحدا كان يمكنه اكتسابه فلم يكتسبه لا يقال إنه خاب.

و ثلثها أن ظاهر القرآن يخالف ما ذكره لأنه تعالى أخبر أن آدم منهي عن أكل الشجره بقوله **وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** و قوله **أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ** و هذا يوجب أنه قد عصى بأن فعل منها عنه و الشريف المرتضى رحمه الله تعالى يقول إنه عصى بأن ترك مأمورا به.

قال المرتضى رحمه الله تعالى مجيبا عن هذا إن الأمر و النهي ليسا يختصان (١) عندنا بصيغه ليس فيها احتمال و اشتراك و قد يؤمر عندنا بلفظ النهي و ينهى بلفظ الأمر و إنّما يكون النهي نهيا بكراهه المنهي عنه فإذا قال تعالى **وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ** و لم يكره قربهما لم يكن في الحقيقة ناهيا كما أنه تعالى لما قال **إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** (٢) و **إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** (٣) و لم يرد ذلك لم يكن أمرا به و إذا كان قد صحب قوله **وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ** إرادته ترك تناول و جب أن يكون هذا القول أمرا و إنّما سماه منها و سمي

ص: ١٧

١- (١) التنزيه: «أما النهي و الأمر معا فليسا...».

٢- (٢) سورة فصلت ٤٠.

٣- (٣) سورة المائدة ٢.

أمره له بأنه نهى من حيث كان فيه معنى النهى لأن في النهى ترغيباً في الامتناع من الفعل و تزهيدا في الفعل نفسه و لما كان الأمر ترغيباً من فعل المأمور و تزهيدا في تركه جاز أن يسمى نهياً.

و قد يتداخل هذان الوضعان في الشاهد فيقول أحدنا قد أمرت فلانا بالألا يلقي الأمير و إنما يريد أنه نهاه عن لقائه و يقول نهيتك عن هجر زيد و إنما معناه أمرتك بمواصلته (١).

يقال له هذا خلاف الظاهر فلا يجوز المصير إليه إلا بدلاله قاطعه تصرف اللفظ عن ظاهره و يكفي أصحاب أبي هاشم في نصره قولهم التمسك بالظاهر.

و اعلم أن بعض أصحابنا تأول هذه الآية و قال إن ذلك وقع من آدم ع قبل نبوته لأنه لو كان نبياً قبل إخراجه من الجنة لكان إما أن يكون مرسلًا إلى نفسه و هو باطل أو إلى حواء و قد كان الخطاب يأتيها بغير واسطه لقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبَا أَوْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَ هَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَسَلُ اللَّهِ بِدَلِيلٍ قَوْلُهُ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا (٢) وَ الرَسُولُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى رَسُولٍ آخَرَ أَوْ يَكُونُ رَسُولًا وَ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَرْسَلُ إِلَيْهِ وَ هَذَا مُحَالٌ فَثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ وَقَعَتْ لَهُ ع قَبْلَ نُبُوتِهِ وَ إِرسَالِهِ

الفصل الثالث في خطئهم في التبليغ و الفتاوى

قال أصحابنا إن الأنبياء معصومون من كل خطأ يتعلق بالأداء و التبليغ فلا يجوز

ص: ١٨

١-١) التنزيه ١١.

٢-٢) سورة فاطر ١.

عليهم الكذب و لا- التغيير و لا- التبديل و لا الكتمان و لا تأخر البيان عن وقت الحاجه و لا الغلط فيما يؤدونه عن الله تعالى و لا السهو فيه و لا الإلغاز و لا التعميه لأن كل ذلك إما أن ينقض دلاله المعجز على صدقه أو يؤدي إلى تكليف ما لا يطاق.

و قال قوم من الكراميه و الحشويه يجوز عليهم الخطأ فى أقوالهم كما جاز فى أفعالهم قالوا و قد أخطأ رسول الله ص فى التبليغ حيث قال تلك الغرائق العلى. و إن شفاعتهن لترتجى.

و قال قوم منهم يجوز الغلط على الأنبياء فيما لم تكن الحججه فيه مجرد خبرهم لأنه لا يكون فى ذلك إبطال حججه الله على خلقه كما وقع من النبى ص فى هذه الصوره فإن قوله ذلك ليس بمبطل لحججه العقل فى أن الأصنام لا- يجوز تعظيمها و لا ترجى شفاعتها فأما ما كان السبيل إليه مجرد السمع فلو أمكن الغلط فيه لبطلت الحججه بإخبارهم.

و قال قوم منهم إن الأنبياء يجوز أن يخطئوا فى أقوالهم و أفعالهم إذا لم تجر تلك الأفعال مجرى بيان الوحي كبيانه ع لنا الشريعه و لا- يجوز عليه الخطأ فى حال البيان و إن كان يجوز عليه ذلك فى غير حال البيان كما روى من خبر ذى اليمين (1) حين سها النبى ص فى الصلاه و كذلك ما يكون منه من تبليغ وحي فإنه لا- يجوز عليه أن يخطئ فيه لأنه حججه الله على عباده فأما فى أقواله الخارجه عن التبليغ فيجوز

ص: ١٩

١- ١) نقله أبو داود فى كتاب الصلاه ١:٣٦٣ بسنده عن أبى هريره قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم إحدى صلاتى العشى: الظهر أو العصر؛ قال: فصلى بنا ركعتين ثم سليم، ثم قام إلى خشبه فى مقدم المسجد فوضع يديه عليها؛ إحداهما على الأخرى، يعرف فى وجهه الغضب، ثم خرج سرعان الناس و هم يقولون: فصرت الصلاه! قصرت الصلاه! و فى الناس أبو بكر و عمر؛ فهاباه أن يكلماه، فقام رجل كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يسميه ذا اليمين؛ فقال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاه؟ فقال: «لم أنس و لم تقصر الصلاه»، قال: بل نسيت يا رسول الله، و أقبل رسول الله على القوم فقال: «أصدق ذو اليمين؟» فأومئوا: أى نعم، فرجع رسول الله إلى مقامه فصلى الركعتين الباقيتين ثم سلم ثم كبر و سجد مثل سجوده أو أطول. ثم رفع فكبر».

أن يخطئ كما روى عنه ص في نهيه لأهل المدينة عن تأبير النخل (١).

فأما أصحابنا المعتزلة فإنهم اختلفوا في الخبر المروي عنه ع في سورة النجم فمنهم من دفع الخبر أصلاً و لم يقبله و طعن في رواته و منهم من اعترف بكونه قرآناً منزلاً و هم فريقان أحدهما القائلون بأنه كان وصفاً للملائكة فلما ظنَّ المشركون أنه وصف آلهتهم رفع و نهى عن تلاوته و ثانيهما القائلون إنه خارج على وجه الاستفهام بمعنى الإنكار فتوهم سامعوه أنه بمعنى التحقيق فنسخه الله تعالى و نهى عن تلاوته.

و منهم من قال ليس بقرآن منزل بل هو كلام تكلم به رسول الله ص من قبل نفسه على طريق الإنكار و الهزء بقريش فظنوا أنه يريد التحقيق فنسخه الله بأن بين خطأ ظنهم و هذا معنى قوله و مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ (٢) قالوا فالقاء الشيطان هاهنا هو إلقاء الشبهه في قلوب المشركين و إنما أضافه إلى أمنيته و هي تلاوته القرآن لأن بغرور الشيطان و وسوسته أضاف المشركون إلى تلاوته ع ما لم يرده بها.

و أنكر أصحابنا الأخبار الواردة التي تقتضى الطعن على الرسول ص قالوا و كيف يجوز أن تصدق هذه الأخبار الآحاد على من قد قال الله تعالى له كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ (٣) و قال له سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٤) و قال عنه و لَوْ تَقَوَّلَ

ص: ٢٠

١- ١) رواه مسلم في كتاب الفضائل ٤:١٨٣٦ بسنده عن أنس: أن النبي صلى الله عليه و سلم مرّ بقوم يلحقون النخل؛ فقال: «لو لم يفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصاً (و هو اليسر الرديء) فمر بهم فقال: «ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا و كذا! قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

٢- ٢) سورة الحج ٥٢.

٣- ٣) سورة الفرقان ٣٢.

٤- ٤) سورة الأعلى ٦.

عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ

(١)

وَأَمَّا خَبْرُ ذِي الْيَدَيْنِ وَخَبْرُ تَأْبِيرِ النَّخْلِ فَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِمَا فِي كِتَابِنَا الْمَصْنُوفِ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَّمَهَا عَلَى الضُّيْقِ وَالسَّعَةِ - [فَعَدَّلَ]

فَعَدَّلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا وَيُخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَيْبِهَا وَفَقِيرِهَا ثُمَّ قَرَنَ بِسَبَبِهَا عَقَابِيلَ فَاقْتَبَلَهَا وَبَسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا وَبِفَرْجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا وَخَلَقَ الْأَجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا وَقَاطِعًا لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا .

الضُّيْقُ

وَالضُّيْقُ لُغْتَانِ فَأَمَّا الْمَصْدَرُ مِنْ ضَاقَ فَالضُّيْقُ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ وَعَدَلَ فِيهَا مِنَ التَّعْدِيلِ وَهُوَ التَّقْوِيمُ وَرُويَ فَعَدَلَ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الْعَدْلِ نَقِيضَ الظُّلْمِ .

وَالْمَيْسُورُ وَالْمَعْسُورُ مَصْدَرَانِ وَقَالَ سَيَبَوِيهٌ هُمَا صِفَتَانِ وَلَا يَجِيءُ عِنْدَهُ الْمَصْدَرُ عَلَى وَزْنِ مَفْعُولِ الْبَتِّهِ وَيَتَأَوَّلُ قَوْلَهُمْ دَعَا إِلَى مَيْسُورِهِ وَيَقُولُ كَأَنَّهُ قَالَ دَعَا إِلَى أَمْرِ يَوْسُرٍ فِيهِ وَكَذَلِكَ يَتَأَوَّلُ الْمَعْقُولُ أَيْضًا فَيَقُولُ كَأَنَّهُ عَقَلَ لَهُ شَيْءٌ أَيْ حَبَسَ وَأَيْدٍ وَسَدَدَ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَ لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا هُوَ مَعْنَى

١٤٨٩

قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى إِنَّ إِعْطَاءَ هَذَا الْمَالِ فِتْنَةٌ وَإِمْسَاكُهُ فِتْنَةٌ .

ص: ٢١

و العقابيل فى الأصل الحلا و هو قروح صغار تخرج بالشفه من بقايا المرض و الفاقه الفقر .

و طوارق الآفات متجددات المصائب و أصل الطروق ما يأتى ليلا .

و الأتراح الغموم الواحد ترح و ترحه تتريجا أى حزنه .

و خالجا جاذبا و الخلج الجذب خلجه يخلجه بالكسر و اختلجه و منه الخليج الجبل لأنه يجتذب به و سمي خليج البحر خليجا لأنه يجذب من معظم البحر .

و الأشطان الجبال واحدها شطن و شطنت الفرس أشطنه إذا شدته بالشطن .

و القرائن الجبال جمع قرن و هو من شواذ الجموع قال الشاعر أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه أن لدى الباب كالمشودود فى قرن (١) .

و مرائر القرائن جمع مرير و هو ما لطف و طال منها و اشتد فتله و هذا الكلام من باب الاستعاره عَالِمِ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَ نَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ وَ حَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ وَ عَقْدِ عَزِيمَاتِ اليَقِينِ وَ مَسَارِقِ إِيْمَاضِ الجُنُونِ وَ مَا ضَمِنْتَهُ أَكْنَانُ القُلُوبِ وَ غَيَابَاتُ العُيُوبِ وَ مَا أَصْرَعَتْ لاسْتِرَاقِهِ مَصَائِحُ الأَسْمَاعِ وَ مَصَائِفِ الدَّرِّ وَ مَشَاتِي الهَوَامِّ وَ رَجْعِ الحَنِينِ مِنَ المُولَهَاتِ وَ هَمْسِ الأَقْدَامِ وَ مُنْفَسِحِ التَّمَرَةِ مِنْ وَلائِحِ غُلْفِ الأَكْمَامِ وَ مُنْقَمَعِ الوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الجِبَالِ وَ أودِيَّتِهَا وَ مُخْتَبِئِ البُعُوضِ بَيْنَ سُوْقِ

ص: ٢٢

١-١) للسان ١٧:٢١٥ من غير نسبه، و روايته: «أبلغ أبا سمع».

الْأَشْجَارِ وَالْحَيْثِيَّهَا وَمَغْرَزِ الْأَوْزَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ وَمَحِطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسِيرِ الْأَصِيلِ وَالْبَابِ وَنَاشِئَةِ الْعُيُومِ وَمُتَلَاحِمِيَّهَا وَدُرُورِ قَطْرِ
 السَّحَابِ فِي مُتْرَاكِمِيَّهَا وَمَا تَسَدَّى فِي الْأَعَاصِمِ بِدْيُولِهَا وَتَعْفُو الْأَمْطَارِ بِسَيُولِهَا وَعَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُتْبَانِ الرَّمَالِ وَمُسَدِّتَقَرِّ ذَوَاتِ
 الْأَجْنِحَةِ بِعُدْرَا شَنَاخِيْبِ الْجِبَالِ وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ وَمَا أَوْعَبْتُهُ الْأَصْدَافُ وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجِ الْبِحَارِ وَمَا
 غَشِيَتْهُ سَيْدْفُهُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقِ الدِّيَاجِيرِ وَسَيْبِحَاتِ النُّورِ وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَهِ وَ
 رَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفْهِ وَمُسَدِّتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَوْ
 سَاقِطِ وَرْقَةٍ أَوْ قَرَارِهِ نُطْفَةٍ أَوْ نُقَاعِهِ دَمٍ وَمُضْغِهِ أَوْ نَاشِئَتِهِ خَلْقٍ وَسَيْلَالِهِ لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفْلُهُ وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ
 مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيدِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَائِكَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُمْ عِدْدُهُ وَسَدَّعَهُمْ
 عَدْلُهُ وَغَمَّرَهُمْ فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

الشرح:

لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله علي بن العباس بن جريج لإسماعيل بن بلبل قالوا أبو الصقر من شيان قلت
 لهم

إذ كان يفخر به علي عدنان و قحطان بل كان يقرّ به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن

ص: ٢٣

و يقول له إنه لم يعف ما شئدت من معالم التوحيد بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولدا ابتدع من علوم التوحيد في جاهليه العرب ما لم يتدعه أنت في جاهليه النبط بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه و قفّ شعره و اضطرب فكره ألا- ترى ما عليه من الرواء و المهابه و العظمه و الفخامه و المتانهِ و الجزاله مع ما قد أشرب من الحلاوه و الطلاوه و اللطف و السلاسه لا أرى كلاما يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذا الكلام نبعه من تلك الشجره و جدول من ذلك البحر و حذوه من تلك النار و كأنه شرح قوله تعالى وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبِّهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١).

ثم نعود إلى التفسير فنقول النجوى المسارّه تقول انتجى القوم و تناجوا أى تساروا و انتجيت زيدا إذا خصصته بمناجاتك

١٤٩٠

١٤١- وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ أَنَّهُ صَ أَطَالَ النَّجْوَى مَعَ عَلِيٍّ عَ فَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَطَالَ الْيَوْمَ نَجْوَى ابْنِ عَمِّهِ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي مَا أَتَجَيَّنُهُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَتَجَاهُ .

و يقال للسرّ نفسه النجوى يقال نجوته نجوا أى سارته و كذلك ناجيته مناجاه و سمي ذلك الأمر المخصوص نجوى لأنه يستسر به فأما قوله تعالى وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى فجعّلهم هم النجوى و إنّما النجوى فعلهم فإنما هو كقولك قوم رضا و إنّما الرضا فعلهم و يقال للذى تساره النجى على فعيل و جمعه أنجيه قال الشاعر

ص: ٢٤

١-١) سورة الأنعام ٥٩.

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه (١)

و قد يكون النجى جماعه مثل الصديق قال الله تعالى خَلَّصُوا نَجِيًّا (٢) و قال الفراء قد يكون النجى و النجوى اسما و مصدرا.

و المتخافتين الذين يسرون المنطق و هى المخافته و التخافت و الخفت قال الشاعر أخاطب جهرا إذ لهن تخافت و شتان بين
الجهر و المنطق الخفت (٣) .

و رجم الظنون القول بالظنّ قال سبحانه رَجْمًا بِالْغَيْبِ و منه الحديث المرجم بالتشديد و هو الذى لا يدرى أ حقّ هو أم باطل و
يقال صار رجما أى لا يوقف على حقيقه أمره .

و عقد عزيّمات اليقين العزائم التى يعقد القلب عليها و تطمئن النفس إليها .

و مسارق إيماض الجفون ما تسترقه الأبصار حين تومض يقال أومض البصر و البرق إيماضا إذا لمع لمعا خفيفا و يجوز ومض
بغير همز يمض ومضا و وميضا و ومضانا و أكنان القلوب غلفها و الكن الستر و الجمع أكنان قال تعالى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ
أَكْنَانًا (٤) و يروى أكنه القلوب و هى الأغطية أيضا قال تعالى وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً (٥) و الواحد كنان قال عمر بن أبى
ربيعه

ص: ٢٥

١ - ١) اللسان ١٧٩: ٢٠، و نسبه إلى سحيم بن وثيل اليربوعى؛ و بعده: و اضطرب القوم اضطراب الأرشيه هناك أوصينى و لا
توصى بيه.

٢ - ٢) سورة يوسف ٨٠.

٣ - ٣) اللسان ٣٣٥: ٢ من غير نسبه.

٤ - ٤) سورة النحل ٨١.

٥ - ٥) سورة الأنعام ٢٥.

تحت عين كناننا

ظل برد مرحل (١)

و يعنى بالذى ضمته أكنان القلوب الضمائر .

و غيابات الغيوب جمع غيابه و هى قعر البئر فى الأصل ثم نقلت إلى كل غامض خفى مثل غيابه و قد روى غيابات بالباء .

و أصغت تسمعت و مالت نحوه و لاستراقه لاستماعه فى خفيه قال تعالى إِلَّا مَنْ اشْتَرَقَ السَّمْعَ (٢) .

و مصائخ الأسماع خروقتها التى يصيخ بها أى يتسمع .

و مصايف الذر المواضع التى يصيف الذر فيها أى يقيم الصيف يقال صاف بالمكان و اصطاف بمعنى و الموضع مصيف و مصطاف .

و الذر جمع ذره و هى أصغر النمل .

و مشاتى الهوام المواضع التى تشو الهوام بها يقال شتوت بموضع كذا و تشتيت أى أقمت به الشتاء .

و الهوام جمع هامه و لا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش .

ص: ٢٦

١ - ١) اللسان ١٧: ٢٤٣، و ذكر قبله: هاج ذا القلب منزل دارس العهد محول أينا بات ليله بين غصنين بوبل قال ابن برى: صواب إنشاده: *برد عصب مرحل* و أنشده ابن دريد: تحت ظلّ كناننا ظلّ برد مرحل .

٢ - ٢) سورة الحجر ١٨ .

و رجع الحنين ترجيعه و ترديده و المولهاات النوق و النساء اللواتى حيل بينهن و بين أولادهن .

و همس الأقدام

صوت وطئها خفيا جدا قال تعالى **فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١)** و منه قول الراجز.

فهن يمشين بنا هميسا (٢)

و الأسد الهموس الخفى الوطاء .

و منفسح الثمره

أى موضع سعتها من الأكمام و قد روى متفسخ بالخاء المعجمه و تشديد السين و بتاء بعد الميم مصدرا من تفسخت الثمره إذا انقطعت.

و الولايج المواضع الساتره و الواحده وليجه و هو كالكهف يستتر فيه الماره من مطر أو غيره و يقال أيضا فى جمعه ولج و أولاج .

و متقمع الوحوش

موضع تقمعهها و استتارها و سمي قمعه (٣) بن إلياس بن مضر بذلك لأنه انقمع فى بيته كما زعموا.

و غيران الجبال جمع غار و هو كالكهف فى الجبل و المغار مثل الغار و المغاره مثله .

و مختبأ البعوض

موضع اختبائها و استتارها و سوق الأشجار جمع ساق و ألحيتها جمع لحاء و هو القشر .

و مغرز الأوراق

موضع غرزها فيها.

ص: ٢٧

١-١ (١) سورة طه ١٠٨.

٢-٢ (٢) اللسان ١٣٦:٨ من غير نسبه.

٣-٣ (٣) قمعه؛ بفتح القاف و الميم، قال صاحب اللسان: «كان اسمه عميرا فأغير على إبل أبيه فانقمع فى البيت فرقا، فسماه أبوه قمعه، و خرج أخوه مدركه بن إلياس لبقاء إبل أبيه، فأدر كها و قعد الأخ الثالث يطبخ القدر، فسمى طابخه».

و الأفنان جمع فنن و هو الغصن و الأمشاج ماء الرجل يختلط بماء المرأة و دمها جمع مشيخ كيتيم و أيتام و محطها إما مصدر أو مكان.

و مسارب الأصلاب المواضع التي يتسرب المنى فيها من الصلب أى يسيل .

و ناشئه الغيوم

أول ما ينشأ منها و هو النشىء أيضا و ناشئه الليل فى قوله تعالى إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا (١) أول ساعاته و يقال هى ما ينشأ فى الليل من الطاعات و متلاحمها ما يلتصق منها بعضها ببعض و يلتحم .

و درور قطر السحاب

مصدر من درّ يدّر أى سال و ناقه درور أى كثيره اللبن و سحاب درور أى كثير المطر و يقال إن لهذا السحاب لدره أى صبا و الجمع درور و متراكمها المجتمع المتكاثف منها ركمت الشىء أركمه بالضم جمعته و ألقيت بعضه على بعض و رمل ركام و سحاب ركام أى مجتمع .

و الأعاصير جمع إعصار و هى ریح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كالعمود و قال تعالى فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ (٢) .

و تسفى من سفت الريح التراب سفيا إذا أذرتة فهو سفى و ذيولها هاهنا يريد به أطرافها و ما لاحف الأرض منها .

و ما تعفو الأمطار

أى ما تدرس عفت الريح المنزل أى درسته و عفا المنزل نفسه يعفو درس يتعدى و لا يتعدى .

و بنات الأرض الهوام و الحشرات التى تكون فى الرمال و عومها فيها سباحتها و يقال لسير السفينه و سير الإبل أيضا عوم عمت فى الماء بضم أوله أعوم.

ص: ٢٨

١-١) سورة المزمل ٦.

٢-٢) سورة البقره ٢٦٦.

و كئيبان الرمال جمع كئيب و هو ما انصب من الرمل و اجتمع فى مكان واحد فصار تلا و كئيب الشئ أكثبه كئيبا إذا جمعته و انكئب الرمل اجتمع .

و شناخب الجبال رءوسها واحدها شنخوب و ذراها أعاليها جمع ذروه و ذروه بالكسر و الضم .

و التغريد التطريب بالغناء و التغرد مثله و كذلك الغرد بفتحهما و يقال غرد الطائر فهو غرد إذا طرب بصوته.

و ذوات المنطق هاهنا الأطيوار و سمى صوتها منطقا و إن كان لا يطلق إلا على ألفاظ البشر مجازا.

و دياجير جمع ديجور و هو الظلام و الأوكار جمع وكر و هو عش الطائر و يجمع أيضا على وكور و وكر الطائر يكر و كرا أى دخل و كره .

و قوله و ما أوعبته الأصداف أى من اللؤلؤ و حضنت عليه أمواج البحار أى ما ضمته كما تحضن الأنثى من الطير بيضها و هو ما يكون فى لجه إما من سمك أو خشب أو ما يحمله البحر من العنبر كالجماجم بين الأمواج و غير ذلك .

و سدفة الليل ظلمته و جاء بالفتح و قيل السدفة اختلاط الضوء و الظلمه معا كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار.

و غشيته غطته و ذر عليه شارق نهار أى ما طلعت عليه الشمس و ذرت الشمس تذر بالضم ذرورا طلعت و ذر البقل إذا طلع من الأرض.

و شرقت الشمس طلعت و أشرقت بالهمزه إذا أضاءت و صفت .

و اعتقبت

تعاقبت و أطباق الدياجير أطباق الظلم و أطباقها جمع طبقه أى

أغطيها أطبقت الشيء أى غطيته و جعلته مطبقا و قد تطبق هو و منه قولهم لو تطبقت السماء على الأرض لما فعلت كذا و سبحات النور عطف على أطباق الدياجير أى يعلم سبحانه ما تعاقب عليه الظلام و الضياء و سبحات هاهنا ليس يعنى به ما يعنى بقوله سبحان وجه ربنا لأنه هناك بمعنى ما يسبح عليه النور أى يجرى من سبح الفرس و هو جريه و يقال فرس سابح .

و الخطوه ما بين القدمين بالضم و خطوات خطوه بالفتح لأنه المصدر .

و رجع كل كلمه

ما ترجع به من الكلام إلى نفسك و تردده فى فكرك .

و النسمة الإنسان نفسه و جمعها نسمة و مثقال كل ذره أى وزن كل ذره و مِثْمًا يخطئ فيه العامه قولهم للدينار مثقال و إنما المثقال وزن كل شىء قال تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ (١) .

و هماهم كل نفس هامه

الهماهم جمع همهمه و هى ترديد الصوت فى الصدر و حمار همهميم يهمهم فى صوته و همهمت المرأه فى رأس الصبى و ذلك إذا نومته بصوت ترققه له و النفس الهامه ذات الهمة التى تعزم على الأمر .

قوله و ما عليها أى ما على الأرض فجاء بالضمير و لم يسبق ذكر صاحبه اعتمادا على فهم المخاطب كما قال تعالى كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢) .

و قراره النطفه ما يستقر فيه الماء من الأماكن قال الشاعر و أنتم قراره كل معدن سوءه و لكل سائله تسيل قراره .

و النطفه الماء نفسه

١٤٩١

وَ مِنْهُ قَوْلُهُ ع فِي الْخَوَارِجِ

إِنَّ مَصَارِعَهُمُ النَّطْفَةُ .

أى لا يعبرون النهر و يجوز أن يريد بالنطفه المنى و يقويه ما ذكره بعده من المضغه .

ص : ٣٠

١-١) سورة النساء ٤٠ .

٢-٢) سورة الرحمن ٢٦ .

و النقاغه نقره يجتمع فيها الدم و مثله أنقوعه و يقال لوقبه الثريد أنقوعه.

و المضغه قطعه اللحم و السلاله فى الأصل ما استل من الشىء و سميت النطفه سلاله الإنسان لأنها استلت منه و كذلك الولد .

و الكلفه المشقه و اعتورته مثل عرته و نفذهم علمه تشبيهه بنفوذ السهم و عدى الفعل بنفسه و إن كان معدى فى الأصل بحرف الجر كقولك اخترت الرجال زيدا أى من الرجال كأنه جعل علمه تعالى خارقا لهم و نافذا فيهم و يروى و أحصاهم عدده بالتضعيف اللهم أنت أهل الوصف الجميل و التعداد الكثير إن توّمل فخير مأمول و إن تزج فخير مزجوا اللهم [فقد]

و قد بسطت لى فيما لا أميدح به غيرك و لا أثنى به على أحد سواك و لا أوجهه إلى معادن الخبيبه و مواضع الرئبه و عيذت بلساني عن مدايح الأدميين و الثناء على المرؤبين المخلوقين اللهم و لكل من على من أثنى عليه مثوبه من جزاء أو عارفه من عطاء و قد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمه و كنوز المغفره اللهم و هذا مقام من أفردك بالتوحيد الذى هو لك و لم ير مسدحا لهدى المحامد و الممدوح غيرك و بى فاقه إليك لا يجبر مسدحتها إلا فضلك و لا ينعش من خلقتها إلا منك و جودك فهب لنا فى هذا المقام رضاك و أغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك على كل شىء قدير .

مصدر و خير خبر مبتدأ محذوف تقديره فأنت خير مأمول .

و معنى قوله قد بسطت لى أى قد آتيتنى لسنا و فصاحه و سعه منطق فلا أمدح غيرك و لا أحمد سواك .

و يعنى بمعادن الخيبه البشر لأن مادحهم و مؤملهم يخيب فى الأكثر و جعلهم مواضع الريبه لأنهم لا يوثق بهم فى حال .

و معنى قوله ع و قد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمه و كنوز المغفره أنه راج منه أن يدلّه على الأعمال التى ترضيه سبحانه و يستوجب بها منه الرحمه و المغفره و كأنّه جعل تلك الأعمال التى يرجو أن يدلّ عليها ذخائر للرحمه و كنوزا .

و الفاقه الفقر و كذلك المسكنه .

و ينعش بالفتح يرفع و الماضى نعش و منه النعش لارتفاعه و المن العطاء و النعمه و المنان من أسماء الله سبحانه

دَعُونِي وَ التَّمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسِيِّبُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَّا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَّا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُوبُ وَ إِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَ الْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ.

وَ اَعْلَمُوا (١) أَنِّي إِذْ أَجَبْتِكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَ لَمْ أُضِغْ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتَبِ الْعَاتِبِ وَ إِذْ تَرَكْتُمُونِي فَإِنَّا كَأَيْدِكُمْ وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَ لَيْتُمُوهُ أَمْرُكُمْ وَ أَنَا لَكُمْ وَ زِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا .

في أكثر النسخ لما اراده الناس على البيعه و وجدت في بعضها أداره الناس على البيعه فمن روى الأول جعل على متعلقه بمحذوف و تقديره موافقا و من روى الثاني جعلها متعلقه بالفعل الظاهر نفسه و هو أداره تقول أدرت فلانا على كذا و داورت فلانا على كذا أي عالجتة .

و لا- تقوم له القلوب أي لا- تصبر و أغامت الأفاق غطاها الغيم أغامت و غامت و أغيمت و تغيمت (٢) كله بمعنى و المحججه الطريق و تنكرت جهلت فلم تعرف و وزيرا و أميرا منصوبان على الحال .

و هذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره و يقولون إنه ع لم يكن منصوبا

١- ١) كذا في ا،ج،و في ب،و مخطوطه النهج «و أعلم».

٢- ٢) د: «و غنمت».

عليه بالإمامه من جهه الرسول ص و إن كان أولى الناس بها و أحقهم بمنزلتها لأنه لو كان منصوصا عليه بالإمامه من جهه الرسول ع لما جاز له أن يقول دعونى و التمسوا غيرى و لا- أن يقول و لعلى أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم و لا- أن يقول و أنا لكم وزيراً خير منى لكم أميراً و تحمله الإماميه على وجه آخر فيقولون إن الذين أرادوه على البيعه هم كانوا العقادين بيعه الخلفاء من قبل و قد كان عثمان منعهم أو منع كثيراً منهم عن حقه من العطاء لأن بنى أميه استأصلوا الأموال فى أيام عثمان فلما قتل قالوا لعلى ع نبايعك على أن تسير فىنا سيره أبى بكر و عمر لأنهما كانا لا يستأثران بالمال لأنفسهما و لا لأهلتهما فطلبوا من على ع البيعه على أن يقسم عليهم بيوت الأموال قسمه أبى بكر و عمر فاستعفاهم و سألهم أن يطلبوا غيره ممن يسير بسيرتهما و قال لهم كلاماً تحته رمز و هو قوله إنا مستقبلون أمراً له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول و إن الآفاق قد أغامت و المحججه قد تنكرت .

قالوا و هذا كلام له باطن و غور عميق معناه الإخبار عن غيب يعلمه هو و يجهلونه (1) هم و هو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض و اختلاف الكلمه و ظهور الفتنة.

و معنى قوله له وجوه و ألوان أنه موضع شبهه و تأويل فمن قائل يقول أصاب على و من قائل يقول أخطأ و كذلك القول فى تصويب محاربيه من أهل الجمل و صفين و النهروان و تخطئتهم فإن المذاهب فيه و فيهم تشعبت و تفرقت جدا.

و معنى قوله الآفاق قد أغامت و المحججه قد تنكرت أن الشبهه قد استولت على العقول و القلوب و جهل أكثر الناس محججه الحق أين هى فأنا لكم وزيراً عن رسول الله ص أفتى فيكم بشريعته و أحكامه خير لكم منى أميراً محجوراً عليه

ص: ٣٤

مدبرا بتدبيركم فإنى أعلم أنه لا قدره لى أن أسير فيكم بسيره رسول الله ص فى أصحابه مستقلا بالتدبير لفساد أحوالكم و تعذر صلاحكم.

و قد حمل بعضهم كلامه على محمل آخر فقال هذا كلام مستزید (١) شاك من أصحابه يقول لهم ددعونى و التمسوا غيرى على طريق الضجر (٢) منهم و التبرم بهم و التسخط لأفعالهم لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل و اختاروا عليه فلما طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب.

و حمل قوم منهم الكلام على وجه آخر فقالوا إنه أخرجته مخرج التهكم و السخرية أى أنا لكم وزيرا خير منى لكم أميرا فيما تعتقدونه كما قال سبحانه دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٣) أى تزعم لنفسك ذلك و تعتقده.

و اعلم أن ما ذكره ليس ببعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دل على ذلك فأما إذا لم يدل عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره و نحن نتمسك بالظاهر إلا أن تقوم دلالة على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ عن ظاهره و لو جاز أن تصرف الألفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدف و يصد عنها لم يبق و ثوق بكلام الله عزّ و جلّ و بكلام رسوله ع و قد ذكرنا فيما تقدم كيفية الحال التى كانت بعد قتل عثمان و البيعه العلوية كيف وقعت

فصل فيما كان من أمر طلحه و الزبير عند قسم المال

و نحن نذكر هاهنا فى هذه القصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر الإسكافى (٤) فى كتابه

ص: ٣٥

١- ١) مستزید، أى شاك عاتب، و فى الأساس: «فلان يستزید فلانا، يستقصره و يشكوه؛ و هو مستزید».

٢- ٢) د: «المضجر».

٣- ٣) سورة الدخان ٤٩.

٤- ٤) هو محمّد بن عبد الله، أبو جعفر المعروف بالإسكافى؛ أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين. قال الخطيب فى تاريخه (٥: ٤١٦): «له تصانيف معروفة؛ و كان الحسين بن على الكرابيسى يتكلم معه و يناظره، و بلغنى أنه مات فى سنه أربعين و مائتين».

١٤،١- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا اجْتَمَعَتِ الصَّحَابَةُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ الْإِمَامَةِ أَشَارَ (١) أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ وَرِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ وَ مَالِكُ بْنُ الْعَجْلَانِ وَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ وَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بَعْلِيُّ ع وَ ذَكَرُوا فَضْلَهُ وَ سَابِقَتَهُ وَ جِهَادَهُ وَ قَرَابَتَهُ فَاجَابَهُمُ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَاطِبِيًّا يَذْكُرُ فَضْلَ عَلِيٍّ ع فَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ خَاصَّةً وَ مِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ كَأَنَّهُ تَمَّ بُوَيْعَ وَ صَدَّ الْمُنْتَبِرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ يَوْمِ الْبَيْعَةِ وَ هُوَ يَوْمُ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ ذَكَرَ مُحَمَّدًا فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ ذَكَرَ الدُّنْيَا فَزَهَّدَهُمْ فِيهَا وَ ذَكَرَ الْأَخْرَجَ فَزَعَّجَهُمْ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص اسْتَخْلَفَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عَمْرًا فَعَمِلَ بِطَرِيقِهِ ثُمَّ جَعَلَهَا سُورَى بَيْنَ سَيِّئَةٍ فَافْضَى الْأَمْرَ مِنْهُمْ إِلَى عُثْمَانَ فَعَمِلَ مَا أَنْكَرْتُمْ وَ عَرَفْتُمْ (٢) ثُمَّ حُصِرَ وَ قُتِلَ ثُمَّ جِئْتُمُونِي طَائِعِينَ فَطَلَبْتُمْ إِلَيَّ وَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ لِي مِثْلُكُمْ وَ عَلَيَّ مِثْلُكُمْ وَ قَدْ فَتِحَ اللَّهُ الْبَابَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَ أَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَفِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ وَ لَا يَحْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ وَ الْبَصِيرِ وَ الْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْأَمْرِ وَ إِنِّي حَامِلُكُمْ عَلَى مَنَهِجِ نَبِيِّكُمْ ص وَ مُنْفَذُ فِيكُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ إِنْ اسْتَيْقَمْتُمْ لِي وَ بِاللَّهِ الْمُسْتَيْعَانُ إِلَّا إِنْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص بَعِيدٌ وَ فَوَاتِهِ كَمَوْضِعِي مِنْهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَاْمُضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ لَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تُبَيِّنَهُ لَكُمْ فَإِنَّ لَنَا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ عُدْرًا أَلَا وَ إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ مِنْ فَوْقِ سَمَائِهِ وَ عَرْشِهِ أَنِّي كُنْتُ كَارِهًا لِلْوَلَايَةِ عَلَى أُمَّهِ مُحَمَّدٍ حَتَّى اجْتَمَعَ رَأْيُكُمْ عَلَى ذَلِكَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ أَيُّمَا وَالٍ وَلى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي أُقِيمَ عَلَى حَدِّ الصَّرَاطِ

(١-١) أشاروا بفضله؛ أى عرفوا الناس به.

(٢-٢) كذا فى د.

وَنَشَرَتِ الْمَلَائِكَةُ صَيْحِفَتَهُ فَإِنْ كَانَ عَادِلًا أَنْجَاهُ اللَّهُ بِعَدْلِهِ وَإِنْ كَانَ جَائِرًا انْتَفَضَ بِهِ الصِّرَاطُ حَتَّى تَتَزَايَلَ مَفَاصِلُهُ ثُمَّ يَهْوِي إِلَى النَّارِ فَيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَتَّقِيهَا بِهِ أَنْفَهُ وَحَرَّ وَجْهِهِ وَ لِكُنِّي لَمَّا اجْتَمَعَ رَأْيُكُمْ لَمْ يَسِيَ عُنَى تَرْكُكُمْ ثُمَّ انْتَفَتَّ عَ يَمِينًا وَ شِمَالًا فَقَالَ أَلَا لَا يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ غَدًا قَدْ غَمَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَاتَّخَذُوا الْعَقَارَ وَ فَجَّرُوا الْأَنْهَارَ وَ رَكِبُوا الْخَيُْولَ الْفَارِهَةَ وَ اتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الرُّوْقَةَ (١)

فَصَيَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عِيَارًا وَ شَنَارًا إِذَا مَا مَنَعْتَهُمْ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ وَ أَصَيَّرْتَهُمْ إِلَى حُقُوقِهِمُ الَّتِي يَعْلَمُونَ فَيَنْقَمُونَ ذَلِكَ وَ يَسِيْتَنَكِرُونَ وَ يَقُولُونَ حَرَمْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا أَلَا وَ أَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَرَى أَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ لِصُحْبَتِهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ النَّبِيِّ غَدًا عِنْدَ اللَّهِ وَ ثَوَابُهُ وَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا وَ دَخَلَ فِي دِينِنَا وَ اسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا فَقَدْ اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ الْإِسْلَامِ وَ حُدُودَهُ فَانْتَمَ عِبَادُ اللَّهِ وَ الْمَالُ مَالُ اللَّهِ يُقَسَّمُ بَيْنَكُمْ بِالسَّوِيَّةِ لَا فَضْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ وَ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ اللَّهِ غَدًا أَحْسَنُ الْجَزَاءِ وَ أَفْضَلُ الثَّوَابِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الدُّنْيَا لِلْمُتَّقِينَ أَجْرًا وَ لَا ثَوَابًا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَ إِذَا كَانَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَاغْدُوا عَلَيْنَا فَإِنَّ عِنْدَنَا مَالًا نَقْسِمُهُ فِيكُمْ وَ لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَرَبِيٌّ وَ لَا عَجَمِيٌّ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَطَاءِ أَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَضَرَ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا حُرًّا أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ ثُمَّ نَزَلَ.

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ وَ كَانَ (٢) هَذَا أَوَّلَ مَا أَنْكَرُوهُ مِنْ كَلَامِهِ عَ وَ أَوْرَثَهُمُ الضُّعْنَ عَلَيْهِ وَ كَرِهُوا إِعْطَاءَهُ وَ قَسَمَهُ بِالسَّوِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدًا وَ غَدَا النَّاسُ لِقَبْضِ الْمَالِ فَقَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبِهِ ابْدَأْ بِالْمُهَاجِرِينَ فَنَادِهِمْ وَ أَعْطِ كُلَّ

ص: ٣٧

١ - ١) الروقة: الحساني.

٢ - ٢) د: «فكان».

رَجُلٍ مِمَّنْ حَضَرَ ثَلَاثَةَ دَنَائِرٍ ثُمَّ ثَنَّ بِالْأَنْصَارِ فَافْعَلُ مَعَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يَحْضُرُ مِنَ النَّاسِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ فَاصْنَعْ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا غُلَامِي بِالْأَمْسِ وَقَدْ أَعْتَقْتُهُ الْيَوْمَ فَقَالَ نُعْطِيهِ كَمَا نُعْطِيكَ فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَلَاثَةَ دَنَائِرٍ وَلَمْ يُفْضَلْ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ وَتَخَلَّفَ عَنْ هَذَا الْقِسْمِ يَوْمَئِذٍ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَرِجَالَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا.

قَالَ وَسَمِعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ لِأَبِيهِ وَطَلْحَةَ وَمَرْوَانَ وَسَعِيدٍ مَا خَفَى عَلَيْنَا أَمْسٍ مِنْ كَلَامٍ عَلَيَّ مَا يُرِيدُ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَالتَّتَفَتَ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ إِيَّاكَ أَغْنَى وَاسْمِعِي يَا جَارَهُ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ لِسَعِيدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (١).

ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ أَخْبَرَ عَلِيًّا ع بِذَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنْ بَقِيَتْ وَ سَلِمَتْ لَهُمْ لَأُقِيمَنَّاهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ عَرَفَ مِنْ كَلَامِي وَنَظَرِي إِلَيْهِ أَمْسٍ أَنِّي أُرِيدُهُ وَأَصْحَابَهُ مِمَّنْ هَلَكَ فِيمَنْ هَلَكَ .

قَالَ فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ بَعِيدَ الصُّبْحِ إِذْ طَلَعَ الزُّبَيْرُ وَ طَلْحَةُ فَجَلَسَا نَاحِيَةَ عَنِ عَلِيٍّ ع ثُمَّ طَلَعَ مَرْوَانَ وَسَعِيدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَجَلَسُوا إِلَيْهِمَا ثُمَّ جَاءَ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَنْصَمُوا إِلَيْهِمْ فَتَحَدَّثُوا نَجِيًّا سَاعَةً ثُمَّ قَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنَّكَ قَدْ وَتَرْتَنَا جَمِيعًا أَمَا أَنَا فَفَقَتَلْتُ أَبِي يَوْمَ بَدْرٍ صَبْرًا وَ حَذَلْتُ أَخِي يَوْمَ الدَّارِ بِالْأَمْسِ وَأَمَا سَعِيدٌ فَفَقَتَلْتُ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ فِي الْحَرْبِ وَ كَانَ ثَوْرَ قُرَيْشٍ وَأَمَا مَرْوَانَ فَسَخَفْتُ أَبَاهُ عِنْدَ عُثْمَانَ إِذْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَ نَحْنُ إِخْوَتُكَ

ص: ٣٨

وَنُظِرَ أَوْكَ مِنْ بَنِي عَبِيدٍ مَنَافٍ وَ نَحْنُ نُبَايِعُكَ الْيَوْمَ عَلَى أَنْ تَضَعَ عَنَّا مَا أَصَيْبْنَا مِنْ الْمَالِ فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ وَ أَنْ تَقْتُلَ قَتْلَتَهُ وَ إِنَّا إِنْ خِفْنَاكَ تَرَكْنَاكَ فَالْتَحَقْنَا بِالشَّامِ .

فَقَالَ أَمَا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ وَتْرِي إِيَّاكُمْ فَالْحَقُّ وَ تَرَكْتُمْ وَ أَمَا وَضَعِي عَنْكُمْ مَا أَصَبْتُمْ فَلَيْسَ لِي أَنْ أَضَعَ حَقَّ اللَّهِ عَنْكُمْ وَ لَا عَنْ غَيْرِكُمْ وَ أَمَا قَتَلِي قَتْلَهُ عُثْمَانَ فَلَوْ لَزِمَنِي قَتْلُهُمْ الْيَوْمَ لَقَتَلْتُهُمْ أَمْسٍ وَ لَكِنْ لَكُمْ عَلَيَّ إِنْ خِفْتُمُونِي أَنْ أُؤَمِّنْكُمْ وَ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ أُسَيِّرْكُمْ .

فَقَامَ الْوَلِيدُ إِلَى أَضْيَاحِهِ فَحَدَّثَهُمْ وَ افْتَرَقُوا عَلَى إِظْهَارِ الْعِيَادَةِ وَ إِشَاعَةِ الْخِلَافِ فَلَمَّا ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِأَضْيَاحِهِ قَوْمُوا بِنَا إِلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَّغَنَا عَنْهُمْ وَ رَأَيْنَا مِنْهُمْ مَا نَكْرَهُ مِنَ الْخِلَافِ وَ الطَّعْنِ عَلَى إِمَامِهِمْ وَ قَدْ دَخَلَ أَهْلُ الْجَفَاءِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الزُّبَيْرِ وَ الْأَعْسِرِ الْعَاقُ يَعْنِي طَلْحَةَ . فَقَامَ أَبُو الْهَيْثَمِ وَ عَمَّارُ وَ أَبُو أَيُّوبَ وَ سَيْهَلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَ جَمَاعَةٌ مَعَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَى عَلِيٍّ ع فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَ عَاتِبْ قَوْمَكَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ نَقَضُوا عَهْدَكَ وَ أَخْلَفُوا وَعِيدَكَ وَ قَدْ دَعَوْنَا فِي السِّرِّ إِلَى رَفْضِكَ هَذَاكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ وَ ذَاكَ لِأَنَّكُمْ كَرِهُوا الْأَسْوَةَ وَ فَصَدُوا الْأَثَرَةَ وَ لَمَّا آسَيْتَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْأَعَاجِمِ أَنْكَرُوا وَ اسْتَشَارُوا عِدْوَكَ وَ عَظْمُوهُ وَ أَظْهَرُوا الطَّلَبَ بِدَمِ عُثْمَانَ فِرْقَةً لِلْجَمَاعَةِ وَ تَأَلَّفَا لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ فَرَأَيْكَ .

فَخَرَجَ عَلِيٌّ ع فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ مُرْتَدِيًا بِطَاقٍ مُؤْتَرَرًا بِبُرْدٍ قِطْرِيٍّ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا مُتَوَكِّنًا عَلَى قَوْسٍ فَقَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ رَبَّنَا وَ إِلَهَنَا وَ وَلِيَّ النَّعْمِ عَلَيْنَا الَّذِي أَصْبَحَتْ نِعْمُهُ عَلَيْنَا ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً امْتِنَانًا مِنْهُ بِغَيْرِ حَوْلٍ مِنَّا وَ لَا قُوَّةٍ لِيُبَلِّغَنَا أَوْ نَشْكُرُ أَمْ نَكْفُرُ فَمَنْ شَكَرَ زَادَهُ وَ مَنْ كَفَرَ عَذَبَهُ فَأَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَسِيلَةٌ أَطْوَعُهُمْ لِأَمْرِهِ

وَاعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ وَاتَّبِعُهُمْ لِسَانَهُ رَسُولِهِ وَأَحْيَاهُمْ لِكِتَابِهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدَنَا فَضْلٌ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ
أَظْهَرْنَا وَعَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ وَسَيَرَّتْهُ فَبَيْنَا لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ عَانِدٌ عَنِ الْحَقِّ مُنْكَرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ
ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

(١)

ثُمَّ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أ
تَمُنُونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِإِسْلَامِكُمْ بِيَلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هِدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ثُمَّ قَالَ أَنَا أَبُو الْحَسَنِ وَكَانَ يَقُولُهَا
إِذَا غَضِبَ ثُمَّ قَالَ أَلَا إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَضِي بِحُجَّتُمْ تَمَنُونَهَا وَتَزْعَبُونَ فِيهَا وَأَضِي بِحُجَّتِ تَغْضِبُكُمْ وَتُرْضِي بِكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا
مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ فَلَا تَعْرَنَكُمْ فَقَدْ حَدَرْتُكُمْوهَا وَاسْتَمْتُمُوا نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ لَأَنْفُسِكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالذَّلَّ لِحُكْمِهِ جَلَّ
تَنَاهُوهُ فَأَمَّا هَذَا الْفَيْءُ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ أَثَرُهُ وَقَدْ فَرَعَ اللَّهُ مِنْ قِسْمَتِهِ فَهُوَ مَالُ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمُسْلِمُونَ وَ هَذَا كِتَابُ
اللَّهِ بِهِ أَفْرَزْنَا وَ لَهُ أَسْلَمْنَا وَعَهْدُ نَبِيِّنَا بَيْنَ أَظْهَرْنَا فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِهِ فَلْيَتَوَلَّ كَيْفَ شَاءَ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالْحَاكِمَ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا
وَخْشَةَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمُنْبَرِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ بَعَثَ بَعْمَارَ بْنَ يَاسِرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حَنْبَلٍ الْقُرَشِيِّ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَهُمَا فِي
نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَاتَّيَاهُمَا فَدَعَاهُمَا فَقَامَا حَتَّى جَلَسَا إِلَيْهِ ع فَقَالَ لَهُمَا نَشِدْتُكُمَا اللَّهُ هَلْ جِئْتُمَانِي طَائِعِينَ لِلْبَيْعَةِ وَ دَعَوْتُمَانِي إِلَيْهَا وَ
أَنَا كَارِهِ لَهَا قَالَا نَعَمْ فَقَالَ غَيْرَ مُجْبَرِينَ وَلَا مَفْسُورِينَ فَأَسْلَمْتُمَا لِي بِيَعْتِكُمَا وَ أَعْطَيْتُمَانِي عَهْدُكُمْ

ص ٤٠:

قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا دَعَاكُمْ بَعْدَ إِلَى مَا أَرَى قَالَ أَعْطَيْنَاكَ بَيْعَتَنَا عَلَى أَلَّا تَقْضِيَ الْأُمُورَ وَلَا تَقْطَعَهَا دُونَنَا وَ أَنْ تَسْتَشِيرَنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ وَ
 لَا تَسِدَّ تَبَدُّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا وَ لَنَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى غَيْرِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ فَأَنْتَ تَقْسِمُ الْقَسْمَ وَ تَقْطَعُ الْأَمْرَ وَ تَمْضِي الْحُكْمَ بِغَيْرِ مُشَاوَرَتِنَا وَ لَا
 عَلِمْنَا فَقَالَ لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيرًا وَ أَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا فَاسْتَغْفِرَا اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمَا أَلَّا تُخْبِرَانِي أَدْفَعْتُمَا عَنْ حَقِّ وَ جَبَّ لَكُمَا فَظَلَمْتُمَا إِيَّاهُ
 قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ قَالَ فَهَلْ اسْتَأْذَنْتَ مِنْ هَذَا الْمَالِ لِنَفْسِي بِشَيْءٍ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ قَالَ أَفَوَقَّعَ حُكْمَ أَوْ حَقِّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَجَهَلْتَهُ أَوْ
 ضَعُفْتَ عَنْهُ قَالَ- مَعَاذَ اللَّهِ قَالَ فَمَا الَّذِي كَرِهْتُمَا مِنْ أَمْرِي حَتَّى رَأَيْتُمَا خِلَافِي قَالَ- خِلَافَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْقَسْمِ أَنْكَ
 جَعَلْتَ حَقَّنَا فِي الْقَسْمِ كَحَقِّ غَيْرِنَا وَ سَوَّيْتَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ مَنْ لَا يَمَانِلُنَا فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِأَسْيَافِنَا وَ رِمَاحِنَا وَ أَوْجَفْنَا (١) عَلَيْهِ
 بِخَيْلِنَا وَ رَجْلِنَا وَ ظَهَرْتَ عَلَيْهِ دَعْوَتَنَا وَ أَخَذْنَا قَسْرًا قَهْرًا مِمَّنْ لَا يَرَى الْإِسْلَامَ إِلَّا كَرْهًا فَقَالَ فَمَا مَا ذَكَرْتُمَاهُ مِنَ الْإِسْتِشَارَةِ بِكَمَا فَوَّ
 اللَّهُ مَا كَانَتْ لِي فِي الْوَلَايَةِ رَغْبَةٌ وَ لَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَ جَعَلْتُمُونِي عَلَيْهَا فَخِفْتُ أَنْ أُرَدَّكُمْ فَتَخْتَلِفَ الْأُمَّةُ فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ
 نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ سَنَّهِ رَسُولِهِ فَأَمْضَيْتُ مَا دَلَّنِي عَلَيْهِ وَ اتَّبَعْتُهُ وَ لَمْ أَحْتِجْ إِلَى آرَائِكُمْ فِيهِ وَ لَا رَأْيٍ غَيْرِكُمْ وَ لَوْ وَقَّعَ حُكْمَ
 لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَيِّنَةٌ وَ لَا- فِي السُّنَنِ بُرْهَانٌ وَ احْتِجَّ إِلَى الْمَشَاوَرَةِ فِيهِ لِشَاوَرْتُمْ فِيهِ وَ أَمَّا الْقَسْمُ وَ الْأُسُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ
 أَحْكُمُ فِيهِ بِأَدْيٍ بَدِيءٍ قَدْ وَجَدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَ يَحْكُمُ بِذَلِكَ وَ كِتَابُ اللَّهِ نَاطِقٌ بِهِ وَ هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا- مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ جَعَلْتَ فَبَيْنَنَا وَ مَا أَفَاءَ تَهُ سُبُوفُنَا وَ رِمَاحُنَا سَوَاءً بَيْنَنَا وَ بَيْنَ غَيْرِنَا
 فَقَدِيمًا سَبَقَ إِلَى الْإِسْلَامِ قَوْمٌ وَ نَصَرُوهُ بِسُبُوفِهِمْ وَ رِمَاحِهِمْ فَلَمْ يُفْضَلْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَ فِي الْقَسْمِ وَ لَا آتَرَهُمْ بِالسَّبْقِ وَ اللَّهُ

ص: ٤١

(١- ١) ما أوجفنا: ما أعملنا.

سُبْحَانَهُ مُوفِّ السَّابِقِ وَ الْمُجَاهِدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَالُهُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ وَ اللَّهُ عِنْدِي وَ لَا لِغَيْرِكُمْ إِلَّا هَذَا أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمْ الصَّبْرَ ثُمَّ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ وَ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَ كَانَ عَوْنًا لِلْحَقِّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ .

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُمَا قَالَا لَهُ وَ قَتَّ النَّبِيَّ بِنَابِكُمْ عَلَى أَنَا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ لَهُمَا لَا وَ لَكِنَّا شَرِيكَايَ فِي الْفِيءِ لَا أَسَدِي تَأْتِرُ عَلَيْنُكُمَا وَ لَا عَلَى عَبِيدِ حَبَشَةٍ مُجِدِّعٍ بِدِرْهِمٍ فَمَا دُونَهُ لَا أَنَا وَ لَا ، ٢ وَلِهَذَا هَذَا فَإِنْ أُبَيِّتْنَا إِلَّا لَفْظِ الشُّرُكَةِ فَأَنْتُمَا عَوْنَانِ لِي عِنْدَ الْعَجْزِ وَ الْفَاقَةِ لَا عِنْدَ الْقُوَّةِ وَ الْإِسْتِقَامَةِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَاشْتَرَطَا مَا لَا يَجُوزُ فِي عَقْدِ الْأَمَانَةِ وَ شَرَطَا لُهُمَا مَا يَجِبُ فِي الدِّينِ وَ الشَّرِيعَةِ .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ قَدْ رُوِيَ أَيْضًا أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ هَذَا جَزَاؤُنَا مِنْ عَلِيٍّ قَمْنَا لَهُ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمَّا بَلَغَ بِنَا مَا أَرَادَ جَعَلَ فَوْقَنَا مِنْ كُنَّا فَوْقَهُ .

وَ قَالَ طَلْحَةُ مِ الْلُّؤْمِ إِلَّا عَلَيْنَا كُنَّا مَعَهُ أَهْلَ الشُّورَى ثَلَاثَةٌ فَكَرِهَهُ أَحِبُّنَا يَعْنِي سِدِّعِدًا وَ بَايَعْنَاهُ فَأَعْطَيْنَاهُ مَا فِي أَيْدِينَا وَ مَنَعْنَا مَا فِي يَدِهِ فَأَصْبَحْنَا قَدْ أَخْطَأْنَا الْيَوْمَ مَا رَجَوْنَاهُ أَمْسٍ وَ لَا نَزَجُو غَدًا مَا أَخْطَأْنَا الْيَوْمَ .

فَإِنْ قُلْتَ فَإِنْ أَبَا بَكْرٍ قَسَمَ بِالسَّوَاءِ كَمَا قَسَمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ لَمْ يَنْكُرُوا ذَلِكَ كَمَا أَنْكَرُوهُ أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ .

قُلْتَ إِنْ أَبَا بَكْرٍ قَسَمَ مُحْتَدِيًا لِقَسَمِ (١) رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمَّا وَلِيَ عَمْرُ الْخِلَافَةَ وَ فَضَّلَ قَوْمًا عَلَى قَوْمٍ أَلْفُوا ذَلِكَ وَ نَسُوا تِلْكَ الْقِسْمَةَ الْأُولَى وَ طَالَتْ أَيَّامُ عَمْرٍ

ص: ٤٢

و أشربت قلوبهم حبّ المال و كثره العطاء و أمّا الذين اهتضموا فقنعوا و مرنوا على القناعه و لم يخطر لأحد من الفريقين له أن هذه الحال تنتقض أو تتغير بوجه ما فلما ولي عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجره فازداد وثوق القوم بذلك و من ألف أمرا أشق عليه فراقه و تغيير العاده فيه فلما ولي أمير المؤمنين ع أراد أن يرد الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله ص و أبي بكر و قد نسي ذلك و رفض و تخلل بين الزمانين اثنتان و عشرون سنه فشق ذلك عليهم و أنكروه و أكبروه حتّى حدث ما حدث من نقض البيعه و مفارقه الطاعه و لله أمر هو بالغه

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَ الشَّانِ عَلَيْهِ أَيْهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيْ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِيْ بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا وَ اشْتَدَّ كَلْبُهَا فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا [تَسْأَلُونِي]

تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَ لَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَ تُضِلُّ مَائَةً إِلَّا أَتَبْتُكُمْ (١) بِنَاعِقِهَا وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مَنَاحِ رِكَابِهَا وَ مَحِيطِ رِحَالِهَا وَ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا فَتَلًا وَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُ مُؤْنِي وَ نَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهِيَةُ الْأُمُورِ وَ حَوَازِبُ الْخُطُوبِ لِأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ وَ ذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَزْبُكُمْ وَ شَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ وَ [كَانَتْ]

ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا تَمْتَلِيُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتِيحَ اللَّهُ لِقِيَّهِ الْمَأْبُرَارِ مِنْكُمْ إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرُونَ مُقْبَلَاتٍ وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحْمَنُ حَوْمَ الرِّيَّاحِ يُصِيبُ بَلَدًا وَ يُخْطِئُ بَلَدًا أَلَا وَ إِنَّ أَخُوفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءٍ مُظْلِمَةٍ عَمَّتْ خُطَّتْهَا وَ خَصَّتْ بَلِيَّتَهَا وَ أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَ أَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا وَ أَيْمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الصَّرُوسِ تَعْدِمُ

بِفِيهَا وَ تَخِيطُ بِيَدِهَا وَ تَرْبِنُ بِرِجْلِهَا وَ تَمْنَعُ دَرَّهَا لَا- يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا- يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا- نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ وَ لَا يَزَالُ
بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا [مِثْلَ انْتِصَارِ]

كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَ الصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحَبِهِ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ [شَوْهَا]

شَوْهَاءَ مَخْشِيَةً وَ قِطْعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدَى وَ لَا عِلْمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا [بِنَجَاهِ]

بِمَنْجَاهِ وَ لَسْنَا فِيهَا بِجُدَعَاهِ ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيحِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسِيفًا وَ يَسُوقُهُمْ عُنْفًا وَ يَسْقِيهِمْ بِكَأْسِ مُصَبَّرِهِ لَا
يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ وَ لَا يُخْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالْدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا وَ لَوْ قَدَّرَ جَزْرُ جَزُورٍ
لَأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلَبَ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَلَا [يُعْطُونِيهِ]

يُعْطُونِيهِ .

فَقَاتَ عَيْنَهُ أَى بَخَقْتَهَا وَ تَفَقَّاتِ السَّحَابَةِ عَنْ مَائِهَا تَشَقَّقَتْ وَ تَفَقَّأَ الدَّمْلُ وَ الْقَرْحُ وَ مَعْنَى فَقَّئَهُ عَ عَيْنِ الْفِتْنَةِ إِقْدَامُهُ عَلَيْهَا حَتَّى أَطْفَأَ
نَارَهَا كَأَنَّهُ جَعَلَ لِلْفِتْنَةِ عَيْنًا مَحْدَقَهُ يَهَابُهَا النَّاسُ فَأَقْدَمَ هُوَ عَلَيْهَا فَفَقَّأَ عَيْنَهَا فَسَكَنْتَ بَعْدَ حَرَكَتِهَا وَ هِيَ جَانِهَا وَ هَذَا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ
وَ إِنَّمَا قَالَ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرَأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَانُوا يَهَابُونَ قِتَالَ أَهْلِ الْقَبْلَةِ وَ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَقَاتِلُونَهُمْ هَلْ
يَتَّبِعُونَ مَوْلَاهُمْ أَمْ لَا- وَ هَلْ يُجْهَزُونَ عَلَى جَرِيحِهِمْ أَمْ لَا- وَ هَلْ يَقْسَمُونَ فِيهِمْ أَمْ لَا وَ كَانُوا يَسْتَعْظَمُونَ قِتَالَ مَنْ يُوَدِّنُ كَأَذَانِنَا وَ
يَصَلَّى كَصَلَاتِنَا وَ اسْتَعْظَمُوا أَيْضًا حَرْبَ عَائِشَةَ وَ حَرْبَ طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرَ لِمَكَانِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَ تَوَقَّفَ جَمَاعَتُهُمْ عَنِ الدَّخُولِ فِي
تِلْكَ الْحَرْبِ كَالْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ وَ غَيْرِهِ فَلَوْ لَا أَنَّ عَلِيًّا اجْتَرَأَ عَلَى سَلِّ السَّيْفِ فِيهَا مَا أَقْدَمَ أَحَدٌ عَلَيْهَا

١٤٩٣

٢،١- حَتَّى

ص: ٤٥

ابْنُهُ أَشَارَ عَلَيْهِ أَلَّا يَبْرَحَ عَرِضَهُ الْمَدِينَةَ وَ نَهَاةً عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى قَالَ لَهُ مُنْكَرًا عَلَيْهِ إِنْكَارَهُ وَ لَا تَزَالُ تَخْنُ حَيْنَ الْأَمَةِ وَ قَدْ رَوَى ابْنُ هَلَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْغَارَاتِ أَنَّهُ كَلَّمَ أَبَاهُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِكَلَامٍ أَغْضَبَهُ فَرَمَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَقَرَتْ سَاقَهُ فَعَوْلَجَ مِنْهَا شَهْرَيْنِ .

و الغيب الظلمه و الجمع غياهب و إنما قال بعد ما ماج غيبتها لأنه أراد بعد ما عم ضلالها فشملم فكنى عن الضلال بالغيهب و كنى عن العموم و الشمول بالتموج لأن الظلمه إذا تموجت شملت أماكن كثيرة غير الأماكن التي تشملها لو كانت ساكنه و اشتد كلبها أي شرها و أذاها و يقال للقط الشديد كلب و كذلك للقر الشديد .

ثم قال ع سلوني قبل أن تفقدوني

١٤٩٤

١- رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ وَ هُوَ أَبُو عَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الرُّوَاهِ وَ الْمُحَدِّثِينَ قَالُوا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سَلُونِي إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

١٤٩٥

١- وَ رَوَى شَيْخُنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْإِسْكَافِيُّ فِي كِتَابِ نَقْضِ الْعُثْمَانِيَّةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْفَرِ عَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ عَلَى الْمُتَبَرِّ سَلُونِي إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع .

و الفئه الطائفه و الهاء عوض من الياء التي نقصت من وسطه و أصله فيء مثال فيع لأنه من فاء و يجمع على فئات مثل شيات و هبات و لدات.

و ناعقها الداعي إليها من نعيق الراعى بغنمه و هو صوته نعيق نعيق بالكسر نعيقا و نعاقا أي صاح بها و زجرها قال الأخطل فانعق بضأنك يا جرير فإنما متتك نفسك في الخلاء ضلالا (١).

ص: ٤٦

فأما الغراب فيقال نغق بالغين المعجمه ينغق بالكسر أيضا و حكى ابن كيسان نغق الغراب أيضا بعين غير معجمه .

و الركاب الإبل واحدها راحله و لا واحد لها من لفظها و جمعها ركب مثل كتاب و كتب و يقال زيت ركابي لأنه يحمل من الشام عليها.

و المناخ بضم الميم و محط بفتحها يجوز أن يكونا مصدرين و أن يكونا مكانين أما **□** كون المناخ مصدرا فلأنه كالمقام الذى بمعنى الإقامة و أما كون المحط مصدرا فلأنه كالمرد فى قوله سبحانه وَ أَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ (١) و أما كونهما موضعين فلأن المناخ من أنخت الجمل لا- من ناخ الجمل لأنه لم يأت و الفعل إذا جاوز الثلاثه فالموضع منه يأتى مضموم الميم لأنه مشبه ببنات الأربعة نحو دحرج و هذا مدحرجنا و من قال هذا مقام بنى فلان أى موضع مقامهم جعله كما جعلناه نحن من أقام يقيم لا من قام يقوم و أميا المحط فإنه كالمقتل موضع القتل يقال مقتل الرجل بين فكيه و يقال للأعضاء التى إذا أصيب الإنسان فيها هلك مقاتل و وجه المماثله كونهما مضمومى العين

فصل فى ذكر أمور غيبية أخبر بها الإمام ثم تحققت

و اعلم أنه ع قد أقسم فى هذا الفصل بالله الذى بيده أنهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم و بين القيامه إلا أخبرهم به و أنه ما صح من طائفه من الناس يهتدى بها مائه و تضل بها مائه إلا و هو مخبر لهم إن سألوه برعاتها و قائدها و سائقها و مواضع نزول ركابها و خيولها و من يقتل منها قتلا و من يموت منها موتا و هذه الدعوى ليست منه عليه ع ادعاء الربويه و لا ادعاء النبوه و لكنه كان يقول إن رسول الله ص

ص: ٤٧

أخبره بذلك و لقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقا فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكوره كإخباره عن الضربه يضرب بها في رأسه فتخضب لحيته و إخباره عن قتل الحسين ابنه ع و ما قاله في كربلاء حيث مر بها و إخباره بملك معاويه الأمر من بعده و إخباره عن الحجاج و عن يوسف بن عمر و ما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان و ما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم و صلب من يصلب و إخباره بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين و إخباره بعهده الجيش الوارد إليه من الكوفه لما شخص ع إلى البصره لحرب أهلها

١٤٩٦

وَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَ قَوْلُهُ فِيهِ حَبٌّ صَبَّ يَرُومُ أَمْرًا وَ لَا يُدْرِكُهُ يَنْصِبُ حِبَالَهُ الدِّينِ لِأَضْيَاطِئَادِ الدُّنْيَا وَ هُوَ بَعْدُ مَضِيْلُوبٌ قُرَيْشٍ .

و كإخباره عن هلاك البصره بالغرق و هلاكها تاره أخرى بالزنج و هو الذى صحفه قوم فقالوا بالريح و كإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان و تنصيبه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق بتقديم المهمله و هم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين و ولده و إسحاق بن إبراهيم و كانوا هم و سلفهم دعاه الدوله العباسيه و كإخباره عن الأئمه الذين ظهوروا من ولده بطبرستان كالناصر و الداعي و غيرهما

١٤٩٧

فِي قَوْلِهِ ع

وَ إِنَّ لِّأَلِ مُحَمَّدٍ بِالطَّلَاقِ لَكُنْزًا سَيُظْهِرُهُ اللَّهُ إِذَا شَاءَ دُعَاؤُهُ حَقٌّ يَقُومُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَيَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ .

١٤٩٨

وَ كإخباره عن مقتل النفس الركيه بالمدينه و قوله إنه يقتل عند أحجار الريت .

١٤٩٩

وَ كَقَوْلِهِ عَنْ أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْتُولِ بِبَابِ حَمْرَةَ

يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْ يُظْهِرَ وَ يُفْهَرُ بَعْدَ أَنْ يَقْهَرَ .

١٥٠٠

وَ قَوْلُهُ فِيهِ أَيْضًا يَا تَيْبَةَ سَهْمٌ غَرِبٌ (١) يَكُونُ فِيهِ مَيْتَةٌ فَيَا بُؤْسًا لِلرَّامِي شَلَّتْ يَدُهُ وَ وَهَنَ عَضُدُهُ.

١٥٠١

وَكَأَخْبَارِهِ عَنْ قَتْلِي وَحَجِّ وَقَوْلُهُ فِيهِمْ
هُمَّ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ .

و كإخباره عن المملكة العلوية بالغرب و تصريحه بذكر كتامه و هم الذين نصرُوا أبا عبد الله الداعي المعلم

١٥٠٢

وَ كَقَوْلِهِ وَ هُوَ يُشِيرُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَ هُوَ أَوْلُهُمْ
ثُمَّ يَظْهَرُ

ص: ٤٨

١-١) سهم غرب؛ أي لا يدرى راميهِ.

صَاحِبِ الْقَيْرَوَانَ الْغُضُّ الْبُضُّ ذُو النَّسَبِ الْمَحْضِ الْمُتَّجِبُ مِنْ سُلَالِهِ ذِي الْبِدَاءِ الْمَسْجِي بِالرِّدَاءِ .

و كان عبيد الله المهديّ أبيض (١) مترفا مشربا بحمره رخص البدن تار (٢) الأطراف و ذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد ع و هو المسجي بالرداء

١٥٠٣

٦- لِأَنَّ آيَاهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرًا سَجَاهُ بَرْدَائِهِ لَمَّا مَاتَ وَ أَدْخَلَ إِلَيْهِ وَجُوهَ الشَّيْعَةِ يُشَاهِدُونَهُ لِيَعْلَمُوا مَوْتَهُ وَ تَزُولَ عَنْهُمْ الشُّبُهَةُ فِي أَمْرِهِ .

١٥٠٤

وَ كَأَخْبَارِهِ عَنْ بَنِي بُويَهِ وَ قَوْلُهُ فِيهِمْ

وَ يَخْرُجُ مِنْ دَيْلَمَانَ بَنُو الصَّيَادِ .

إشاره إليهم و كان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو و عياله بثمانه فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكا ثلاثه و نشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم

١٥٠٥

١- وَ كَقَوْلِهِ ع فِيهِمْ ثُمَّ يَشْتَشِرِي أَمْرَهُمْ حَتَّى يَمْلِكُوا الزُّورَاءَ وَ يَخْلَعُوا الْخُلَفَاءَ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَكَمْ مَدَّتُهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مِائَةً أَوْ تَزِيدُ قَلِيلًا .

١٥٠٦

وَ كَقَوْلِهِ فِيهِمْ

وَ الْمُتْرَفُ ابْنُ الْأَجْدَمِ يَقْتُلُهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى دِجْلَةٍ .

و هو إشاره إلى عز الدوله بختيار بن معز الدوله أبي الحسين و كان معز الدوله أقطع اليد قطعت يده للنكوص في الحرب و كان ابنه عز الدوله بختيار مترفا صاحب لهو و شرب و قتله عضد الدوله فناخسرو ابن عمه بقصر الجص على دجله في الحرب و سلبه ملكه فأما خلعهم للخلفاء فإن معز الدوله خلع المستكفي و رتب عوضه المطيع و بهاء الدوله أبا نصر بن عضد الدوله خلع الطائع و رتب عوضه القادر و كانت مده ملكهم كما أخبر به ع.

و كإخباره ع لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده

١٥٠٧

١- فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وُلِدَ أَخْرَجَهُ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى عَلِيٍّ ع فَأَخَذَهُ وَتَفَلَّ فِي فِيهِ

ص: ٤٩

١-١) ساقطه من ب.

٢-٢) التار: الممتلىء جسمه و عظمه ريا.

وَ حَنَّكَ بِتَمْرِهِ قَدْ لَأَكَّهَا وَ دَفَعَهُ إِلَيْهِ وَ قَالَ خُذْ إِلَيْكَ أبا الأَمَلَاكِ .

هكذا الروايه الصحيحه و هى التى ذكرها أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل (1) و ليست الروايه التى يذكر فيها العدد بصحيحه و لا منقوله من كتاب معتمد عليه.

و كم له من الأخبار عن الغيوب الجاربه هذا المجرى ممّا لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيره و كتب السير تشتمل عليها مشروحه.

فإن قلت لما ذا غلا- الناس فى أمير المؤمنين ع فادعوا فيه الإلهيه لإخباره عن الغيوب التى شاهدوا صدقها عيانا و لم يغلوا فى رسول الله ص فيدعوا له الإلهيه و أخباره عن الغيوب الصادقه قد سمعوها و علموها يقينا و هو كان أولى بذلك لأنه الأصل المتبوع و معجزاته أعظم و أخباره عن الغيوب أكثر قلت إن الذين صحبوا رسول الله ص و شاهدوا معجزاته و سمعوا أخباره عن الغيوب الصادقه عيانا كانوا أشدّ آراء و أعظم أحلاما و أوفر عقولا من تلك الطائفه الضعيفه العقول السخيفه الأحلام الذين رأوا أمير المؤمنين ع فى آخر أيامه كعبد الله بن سبأ و أصحابه فإنهم كانوا من ركاهه البصائر و ضعفها على حال مشهوره فلا عجب عن مثلهم أن تستخفهم المعجزات فيعتقدوا فى صاحبها أن الجوهر الإلهى قد حله لاعتقادهم أنه لا يصحّ من البشر هذا إلاّ بالحلول و قد قيل إن جماعه من هؤلاء كانوا من نسل النصارى و اليهود و قد كانوا سمعوا من آبائهم و سلفهم القول بالحلول فى أنبيائهم و رؤسائهم فاعتقدوا فيه ع مثل ذلك و يجوز أن يكون أصل هذه المقاله من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد فى دين الإسلام فذهبوا إلى ذلك و لو كانوا فى أيام رسول الله ص لقالوا فيه مثل هذه المقاله إضلالا لأهل

ص : ٥٠

الإسلام وقصدا لإيقاع الشبهه فى قلوبهم و لم يكن فى الصحابه (١) مثل هؤلاء و لكن قد كان فيهم منافقون و زنادقه و لم يهتدوا إلى هذه الفتنة و لا خطر لهم مثل هذه المكيدة.

و ممّا ينقدح لى من الفرق بين هؤلاء القوم و بين العرب الذين عاصروا رسول الله ص أن هؤلاء من العراق و ساكنى الكوفه و طينه العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء و أصحاب النحل العجيبه و المذاهب البديعه و أهل هذا الإقليم أهل بصر و تدقيق و نظر و بحث عن الآراء و العقائد و شبه معترضه فى المذاهب و قد كان منهم فى أيام الأكاسره مثل مانى و ديصان و مزدك و غيرهم و ليست طينه الحجاز هذه الطينه و لا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان و الغالب على أهل الحجاز الجفاء و العجرفيه و خشونه الطبع و من سكن المدن منهم كأهل مكّه و المدينه و الطائف فطباعهم قريبه من طباع أهل الباديه بالمجاوره و لم يكن فيهم من قبل حكيم و لا فيلسوف و لا صاحب نظر و جدل و لا موقع شبهه و لا مبتدع نحله و لهذا نجد مقاله الغلاه طارئه و ناشئه من حيث سكن على ع بالعراق و الكوفه لا فى أيام مقامه بالمدينه و هى أكثر عمره.

فهذا ما لاح لى من الفرق بين الرجلين فى المعنى المقدم ذكره.

فإن قلت لما ذا قال عن فئه تهدى مائه و ما فائده التقييد بهذا العدد قلت لأن ما دون المائه حقير تافه لا يعتد به ليذكر و يخبر عنه فكأنه قال مائه فصاعدا .

قوله ع كرائه الأمور جمع كريبه و هى الشده فى الحرب و حوازب الخطوب جمع حازب و حزبه الأمر أى دهمه.

ص: ٥١

١-١) كذا فى ا،ب،ج،و فى د«أصحابه».

و فشل جبن فإن قلت أما فشل المسئول فمعلوم فما الوجه في إطراق السائل قلت لشده الأمر و صعوبته حتى أن السائل لييهت و يدهش فيطرق و لا يستطيع السؤال .

قوله ع إذا قلصت حربكم يروى بالتشديد و بالتخفيف و يروى عن حربكم فمن رواه مشددا أراد انضمت و اجتمعت و ذلك لأنه يكون أشد لها و أصعب من أن تتفرق في مواطن متباعده ألا ترى أن الجيوش إذا اجتمعت كلها و اصطدم الفيلقان كان الأمر أصعب و أظع من أن تكون كل كتبه من تلك الجيوش تحارب كتبه أخرى في بلاد متفرقه متباعده و ذلك لأن اصطدام الفيلقين بأجمعهما هو الاستئصال الذي لا شوى (١) له و لا- بقيا بعده و من رواها بالتخفيف أراد كثرت و تزايدت من قولهم قلصت البئر أى ارتفع ماؤها إلى رأسها أو دونه و هو ماء قالص و قليص و من روى إذا قلصت عن حربكم أراد إذا قلصت كرائه الأمور و حوازب الخطوب عن حربكم أى انكشفت عنها و المضارع من قلص يقلص بالكسر .

قوله و شممت عن ساق استعاره و كنايه يقال للجاد فى أمره قد شمر عن ساق و ذلك لأن سبوغ الذيل معثره و يمكن أن يجرى اللفظ على حقيقته و ذلك أن قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ (٢) فسروه فقالوا الساق الشده فيكون قد أراد بقوله و شممت عن ساق أى كشفت عن شده و مشقه .

ثم قال تستطيلون أيام البلاء و ذلك لأن أيام البؤس طويله قال الشاعر

ص: ٥٢

١- ١) لا شوى له؛ أى لا إبقاء له؛ قال الكميت: أجيوا رقى الآسى التّطاسى و احذروا مطفئه الرّضف التى لا شوى لها.

٢- ٢) سورة القلم ٤٢.

وقال أبو تمام ثم انبرت أيام هجر أردفت بجوى أسي فكأنها أعوام (١).

قوله ع إن الفتن إذا أقبلت شبهت معناه أن الفتن عند إقبالها وابتداء حدوثها يلتبس أمرها ولا يعلم الحق منها من الباطل إلى أن تنقضى و تدبر فحينئذ ينكشف حالها و يعلم ما كان مشتبهها منها ثم أكد ع هذا المعنى بقوله ينكرن مقبلات و يعرفن مدبرات و مثال ذلك فتنه الجمل و فتنه الخوارج كان كثير من الناس فيها فى مبدأ الأمر متوقفين و اشتبه عليهم الحال و لم يعلموا موضع الحق إلى أن انقضت الفتنه و وضعت الحرب أوزارها و بان لهم صاحب الضلاله من صاحب الهدايه .

ثم وصف الفتن فقال إنها تحوم حوم الرياح يصبن بلدا و يخطئن بلدا حام الطائر و غيره حول الشيء يحوم حوما و حوماناً أى دار .

ثم ذكر أن أخوف ما يخاف عليهم فتنه بنى أمية و معنى قوله عمت خطتها و خصت بليتها أنها عمت الناس كافة من حيث كانت رئاسه شامله لكل أحد و لكن حظ أهل البيت ع و شيعتهم من بليتها أعظم و نصيبهم فيها أوفر .

و معنى قوله و أصاب البلاء من أبصر فيها و أخطأ البلاء من عمى عنها أن العالم بارتكابهم المنكر مأثوم إذ لم ينكر و الجاهل بذلك لا إثم عليه إذا لم ينههم عن المنكر لأن من لا يعلم المنكر منكرا لا يلزمه إنكاره و لا يعنى بالمنكر هاهنا

ما كان منكرا من الاعتقادات و لا ما يتعلق بالأمانه بل الزنى و شرب الخمر و نحوهما من الأفعال القبيحه.

فإن قلت أى فرق بين الأمرين قلت لأن تلك يلحق الإثم من لا يعلمها إذا كان متمكنا من العلم بها و هذه لا يجب إنكارها إلا مع العلم بها و من لا يعلمها لا يلحقه الإثم إذا كان متمكنا من العلم بها فافترق الموضوعان .

ثم أقسم ع فقال و أيم الله و أصله و ايمن الله و اختلف النحويون فى هذه الكلمه فعند الأكثرين منهم أن ألفها ألف وصل و أن أيمن اسم وضع للقسم هكذا بألف وصل و بضم الميم و النون قالوا و لم يأت فى الأسماء ألف وصل مفتوحه غيرها و تدخل عليها اللام لتأكيد الابتداء فتقول ليمن الله فتذهب الألف قال الشاعر فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم و فريق ليمن الله ما ندرى (١) و هذا الاسم مرفوع بالابتداء و خبره محذوف و التقدير ليمن الله قسمي فإذا خاطبت قلت ليمنك و فى حديث عروه بن الزبير ليمنك لئن كنت ابتليت لقد عافيت و لئن كنت أخذت لقد أبقيت (٢) و تحذف نونه فيصير أيم الله بألف وصل مفتوحه و قد تكسر و ربما حذفوا الياء فقالوا أم الله و ربما أبقوا الميم وحدها مضمومه فقالوا م الله و قد يكسرونها لما صارت حرفا شبهوها بالباء و ربما قالوا من الله بضم الميم و النون و من الله بكسرهما و من الله بفتحهما و ذهب أبو عبيد و ابن كيسان و ابن درستويه إلى أن أيمن جمع يمين و الألف همزه قطع و إنما خففت

ص: ٥٤

١- (١) اللسان ٣٥٤:٧؛ و نسبه إلى نصيب ص ١٧٨.

٢- (٢) النهايه لابن الأثير ٢٤٨:٤.

و طرحت فى الوصل لكثرة الاستعمال قالوا و كانت العرب تحلف باليمين فتقول يمين الله لا أفعل قال إمرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى (١) قالوا و اليمين تجمع على أيمن قال زهير فتجمع أيمن منا و منكم بمقسمه تمور بها الدماء (٢) .

ثم حلفوا به فقالوا أيمن الله ثم كثر فى كلامهم و خف على ألسنتهم حتى حذفوا منه النون كما حذفوا فى قوله لم يكن فقالوا لم يك فأقسم ع لأصحابه أنهم سيجدون بنى أمية بعده لهم أرباب سوء و صدق ص فيما قال فإنهم ساموهم سوء العذاب قتلا و صلبا و حبسا و تشريدا فى البلاد .

ثم شبه بنى أمية بالناب الضروس و الناب الناقه المسنه و الجمع نيب تقول لا أفعله ما حنت النيب و الضروس السيئه الخلق تعض حالها .

و تعذب بفيها تكدم و العدم الأكل بجفاء و فرس عذوم يعض بأسنانه .

و الزين الدفع زينت الناقه تزين إذا ضربت بثفناها عند الحلب تدفع الحالب عنها و الدر اللبن و فى المثل لا در دره الأصل لبنة ثم قيل لكل خير و ناقه درور أى كثيره اللبن .

ثم قال لا- يزالون بكم قتلا- و إفاء لكم حتى لا- يتركوا منكم إلا- من ينفعهم إبقاؤه أو لا- يضرهم و لا ينفعهم قال حتى يكون انتصار أحدكم منهم كانتصار العبد من مولاه أى لا انتصار لكم منهم لأن العبد لا ينتصر من مولاه أبدا و قد جاء فى كلامه

ص: ٥٥

١-١) ديوانه ٣٢.

٢-٢) ديوانه ٧٨ مقسمه: موضع الحلف عند الأصنام؛ و قال بعضهم: مكّه؛ لأنها تنحر بها البدن و تمور بها الدماء. و تمور: تسيل (من شرح الديوان).

ع فى غير هذا الموضوع تتمه هذا المعنى إن حضر أطاعه و إن غاب سبعه أى ثلته و شتمه و هذه أماره الذل كما قال أبو الطيب
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى

قال ع و الصاحب من مستصحه أى و التابع من متبوعه .

و الشوه جمع شوهاء و هى القبيحه الوجه شاهت الوجوه تشوه شوها (١) قبحت و شوهه الله فهو مشوه و هى شوهاء و لا يقال
للذكر أشوه و مخشيه مخوفه .

و قطعاً جاهليه

شبهها بقطع السحاب لتراكمها على الناس و جعلها جاهليه لأنها كأفعال الجاهليه الذين لم يكن لهم دين يردعهم و يروى شوهاء
و قطعاً أى نكراء كالمقطوعه اليد .

قوله نحن أهل البيت منها بمنجاه أى بمعزل و النجاه و النجوه المكان المرتفع الذى تظن أنه نجاك و لا يعلوه السيل و لسنا فيها
بدعاه أى لسنا من أنصار تلك الدعوه و أهل البيت منصوب على الاختصاص كقولهم نحن معشر العرب نفعل كذا و نحن آل
فلان كرماء .

قوله كتفريج الأديم الأديم الجلد و جمعه أدم مثل أفيق و أفق و يجمع أيضا على آدمه كرجيف و أرغفه و وجه التشبيه أن الجلد
ينكشف عما تحته فوعدهم ع بأن الله تعالى يكشف تلك الغماء كانكشاف الجلد عن اللحم بمن يسومهم خسفا و يوليهم ذلا .

ص: ٥٦

و العنف بالضم ضد الرفق و كأس مصبره ممزوجه بالصبر لهذا المر و يجوز أن يكون مصبره مملوءه إلى أصبارها و هي جوانبها و فى المثل أخذها بأصبارها أى تامه الواحد صبر بالضم .

و يحلسهم يلبسهم أحلست البعير ألبسته الحلس و هو كساء رقيق يكون تحت البرذعه يقال له حلس و حلس مثل شبه و شبه .

و الجزور من الإبل يقع على الذكر و الأنثى و جزرها ذبحها .

و هذا الكلام إخبار عن ظهور المسوده و انقراض ملك بنى أميه و وقع الأمر بموجب إخباره ص حتى لقد صدق قوله لقد تود قريش الكلام إلى آخره فإن أرباب السير كلهم نقلوا أن مروان بن محمّد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العيّاس بإزائه فى صف خراسان لوددت أن عليّ بن أبى طالب تحت هذه الرايه بدلا من هذا الفتى و القصه طويله و هي مشهوره (١) .

و هذه الخطبه ذكرها جماعه من أصحاب السير و هي متداوله منقوله مستفيضه خطب بها على ع بعد انقضاء أمر النهروان و فيها ألفاظ لم يوردها الرضى رحمه الله من ذلك

١٥٠٨

١- قَوْلُهُ ع وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَّ عَلَيْهَا غَيْرِي وَ لَوْ لَمْ أَكُ فِيكُمْ مَا قُوتِلَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَ النَّهْرَوَانَ وَ أَيُّمَ اللَّهِ لَوْ لَا أَنْ تَتَّكَلُوا فَتَدْعُوا الْعَمَلَ لِحَدِّثِكُمْ بِمَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ص لِمَنْ قَاتَلَهُمْ مُبْصِرًا لَضَلَالَتِهِمْ عَارِفًا لِلْهُدَى الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ سُلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَإِنِّي مَيِّتٌ عَنْ قَرِيبٍ أَوْ مَقْتُولٌ بَلْ قَتَلًا مَا يَنْتَظِرُ أَشْفَاهَا أَنْ يَخْضِبَ هَذِهِ بَدَمٍ وَ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ .

ص: ٥٧

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ بَنِي أُمِّيَّةَ

يُظْهِرُ أَهْلَ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا حَتَّى تُمَلَأَ الْأَرْضُ عُيُودَانًا وَظُلْمًا وَبِدْعًا إِلَى أَنْ يَضَعَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ جَبْرُوتَهَا وَيَكْسِرَ عِمَدَهَا وَ
يَنْزِعَ أَوْتَادَهَا أَلَا وَ إِنَّكُمْ مُدْرِكُوهَا فَانصِبُوا قَوْمًا كَانُوا أَضْيَاحَ رَايَاتِ بَدْرٍ وَ حَنِينٍ تُوجِرُوا وَ لَا تَمَالُئُوا عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَتَضْرَعَكُمْ
الْبَيْتِيَّةَ وَ تَحِلُّ بِكُمْ التَّقِيمَةَ .

١٥١٠

وَمِنْهَا

إِلَّا مِثْلَ انْتِصَارِ الْعَبِيدِ مِنْ مَوْلَاهُ إِذَا رَأَهُ أَطَاعَهُ وَ إِنْ تَوَارَى عَنْهُ شَتَمَهُ وَ أَيَّمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُواكُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ
لَهُمْ .

١٥١١

وَمِنْهَا

فَانظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَإِنْ لَبِدُوا فَالْبِدُوا وَ إِنْ اسْتَنْصِرُواكُمْ فَانصِبُوا لَهُمْ فَلْيَفْرَجَنَّ اللَّهُ الْفِتْنَةَ بِرَجُلٍ مِّنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ بِأَبِي إِبْنِ خَيْرِهِ
الْإِمَاءِ لَا- يُعْطِيهِمْ إِلَّا- السَّيْفَ هَزْجًا هَزْجًا مَوْضُوعًا عَلَى عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى تَقُولَ قُرَيْشٌ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ لَرَحِمْنَا
يُغْرِيهِ اللَّهُ بَنِي أُمِّيَّةَ حَتَّى يَجْعَلَهُمْ حُطَامًا وَ رُفَاتًا مَلْعُونِينَ أَيُّهَا ثَقُفُوا أَخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا- سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ
تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا .

فإن قيل لما ذا

١٥١٢

قَالَ

وَ لَوْ لَمْ أَكُ فِيكُمْ لَمَّا قُوتِلَ أَهْلُ الْجَمَلِ وَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ . و لم يذكر صفين قيل لأن الشبهه كانت في أهل الجمل و أهل
النهروان ظاهره الالتباس لأن الزبير و طلحه موعودان بالجنه و عائشه موعوده أن تكون زوجة رسول الله ص في الآخرة كما هي
زوجته في الدنيا و حال طلحه و الزبير في السبق و الجهاد و الهجره معلومه و حال عائشه في محبه الرسول ص لها و ثنائه عليها و
نزول القرآن فيها معلومه و أما أهل النهروان فكانوا أهل قرآن و عباده و اجتهاد و عزوف عن الدنيا و إقبال على أمور الآخرة و
هم كانوا قراء أهل العراق و زهادهم و أما معاويه فكان فاسقا مشهورا بقله الدين و الانحراف عن الإسلام و كذلك ناصره و
مظاهرة على أمره عمرو بن العاص و من اتبعهما من طعام أهل الشام و أجلافهم و جهال الأعراب فلم يكن أمرهم خافيا في جواز

محاربتهم و استحلال قتالهم بخلاف حال من تقدم ذكره.

ص: ٥٨

فإن قيل و من هذا الرجل الموعود به الذى قال ع عنه بأبى ابن خيره الإمام قيل أما الإماميه فيزعمون أنه إمامهم الثانى عشر و أنه ابن أمه اسمها نرجس و أمّا أصحابنا فيزعمون أنه فاطمى يولد فى مستقبل الزمان لأم ولد و ليس بموجود الآن.

فإن قيل فمن يكون من بنى أميه فى ذلك الوقت موجودا حتى يقول ع فى أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم حتى يودوا لو أن عليا ع كان المتولى لأمرهم عوضا عنه.

قيل أما الإماميه فيقولون بالرجعه و يزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بنى أميه و غيرهم إذا ظهر إمامهم المنتظر و أنه يقطع أيدى أقوام و أرجلهم و يسمل عيون بعضهم و يصلب قوما آخرين و ينتقم من أعداء آل محمّد ع المتقدمين و المتأخرين و أمّا أصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى فى آخر الزمان رجلا من ولد فاطمه ع ليس موجود الآن و أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا و ظلما و ينتقم من الظالمين و ينكل بهم أشد النكال و أنه لأم ولد كما قد ورد فى هذا الأثر و فى غيره من الآثار و أن اسمه محمد كاسم رسول الله ص و أنه إنما يظهر بعد أن يستولى على كثير من الإسلام ملكك من أعقاب بنى أميه و هو السفينانى الموعود به فى الخبر الصحيح من ولد أبى سفیان بن حرب بن أميه و أن الإمام الفاطمى يقتله و يقتل أشياعه من بنى أميه و غيرهم و حينئذ ينزل المسيح ع من السماء و تبدو أشرط الساعه و تظهر دابه الأرض و يبطل التكليف و يتحقق قيام الأجساد عند نفخ الصور كما نطق به الكتاب العزيز .

فإن قيل فإنكم قلت فيما تقدم أن الوعد إنما هو بالسفاح و بعمه عبد الله بن علي و المسوده و ما قلتموه الآن مخالف لذلك.

قيل إن ذلك التفسير هو تفسير ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من كلام أمير المؤمنين ع فى نهج البلاغه و هذا التفسير هو تفسير الزيادة التى لم يذكرها الرضى و هى قوله بأبى ابن خيره الإمام و قوله لو كان هذا من ولد فاطمه لرحمنا فلا مناقضه بين

التفسيرين

ص : ٦٠

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهَمِّ وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ [فَيَنْتَهِي]

فَيَنْتَهِي وَلَا آخِرَ لَهُ [فَيَنْقُضِي]

فَيَنْقُضِي .

البركه كثره الخير و زيادته و تبارك الله منه و بركت أى دعوت بالبركه و طعام بريك أى مبارك و يقال بارك الله لزيد و فى زيد و على زيد و بارك الله زيدا يتعدى بنفسه و منه قوله تعالى أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ (١) و يحتمل تبارك الله معنيين أحدهما أن يراد تبارك خيره و زادت نعمته و إحسانه و هذا دعاء و ثانيهما أن يراد (٢) به ترايد و تعال فى ذاته و صفاته عن أن يقاس به غيره و هذا تمجيد.

قوله ع لا- يبلغه بعد الهمم أى بعد الأفكار و الأنظار عبر عنها بالهمم لمشابهتها إياها و حدس الفطن ظنها و تخمينها حدست أحدس بالكسر .

و يسأل عن قوله لا- غاية له فينتهى و لا آخر له فينقضى فيقال إنما تدخل الفاء فيما إذا كان الثانى غير الأول و كقولهم ما تأتينا فتحدّثنا و ليس الثانى هاهنا غير الأول لأن الانقضاء هو الآخريه بعينها فكأنه قال لا آخر له فيكون له آخر و هذا لغو و كذلك القول اللفظه فى الأولى.

و ينبغى أن يقال فى الجواب إن المراد لا آخر له بالإمكان و القوّه فينقضى بالفعل فيما

ص: ٦١

١- ١) سورة النمل ٢٧.

٢- ٢) ساقط من ب.

لا- يزال ولا- هو أيضا ممكن الوجود فيما مضى فيلزم أن يكون وجوده مسبوqa بالعدم و هو معنى قوله فينتهى بل هو واجب الوجود فى حالين فيما مضى و فى المستقبل و هذان مفهومان متغايران و هما العدم و إمكان العدم فاندفع الإشكال فاستودعهم فى أفضل مسودع و أقرهم فى خير مسودع تناسختهم كرائم الأضلاب إلى مطهرات الأرحام كلما مضى منهم سيلف قام منهم بعدين الله خلف حتى أفضت كرامه الله سبحانه و تعالى إلى محمد ص فأخرجه من أفضل المعادن منبتا و أعز الأرومات مغرسا من الشجره التى صدع منها أنبياءه و انتجب منها أمناءه عثرته خير العتر و أسيرته خير الأسير و شجرته خير الشجر نبتت فى حرم و بسقت فى كرم لها فروع طوال و ثمر لا ينال فهو إمام من اتقى و بصيره من اهتدى سراج لمع ضوؤه و شهاب ساطع نوره و زند برق لمعه سيرته القصد و سينته الرشد و كلامه الفصل و حكمه العدل أرسله على حين فتره من الرسل و هفوه عن العمل و غباوه من الأمم .

تناسختهم

أى تناقلتهم و التناسخ فى الميراث أن يموت ورثه بعد ورثه و أصل الميراث

ص: ٦٢

قائم لم يقسم كأن ذلك تناقل من واحد إلى آخر و منه نسخت الكتاب و انتسخته و استنسخته أى نقلت ما فيه و يروى تناسلتهم

و السلف المتقدمون و الخلف الباقون و يقال خلف صدق بالتحريك و خلف سوء بالتسكين .

و أفضت كرامه الله إلى محمد ص أى انتهت و الأرومات جمع أرومه و هى الأصل و يقال أروم بغير هاء و صدع شق و انتجب اصطفى و الأسره رهط الرجل .

و قوله نبتت فى حرم يجوز أن يعنى به مكه و يجوز أن يعنى به المنعه و العز .

و بسقت

طالت و معنى قوله و ثمر لا ينال ليس على أن يريد به أن ثمرها لا ينتفع به لأن ذلك ليس بمدح بل يريد به أن ثمرها لا ينال قهرا و لا يجنى غصبا و يجوز أن يريد بثمرها نفسه ع و من يجرى مجراه من أهل البيت ع لأنهم ثمره تلك الشجره .

و لا- ينال أى لا- ينال مساعيتهم و مآثرهم و لا يباريهم أحد و قد روى فى الحديث عن النبى ص فى فضل قريش و بنى هاشم الكثير المستفيض نحو

١٥١٣

قَوْلُهُ ع قَدَّمُوا قُرَيْشًا وَ لَا تَقَدَّمُوهَا.

و

١٥١٤

قَوْلُهُ الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ .

و

١٥١٥

قَوْلُهُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْعَرَبِ مَعَدًّا وَ اصْطَفَى مِنْ مَعَدِّ بَنِي النَّضْرِ بَنَ كِنَانَةَ وَ اصْطَفَى هَاشِمًا مِنْ بَنِي النَّضْرِ وَ اصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .

و

١٥١٦

قَوْلُهُ إِنَّ جَبْرَائِيلَ ع قَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ قَدْ طُفِتِ الْأَرْضُ شَرْقًا وَ غَرْبًا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا أَكْرَمَ مِنْكَ وَلَا بَيْتًا أَكْرَمَ مِنْ بَيْتِي هَاشِمٍ .

و

١٥١٧

قَوْلُهُ نُقِلْنَا مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الزَّكِيَّةِ .

و

١٥١٨

قَوْلُهُ ع إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَمَسِّنِي بِسَفَاحٍ فِي أَرْوَمَتِي مُنْذُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ

ص: ٦٣

بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

و

١٥١٩

قَوْلُهُ صِ سَادَهُ أَهْلِ مَحْشَرٍ سَادَهُ أَهْلِ الدُّنْيَا أَنَا وَ عَلِيٌّ وَ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ وَ حَمْرَهُ وَ جَعْفَرٌ .

و

١٥٢٠

١٤- قَوْلُهُ وَ قَدْ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشِدُ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا نَزَلْتُ بِأَلِ عَبْدِ الدَّارِ أَ هَكَذَا قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مُنْكَرًا لِمَا سَمِعَ فَقَالَ
أَبُو بَكْرٍ لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ هَكَذَا وَ لَكِنَّهُ قَالَ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ فَسَرَ صِ بِذَلِكَ

و

١٥٢١

قَوْلُهُ أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَذَلَّ قُرَيْشًا قَالَهَا ثَلَاثًا .

و

١٥٢٢

كَقَوْلِهِ

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ

أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

و

١٥٢٣

كَقَوْلِهِ النَّاسُ تَبِعَ لِقُرَيْشٍ بُرْهُمَ لِبُرْهُمَ وَ فَاجِرُهُمْ لِفَاجِرِهِمْ .

و

١٥٢٤

كَقَوْلِهِ أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ.

و

١٥٢٥

قَوْلُهُ لِيْنِي هَاشِمٌ وَاللَّهِ لَا يُبَغِضُكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِيهِ فِي النَّارِ .

و

١٥٢٦

قَوْلُهُ مَا بَالُ رِجَالٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ قَرَابَتِي غَيْرُ نَافِعَةٍ بَلَى إِنَّهَا لَنَافِعَةٌ وَإِنَّهُ لَا يُبَغِضُ أَحَدًا أَهْلِي إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ .

و الأخبار الواردة في فضائل قريش و بنى هاشم و شرفهم كثيره جدا و لا نرى الإطاله هاهنا باستقصائها .

و سَطَعَ الصَّبْحُ يَسْطَعُ سَطْوَعًا أَيْ ارْتَفَعَ وَ السَّطِيعُ الصَّبْحُ وَ الزَّنْدُ الْعُودُ تَقْدَحُ بِهِ النَّارُ وَ هُوَ الْأَعْلَى وَ الزَّنْدَةُ السُّفْلَى فِيهَا ثَقْبٌ وَ هِيَ الْأُنْثَى فَإِذَا اجْتَمَعَا قِيلَ زَنْدَانٌ وَ لَمْ يَقُلْ زَنْدَتَانِ تَغْلِيْبًا لِلتَّذْكِيرِ وَ الْجَمْعُ زَنْادٌ وَ أَزْنَادٌ .

وَ الْقَصْدُ الْإِعْتِدَالُ وَ كَلَامُهُ الْفَصْلُ أَيْ الْفَاصِلُ وَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ هُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ رَجُلٌ عَدَلَ أَيْ عَادَلَ .

وَ الْهَفْوَةُ الزَّلَّةُ هَذَا يَهْفُو وَ الْغَبَاوَةُ الْجَهْلُ وَ قَلْبُهُ الْفِطْنَةُ يُقَالُ غَبِيتَ عَنِ الشَّيْءِ وَ غَبِيتَ

ص: ٦٤

الشيء أيضا أغيب غباوه إذا لم يفتن له و غبي على الشيء كذلك إذا لم تعرفه و فلان غبي على فعيل أى قليل الفطنه اِعْمَلُوا
رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيْنَهُ فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَ أَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَ
الْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَ الْأَبْدَانُ صَّحِيحَةٌ وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَ التَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

الطريق يذكر و يؤنث يقال هذا الطريق الأعظم و هذه الطريق العظمى و الجمع أطرقه و طرق .

و أعلام بينه أى منار واضح و نهج أى واضح و دار السلام الجنه و يروى و الطريق نهج بالواو واو الحال .

و أنتم فى دار مستعتب

أى فى دار يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه و استعتابه .

ثم شرح ذلك فقال أنتم ممهلون متفرغون و صحف أعمالكم لم تطو بعد و أقلام الحفظه عليكم لم تجف بعد و أبدانكم
صحيحة و ألسنتكم ما اعتقلت كما تعتقل ألسنه المحتضرين عند الموت و توبتكم مسموعه و أعمالكم مقبوله لأنكم فى دار
التكليف لم تخرجوا منها

ص: ٦٥

بَعَثَهُ وَ النَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرِهِ وَ حَاطِبُونَ فِي فِتْنِهِ قَدِ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَ اسْتَرَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ وَ اسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَ بَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ فَبَالَغَ ص فِي النَّصِيحَةِ وَ مَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ وَ دَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

(١)

حاطبون في فتنه

جمع حاطب و هو الذى يجمع الحطب و يقال لمن يجمع بين الصواب و الخطأ أو يتكلم بالغث و السمين حاطب ليل لأنه لا يبصر ما يجمع في حبله. و يروى خابطون .

و استهوتهم الأهواء دعتهم إلى نفسها .

و استرلتهم الكبرياء

جعلتهم ذوى زلل و خطأ و استخفتهم الجاهليه جعلتهم ذوى خفه و طيش و خرق .

و الزلزال بالفتح الاسم بالكسر المصدر و الزلازل الشدائد و مثله فى الكسر عند الاسميه و الفتح عند المصدر القلقال

ص: ٦٦

١-١) ساقطه من مخطوطه النهج.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ وَ الظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ وَ الْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

تقدير الكلام و الظاهر فلا شيء أجلي منه و الباطن فلا شيء أخفى منه فلما كان الجلاء يستلزم العلو و الفوقيه و الخفاء يستلزم الانخفاض و التحتيه عبر عنهما بما يلازمهما و قد تقدم الكلام فى معنى الأول و الآخر و الظاهر و الباطن.

و ذهب أكثر المتكلمين إلى أن الله تعالى يعدم أجزاء العالم ثم يعيدها و ذهب قوم منهم إلى أن الإعادة إنما هى جمع الأجزاء بعد تفريقها لا غير.

و احتج الأولون بقوله تعالى هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ (١) قالوا لما كان أولاً بمعنى أنه الموجود و لا موجود معه و جب أن يكون آخراً بمعنى أنه سيئول الأمر إلى عدم كل شيء إلا ذاته تعالى كما كان أولاً و البحث المستقصى فى هذا الباب مشروح فى كتبنا الكلاميه

ص: ٦٧

وَ مِنْهَا فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ ص مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٌّ وَ مَنْبُتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْتِدَهُ
الْأَبْرَارِ وَ تُنْبِتُ إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ الْأَبْصَارِ دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ وَ أَطْفَأَ بِهِ [الْتَوَائِرَ]

الْتَوَائِرِ أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا وَ فَرَّقَ بِهِ أَفْرَانًا وَ أَعَزَّ بِهِ الذُّلَّةَ وَ أَدَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ كَلَامُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ .

المهاد الفراش و لما قال في معادن و هي جمع معدن قال بحكم القرينه و الازدواج و مماهده و إن لم يكن الواحد منها ممهدا
كما قالوا الغدايا و العشايا و مأجورات و مأزوات و نحو ذلك و يعنى بالسلامه هاهنا البراءه من العيوب أى فى نسب طاهر غير
مأفون و لا معيب .

ثم قال قد صرفت نحوه أى نحو الرسول ص و لم يقل من صرفها بل جعله فعلا لم يسم فاعله فإن شئت قلت الصارف لها هو الله
تعالى لا بالجبر كما يقوله الأشعريه بل بالتوفيق و اللطف كما يقوله أصحابنا و إن شئت قلت صرفها أربابها .

و الضغائن جمع ضغينه و هى الحقد ضغنت على فلان بالكسر ضغنا و الضغن الاسم كالضغينه و قد تضاغنوا و اضطغنوا انطوا
على الأحقاد و دفنها أكمناها و أخفاها و ألف به إخوانا لأن الإسلام قد ألف بين المتباعدين و فرق بين المتقاربين و قال

تعالى فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا (١) قطع ما بين حمزه و أبي لهب مع تقاربهما و ألف بين على ع و عمار مع تباعدهما .

قوله ع و صمته لسان لا يعنى باللسان هاهنا الجارحه نفسها بل الكلام الصادر عنها كقول الأعشى (٢) إني أتتني لسان لا أسر بها قالوا فى تفسيره أراد الكلمه و جمعه على هذا ألسن لأنه مؤنث كقولك ذراع و أذرع فأما جمع لسان للجارحه فألسنه لأنه مذكر كقولك حمار و أحمره يقول ع إن كلام الرسول ص بيان و البيان إخراج الشىء من حيز الخفاء إلى حيز الوضوح و صمته ص كلام و قول مفيد أى أن صمته لا يخلو من فائده فكأنه كلام و هذا من باب التشبيه المحذوف الأداة كقولهم يده بحر و وجهه بدر

ص: ٦٩

١-١) سورة آل عمران ١٠٣.

٢-٢) هو أعشى باهله؛ و بقيته: من علو لا كذب فيها و لا سخر* ديوان الأعشى ٢٦٦.

وَ لَيْسَ أَمَهْلَ اللَّهِ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ وَ هُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَ بِمَوْضِعِ (١) الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ أَمَا وَ الَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لِيُظْهَرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لَانَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى [بَاطِلِهِمْ]

(٢) بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَ إِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي وَ لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رِعَاتِهَا وَ أَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ
فَلَمْ تَنْفِرُوا وَ أَسِيَمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسِيَمَعُوا وَ دَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا فَلَمْ تَسِيَجِيبُوا وَ نَصِيحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَ شُهُودٌ (٣) كَغِيَابٍ وَ عَيْدٍ
كَأَرْيَابٍ أَتَلُو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا وَ أَعْظَمُ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَنْفِرُونَ عَنْهَا وَ أَحْكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَى عَلَى
آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَائِكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ أُقَوْمُكُمْ غُدْوَةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً
كَظَهَرَ الْحَيَّةَ عَجَزَ الْمُتَعَوِّمِ وَ أَعْضَلَ الْمُتَعَوِّمِ أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَيْدَانُهُمُ الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عَقُولُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمُ الْمُتَبَتِّلِي بِهِمْ
أَمْرَاؤُهُمْ صَاحِبِكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَ صَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعِصِي اللَّهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَ اللَّهَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ
صَرْفَ الدِّينَارِ بِالذَّرْهِمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ

ص : ٧٠

١ - ١) مخطوطه النهج: «و موضع».

٢ - ٢) مخطوطه النهج: «باطل صاحبهم».

٣ - ٣) مخطوطه النهج: «أ شهد».

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ صُمُّ ذَوْوِ أَسِيمَاعٍ وَ بُكْمُ ذَوْوِ كَلَامٍ وَ عُمَى ذَوْوِ أَبْصَارٍ لَا أَخْرَارُ صَدَقَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبْلِ غَابَ عَنْهَا رِعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ وَ اللَّهُ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعَى وَ حَمَى الضَّرَابُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرَاهِ عَنْ قُبَيْلِهَا وَ إِنِّي لَعَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبُ لَقَطًّا .

أمهله أخره و أخذه فاعل و المفعول محذوف تقديره فلن يفوته و المرصاد (١) الطريق و هى من ألفاظ الكتاب العزيز . و مجاز طريقه مسلكه و موضع جوازه و الشجا ما ينشب فى الحلق من عظم أو غيره و موضع الشجا هو الحلق نفسه و مساغ ريقه موضع الإساغه أسغت الشراب أوصلته إلى المعده و يجوز سغت الشراب أسوغه و أسیغه و ساغ الشراب نفسه يسوغ سوغا أى سهل مدخله فى الحلق يتعدى و لا يتعدى و هذا الكلام من باب التوسع و المجاز لأن الله تعالى لا يجوز عليه الحصول فى الجهات و لكنه كقوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٢) و قوله وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٣) .

ص : ٧١

١- ١) و هو من قوله تعالى فى سورة الفجر ٨٩: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ .

٢- ٢) سورة الحديد ٤.

٣- ٣) سورة ق ١٦.

ثم أقسم ع أن أهل الشام لا بدّ أن يظهروا على أهل العراق و أن ذلك ليس لأنهم على الحق و أهل العراق على الباطل بل لأنهم أطوع لأمرهم و مدار النصره فى الحرب إنّما هو على طاعه الجيش و انتظام أمره لا على اعتقاد الحق فإنّه ليس يغنى فى الحرب أن يكون الجيش محقا فى العقيدته إذا كان مختلف الآراء غير مطيع لأمر المدبر له و لهذا تجد أهل الشرك كثيرا ما ينتصرون على أهل التوحيد .

ثم ذكر ع نكته لطيفه فى هذا المعنى فقال العاده أن الرعيه تخاف ظلم الوالى و أنا أخاف ظلم رعيتى و من تأمل أحواله ع فى خلافته علم أنّه كان كالمحجور عليه لا يتمكن من بلوغ ما فى نفسه و ذلك لأن العارفين بحقيقه حاله كانوا قليلين و كان السواد الأعظم لا يعتقدون فيه الأمر الذى يجب اعتقاده فيه و يرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه و يظنون أن الأفضليه إنّما هى الخلافه و يقلد أخلافهم أسلافهم و يقولون لو لا أن الأوائل علموا فضل المتقدمين عليه لما قدموهم و لا يرونه إلا بعين التبعية لمن سبقه و أنّه كان رعيه لهم و أكثرهم إنّما يحارب معه بالحميه و بنخوه العربيه لا بالدين و العقيدته و كان ع مدفوعا إلى مداراتهم و مقاربتهم و لم يكن قادرا على إظهار ما عنده ألا ترى إلى كتابه إلى قضاته فى الأمصار.

و

١٥٢٧

قَوْلُهُ

فَافْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ حَتَّى تَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةً أَوْ أُمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي .

و هذا الكلام لا يحتاج إلى تفسير و معناه واضح و هو أنّه قال لهم اتبعوا عادتكم الآن بعاجل الحال فى الأحكام و القضايا التى كنتم تقضون بها إلى أن يكون للناس جماعه أى إلى أن تسفر هذه الأمور و الخطوب عن الاجتماع و زوال الفرقه و سكون الفتنة و حينئذ أعرّفكم ما عندى فى هذه القضايا و الأحكام التى قد استمررتم عليها.

ثم قال أو أموت كما مات أصحابي فمن قائل يقول عنى بأصحابه الخلفاء المتقدمين

ص: ٧٢

و من قائل يقول عنى بأصحابه شيعة كسلمان و أبى ذر و المقداد و عمار و نحوهم ألا ترى إلى

١٥٢٨

١- قَوْلِهِ عَلَى الْمُنْبَرِ فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ كَانَ رَأْيِي وَ رَأْيُ عُمَرَ الْأَبِ- يُعْنَى وَ أَنَا أَرَى الْآنَ بِنَعْنَعٍ فَقَامَ عَلَيْهِ عُنَيْدَةُ السَّلْمَانِي فَقَالَ لَهُ رَأْيِكَ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ رَأْيِكَ وَ حَدِّكَ فَمَا أَعَادَ عَلَيْهِ حَرْفًا .

فهل يدلّ هذا على القوه و القهر أم على الضعف فى السلطان و الرخاوه و هل كانت المصلحه و الحكمة تقتضى فى ذلك الوقت غير السكوت و الإمساك ألا ترى

١٥٢٩

١- أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صِلَاهِ الصُّبْحِ وَ خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ مُعَارِضًا قِرَاءَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ بْنِ الْحَكْمِ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضَى بِالْحَقِّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ فَلَمْ يَضْطَرِبْ عِ وَ لَمْ يَقْطَعْ صِلَاتَهُ وَ لَمْ يَلْتَفِتْ وَرَاءَهُ وَ لَكِنَّهُ قَرَأَ مُعَارِضًا لَهُ عَلَى الْبَدِيهِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

(١)

و هذا صبر عظيم و أنه عجيبه و توفيق بين و بهذا و نحوه استدلل أصحابنا المتكلمون على حسن سياسته و صحه تدبيره لأن من منى بهذه الرعيه المختلفه الأهواء و هذا الجيش العاصى له المتمرد عليه ثم كسر بهم الأعداء و قتل بهم الرؤساء فليس يبلغ أحد فى حسن سياسته و صحه التدبير مبلغه و لا يقدر أحد قدره و قد قال بعض المتكلمين من أصحابنا إن سياسته على ع إذا تأملها المنصف متدبرا لها بالإضافة إلى أحواله التى دفع إليها مع أصحابه جرت مجرى المعجزات لصعوبه الأمر و تعذره فإن أصحابه كانوا فرقتين إحداهما تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما و تتولاه و تبرأ من أعدائه و الأخرى و هم جمهور أصحاب الحرب و أهل الغناء و البأس يعتقدون أن عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل و قد كان منهم من يصرح بتكفيره و كل من هاتين الفرقتين يزعم أن عليا ع موافق لها على رأيها و تطالبه فى كل وقت بأن يبدى مذهبه فى عثمان و تسأله أن يجيب بجواب واضح فى أمره و كان ع

ص: ٧٣

١- (١) سورة الروم ٦٠، و هذه قراءه على، و قراءه المصحف: يَقْضُ الْحَقُّ، و انظر تفسير القرطبي ٦: ٤٣٩.

يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين بآيئته الأخرى و أسلمته و تولت عنه و خذلته فأخذ ع يعتمد فى جوابه و يستعمل فى كلامه ما تظن به كل واحده من الفرقتين أنه يوافق رأياها و يماثل اعتقادها فتاره

١٥٣٠

يَقُولُ

اللَّهُ قَتَلَهُ وَ أَنَا مَعَهُ .

و تذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أنه أراد أن الله أماته و سيميتنى كما أماته و تذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أنه قتل عثمان مع قتل الله له أيضا و كذلك

١٥٣١

قَوْلُهُ تَارَةً أُخْرَى

مَا أَمَرْتُ بِهِ وَ لَا نَهَيْتُ عَنْهُ .

١٥٣٢

وَ قَوْلُهُ

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا وَ لَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا .

و أشياء من هذا الجنس مذكوره مرويه عنه فلم يزل على هذه الوتيره حتى قبض ع و كل من الطائفتين مواليه له معتقده أن رأيه فى عثمان كراياها فلو لم يكن له من السياسه إلا هذا القدر مع كثره خوض الناس حينئذ فى أمر عثمان و الحاجه إلى ذكره فى كل مقام لكفاه فى الدلاله على أنه أعرف الناس بها و أحذقهم فيها و أعلمهم بوجوه مخارج الكلام و تدبير أحوال الرجال .

ثم نعود إلى الشرح قوله ع و نصحت لكم هو الأفصح و عليه ورد لفظ القرآن (١) و قول العامه نصحتك ليس بالأفصح .

قوله و عبید كأرباب يصفهم بالكبر و التيه .

فإن قلت كيف قال عنهم إنهم عبید و كانوا عربا صلبيه قلت يريد أن أخلاقهم كأخلاق العبيد من الغدر و الخلاف و دناءه الأنفس و فيهم مع ذلك كبر السادات و الأرباب و تيههم فقد جمعوا خصال السوء كلها .

و أياذى سباً مثل يضرب للمتفرقين و أصله قوله تعالى عن أهل سبا وَ مَرْفَأَهُمْ

١-١) من قوله تعالى في سورة الأعراف ٧٩: **وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ.**

و سباً مهموز و هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان و يقال ذهبوا أيدي سبأ و أيادي سبأ الياء ساكنه و كذلك الألف و هكذا نقل المثل أي ذهبوا متفرقين و هما اسمان جعلاً واحداً مثل معد يكرب . قوله تتخادعون عن مواعظكم أن تمسكون عن الاعتاظ و الانزجار و تفلعون عن ذلك من قولهم كان فلان يعطى ثم خدع أي أمسك و ألقع و يجوز أن يريد تفلنون و تختلفون في قبول المواعظ من قولهم خلق فلان خلق خادع أي متلون و سوق خادعه أي مختلفه متلونه و لا يجوز أن يريد باللفظه المعنى المشهور منها لأنه إنما يقال فلان يتخادع لفلان إذا كان يريه أنه منخدع له و ليس بمنخدع في الحقيقه و هذا لا يطابق معنى الكلام .

و الحنيه القوس و قوله كظهر الحنيه يريد اعوجاجهم كما أن ظهر القوس معوج و أعطل المقوم أي أعضل داؤه أي أعيا و يروى أيها الشاهده أبدانهم بحذف الموصوف .

ثم أقسم أنه يود أن معاويه صارفه بهم فأعطاه من أهل الشام واحداً و أخذ منه عشره صرف الدينار بالدراهم أخذ هذا اللفظ عبد الله بن الزبير لما وفد إليه أهل البصره و فيهم الأحنف فتكلم منهم أبو حاصر الأسدى و كان خطيباً جميلاً فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فوالله لو ددت أن لى بكل عشره من أهل العراق واحداً من أهل الشام صرف الدينار بالدراهم فقال يا أمير المؤمنين إن لنا و لك مثلاً أفتأذن في ذكره قال نعم قال مثلنا و مثلك و مثل أهل الشام قول الأعشى علقتها عرضاً و علقت رجلاً غيرى و علق أخرى غيرها الرجل (٢)

١-١) سورة سبأ ١٩.

٢-٢) هو أعشى قيس، ديوانه ١٣.

أحبك أهل العراق و أحببت أهل الشام و أحب أهل الشام عبد الملك فما تصنع ثم ذكر ع أنه منى أى بلى منهم بثلاث و اثنتين إنما لم يقل بخمس لأن الثلاث إيجابيه و الاثنتين سلبيه فأحب أن يفرق بين الإثبات و النفى .

و يروى لا أحرار صدق عند اللقاء جمع صادق و لا إخوان ثقه عند البلاء أى موثوق بهم .

تربت أيديكم

كلمه يدعى على الإنسان بها أى لا أصبتم خيرا و أصل ترب أصابه التراب فكأنه يدعو عليه بأن يفتقر حتى يلتصق بالتراب .

قوله فما إخالكم أى فما أظنكم و الأفضح كسر الألف و هو السماع و بنو أسد يفتحونها و هو القياس .

قوله ألو أصله أن لو ثم أدغمت النون فى الألف فصارت كلمه واحده.

و حمس الوغى بكسر الميم اشد و عظم فهو حمس و أحمس بين الحمس و الحماسه.

و الوغى فى الأصل الأصوات و الجلبه و سميت الحرب نفسها و غى لما فيها من ذلك .

و قوله انفراج المرأه عن قبلها أى وقت الولاده .

قوله ألقطه لقطا يريد أن الضلال غالب على الهدى فأنا ألتقط طريق الهدى من بين طريق الضلال لقطا من هاهنا و هاهنا كما يسلك الإنسان طريقا دقيقه قد اكتنفها الشوك و العوسج من جانبيهما كليهما فهو يلتقط النهج التقاطا أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سبقتهم و اتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم فى ردى فإن ليدوا فاليدوا و إن نهضوا فانهضوا و لا تسبقوهم فتصلوا و لا تتأخروا عنهم فتهلكوا

لَقَدْ رَأَيْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشَبِّهُهُمْ مِنْكُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصِيبُحُونَ شُعْثًا غُبْرًا وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طَوْلِ سَيْجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ .

السمت الطريق و لبد الشيء بالأرض يلبد بالضم لبودا التصق بها و يصبحون شعثا غبرا من قشف العباده و قيام الليل و صوم النهار و هجر الملاذ فيراوحن بين جباههم و خدودهم تاره يسجدون على الجباه و تاره يضعون خدودهم على الأرض بعد الصلاه تذلا و خضوعا و المراوحه بين العمل أن يعمل هذا مره و هذا مره و يراوح بين رجليه إذا قام على هذه تاره و على هذه أخرى .

و يقال معزى لهذا الجنس من الغنم و معز و معيز و أمعوز و معز بالتسكين و واحد المعز معز كصحب و صاحب و الأنثى معزه و الجمع مواعر .

و هملت أعينهم سالت تهمل و تهمل .

و يروى حتى تبل جباههم أى يبيل موضع السجود فتبتل الجبهه بملاقاته و مادوا تحركوا و اضطربوا إما خوفا من العقاب كما يتحرك الرجل و يضطرب أو رجاء للثواب كما يتحرك الشوان من الطرب و كما يتحرك الجذل المسرور من الفرح

وَ اللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلَّوهُ وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٌ إِلَّا دَخَلَهُ ظَلْمُهُمْ وَ نَبَأَ بِهِ سُوءٌ [رِعْتِهِمْ]

رَعِيهِمْ (١) وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِـمَدِينِهِ وَ بَاكٍ يَبْكِي لِـمَدِينَتِهِ وَ حَتَّى تَكُونَ نُصِيرَهُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصِيرِهِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا (٢) شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ وَ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا [غَنَاءً]

عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا وَ إِنْ ابْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

تقدير الكلام لا- يزالون ظالمين فحذف الخبر و هو مراد و سدت حتى و ما بعدها مسد الخبر و لا يصح ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن زال بمعنى تحرك و انتقل فلا تكون محتاجه إلى خبر بل تكون تامه في نفسها لأن تلك مستقبلها يزول بالواو و هاهنا بالألف لا يزالون فهي الناقصه التي لم تأت تامه قط و مثلها في أنها لا تزال ناقصه ظل و ما فتى و ليس.

و المحرم ما لا يحل انتهاكه و كذلك المحرمه بفتح الراء و ضمها .

و بيوت المدر هي البيوت المبنيه في القرى و بيوت الوبر ما يتخذ في البادية من وبر الإبل و الوبر لها كالصوف للضأن و كالشعر للمعز.

ص: ٧٨

١-١) زاد في مخطوطه النهج بعدها: «و نزل به غيهم».

٢-٢) مخطوطه النهج: «فإذا».

وقد وبر البعير بالكسر فهو وبر و أوبر إذا كثر وبره و نبا به منزله إذا ضره و لم يوافقه و كذلك نبا به فراشه فالفعل لازم فإذا أردت تعديته بالهمزة قلت قد أنبى فلان على منزلى أى جعله نابيا و إن عديته بحرف الجر قلت قد نبا بمنزلى فلان أى أنباه على و هو فى هذا الموضع معدى بحرف الجر.

و سوء رعتهم أى سوء ورعهم أى تقواهم و الورع بكسر الراء الرجل التقى ورع يرع بالكسر فيهما ورعا و رعه و يروى سوء رعيهم أى سوء سياستهم و إمرتهم و نصره أحدكم من أحدكم أى انتصاره منه و انتقامه فهو مصدر مضاف إلى الفاعل و قد تقدم شرح هذا المعنى و قد حمل قوم هذا المصدر على الإضافة إلى المفعول و كذلك نصره العبد و تقدير الكلام حتى يكون نصره أحد هؤلاء الولاه لأحدكم كنصره سيد العبد السيئ الطريقه إياه و من فى الموضوعين مضافه إلى محذوف تقديره من جانب أحدهم و من جانب سيده و هذا ضعيف لما فيه من الفصل بين العبد و بين قوله إذا شهد أطاعه و هو الكلام الذى إذا استمر المعنى جعل حالا من العبد بقوله من سيده و الضمير فى قوله فيها يرجع إلى غير المذكور لفظا و لكنه كالمذكور يعنى الفتنة أى حتى يكون أعظمكم فى الفتنة غناء.

و يروى برفع أعظمكم و نصب أحسنكم و الأول أليق و هذا الكلام كله إشارة إلى بنى أمية

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ وَ نَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَذْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَبْدَانِ عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيَكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَ الْمُنْبِلِيَةَ لِأَجْسَامِكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَ مَثَلُهَا كَسَيْفٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَ أَمْوًا عَلِمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ وَ كَمَ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءً مِنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ وَ طَالِبٌ حَيْثُ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ وَ مُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا [عَنِ الدُّنْيَا]

حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْمًا فَلَا تَتَأَفَّسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا وَ لَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لَا تَجَزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَ بُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ وَ إِنَّ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَ ضَرَاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ وَ كُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ وَ كُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ أ وَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌّ وَ فِي آبَائِكُمْ [الْأَوَّلِينَ]

الْمَاضِيْنَ تَبْصِرُهُ وَ مُعْتَبِرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِيْنَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَ إِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِيْنَ لَا يَنْقُضُونَ أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا [يُمْسُونَ وَ يُصْبِحُونَ]

يُصْبِحُونَ وَ يُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالِ شَيْئٍ فَمَيِّتٌ [فَمَيِّتٌ]

يُنْكِي وَ آخِرُ يُعْزَى وَ صَرِيحٌ مُبْتَلَى وَ عَائِدٌ يَعُودُ وَ آخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا

وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَغَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مِمَّا يَمْضِي الْبَاقِي أَلَا- فَادْكُرُوا هَازِمَ اللَّذَاتِ وَ مُنْغِصَ الشَّهَوَاتِ وَ قَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ وَ مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَ إِحْسَانِهِ .

لما كان الماضي معلوما جعل الحمد بإزائه لأن المجهول لا يحمد عليه و لما كان المستقبل غير معلوم جعل الاستعانه بإزائه لأن الماضي لا يستعان عليه و لقد ظرف و أبدع ع في قوله و نسأله المعافاه في الأديان كما نسأله المعافاه في الأبدان و ذلك أن للأديان سقما و طبا و شفاء كما أن للأبدان سقما و طبا و شفاء قال محمود الوراق و إذا مرضت من الذنوب فداوها

١٥٣٣

وَ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ مَا تَشْتَكِي قَالَ ذُنُوبِي قِيلَ فَمَا تَشْتَهِي قَالَ الْجَنَّةَ قِيلَ أَ فَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيْبًا قَالَ الطَّبِيْبُ أَمْرَضَنِي.

١٥٣٤

سَمِعْتُ عُفَيْرَةَ بِنْتَ الْوَلِيدِ الْبَصِيرِيَّةَ الْعَابِدَةَ رَجُلًا يَقُولُ مَا أَشَدَّ الْعَمَى عَلَيَّ مَنْ كَانَ بَصِيرًا فَقَالَتْ عَبْدَ اللَّهِ غَفَلْتَ عَنْ مَرَضِ الذُّنُوبِ وَ اهْتَمَمْتَ بِمَرَضِ الْأَجْسَادِ عَمَى الْقُلُوبِ عَنِ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا وَ دِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ مَحَبَّتِهِ وَ لَمْ يُبْقِ مِنِّي جَارِحَةً إِلَّا تَبَلَّهَا (١).

١٥٣٥

قِيلَ لِحَسَّانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ فِي مَرَضِهِ مَا مَرَضَكَ قَالَ مَرَضٌ لَا يَفْهَمُهُ الْأَطِبَاءُ قِيلَ

ص: ٨١

(١-١) تبليها: أسقمها.

وَمَا هُوَ قَالِ مَرَضُ الذُّنُوبِ فَقِيلَ كَيْفَ تَجِدُكَ الْآنَ قَالَ بِخَيْرٍ إِنَّ نَجْوَتَ مِنَ النَّارِ قِيلَ فَمَا تَشْتَهِي قَالَ لَيْلَهُ طَوِيلُهُ بَعِيدُهُ مَا بَيْنَ
الطَّرَفَيْنِ أَحْيَاهَا بِذِكْرِ اللَّهِ.

١٥٣٦

إِبْنُ شُبْرَمَةَ

عَجِبْتُ مِمَّنْ يَحْتَمِي مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ الدَّاءِ كَيْفَ لَا يَحْتَمِي مِنَ الذُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ . قوله ع الدنيا التاركة لكم و إن لم تحبوا
تركها معنى حسن و منه قول أبي الطيب كل دمع يسيل منها عليها و بفك اليمين عنها تخلى (١).

و الرفض الترك و إبل رفض متروكه ترعى حيث شاءت و قوم سفر أى مسافرون و أموا قصدوا و العلم الجبل أو المنار فى
الطريق يهتدى به.

و كأن فى هذه المواضع كهى فى قوله كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخره لم تزل ما أقرب ذلك و أسرع و تقدير الكلام
هاهنا كأنهم فى حال كونهم غير قاطعين له قاطعون له و كأنهم فى حال كونهم غير بالغين له بالغون له لأنه لما قرب زمان إحدى
الحالتين من زمان الأخرى شبهوا و هم فى الحال الأولى بهم أنفسهم و هم على الحال الثانية .

قوله ع و كم عسى المجرى أجرى فلان فرسه إلى الغايه إذا أرسلها ثم نقل ذلك إلى كل من يقصد بكلامه معنى أو بفعله غرضا
فقيل فلان يجرى بقوله إلى كذا أو يجرى بحركته الفلانيه إلى كذا أى يقصد و ينتهى بإرادته و أغراضه و لا يعدوه و لا يتجاوزه .

و الحثيث السريع و يحدوه يسوقه و المنافسه المحاسده و نفست عليه بكذا أى ضننت و البؤس الشده و النفاذ الفناء.

ص: ٨٢

(١-١) ديوانه ٣:١٣١.

و ما فى قوله على أثر الماضى ما يمضى الباقى إما زائده أو مصدرية و قد أخذ هذا اللفظ الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم مات مسلمة بن عبد الملك قيل لما مات مسلمة بن عبد الملك و اجتمع بنو أميّه و رؤساء العرب ينظرون جنازته خرج الوليد بن يزيد على الناس و هو نشوان ثمل يجبر مطرف خز و هو يندب مسلمة و مواليه حوله فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين إن عقبى من بقى لحوق من مضى و قد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى و اختل الثغر فوهى و ارتج الطود فهوى و على أثر من سلف ما يمضى من خلف ف تزوّدوا فإنّ خير الزاد التّقوى .

قوله ع عند مساوره الأعمال القبيحه العامل فى عند قوله اذكروا أى ليكن ذكركم الموت وقت مساورتكم و المساوره المواثبه و سار إليه يسور سورا وثب قال الأخطل يصف خمرا له لما أتوها بمصباح و مبزلهم سارت إليهم سئور الأبجل الضارى (1) أى كوئوب العرق الذى قد فصد أو قطع فلا يكاد ينقطع دمه و يقال إن لغضبه لسوره و هو سوار أى و ثاب معربد

ص: ٨٣

١-١) ديوانه ١١٨.المبزل:الثقب فى جانب الخاييه تجرى منه الخمر صافيه.و الأبجل:عرق يكون فى الدواب.و انظر اللسان(سور).

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ وَ الْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا وَ بَذَرَهُ نَاطِقًا فَادَّى أَمِينًا وَ مَضَى رَشِيدًا وَ خَلَفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ وَ مَنْ لَزِمَهَا لِحَقِّ دَلِيلِهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ بَطِيءُ الْقِيَامِ سَرِيعُ إِذَا قَامَ فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ وَ أَشْرُتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطَلِّعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَ يَضُمُّ نَشْرَكُمْ فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ وَلَا تَتَيَّأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزَلَ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتِيهِ وَ تَثْبِتَ الْأُخْرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبِتَا جَمِيعًا أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ص كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا حَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ وَ أَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

يده

هاهنا نعمته يقال لفلان عندي يد أي نعمه و إحسان قال الشاعر فإن ترجع الأيام بيني و بينها فإن لها عندي يدا لا أضيعها .

و صادعا أى مظهرا و مجاهرا للمشركين قال تعالى فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ (١) و رايه الحق الثقلان المخلفان بعد رسول الله ص و هما الكتاب و العتره .

و مرق خرج أى فارق الحق و مزق السهم عن الرميّه خرج من جانبها الآخر و به سميت الخوارق ماركه .

و زهقت نفسه بالفتح زهوقا أى خرجت قال تعالى وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ (٢) و زهقت الناقه إذا سبقت و تقدمت أمام الركاب و زهق الباطل اضمحل يقول ع من خالفها متقدما لها أو متأخرا عنها فقد خرج عن الحق و من لازمها فقد أصاب الحق .

ثم قال دليلها مكث الكلام يعنى نفسه ع لأنه المشار إليه من العتره و أعلم الناس بالكتاب و مكث الكلام بطيئه و رجل مكث أى رزين و المكث اللبث و الانتظار مكث و مكث بالفتح و الضم و الاسم المكث و المكثه بالضم و كسرهما يعنى أنه ذو أناه و تؤده ثم أكد ذلك بقوله بطيء القيام ثم قال سريع إذا قام أى هو متأن مثبت فى أحواله فإذا نهض جد و بالغ و هذا المعنى كثير جدا قال أبو الطيب و ما قلت للبدر أنت اللجين يعنى سيف الدوله

ص: ٨٥

١-١) سورة الحجر ٩٤.

٢-٢) سورة التوبه ديوانه ٨٥.

و من أمثالهم يريك الهوينى و الأمور تطير يضرب لمن ظاهره الأناه و باطنه إبرام الأمور و تنفيذها و الحاضرون لا يشعرون و يقولون لمن هو كذلك و ترى الجبال تحسبها جامده و هى تمر مر السحاب (١).

١٥٣٧

و وقع ذو الرئاسين إلى عامل له إن أسرع النار التهاباً أسرعها خموداً فتأن فى أمرك.

١٥٣٨

و يقال إن آدم ع أوصى ولده عند موته فقال كل عمل تريدون أن تعملوه فتوقفوا فيه ساعة فإننى لو توقفت لم يصبنى ما أصابنى.

١٥٣٩

بعض الأعراب يوصى ولده إياكم و العجله فإن أبى كان يكتئبها أم الندم.

١٥٤٠

و كان يقال من ورد عجلًا صدر خجلًا.

و قال ابن هانى المغربى و كل أناه فى المواطن سؤدد

و قوله ع بطيء القيام سريع إذا قام فيه شبه من قول الشنفرى مسبل فى الحى أحوى رفل و إذا يغزو فسمع أزل.

و من أمثالهم فى مدح الأناه و ذم العجله أخطأ مستعجل أو كاد و أصاب مثبت أو كاد.

ص: ٨٦

و منها و قد يكون مع المستعجل الزلل (١).

و منها ربّ عجله تهب ريثا (٢) و قال البحترى حلیم إذا القوم استخفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا (٣).

قال الأحنف لرجل سبه فأفرط يا هذا إنك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال.

و قال الشاعر أحلامنا تزن الجبال رجاحه و تخالنا جنا إذا ما نجهل

فصل فى مدح قله الكلام و ذمّ كثرته

فأما قوله ع مكيث الكلام فإن قله الكلام من صفات المدح و كثرته من صفات الذم

١٥٤١

قَالَتْ حَيَارِيَهُ ابْنِ السَّمَاكِ لَهُ مَيَا أَحْسَنَ كَلَامِيكَ لَوْلَا- أَنَّكَ تُكْثِرُ تَزَادَهُ فَقَالَ أَرَدُّهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ قَالَتْ فَبِإِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ قَدْ مَلَّهَ مَنْ فَهَمَهُ.

١٥٤٢

بَعَثَ عَبِيدُ الْعَزِيزِ بَيْنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبِيدِ الْمَلِكِ قَطِيفَةَ حَمْرَاءَ وَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا بَعِيدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِقَطِيفَةِ حَمْرَاءَ حَمْرَاءَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَصَلَتِ الْقَطِيفَةُ وَ أَنْتَ يَا عَمَّ أَحْمَقُ أَحْمَقُ.

ص: ٨٧

١-١) للقطامي و صدره: *قد يدرك المتأني بعض حاجته* و بعده: و ربّما فات قوما جلّ أمرهم إذا توانوا و كان الرأى لو

عجلوا و انظر جمهره أشعار العرب ٣١٣ (المطبعة الرحمانية).

٢-٢) أول من قاله مالك بن عوف الشيباني. مجمع الأمثال ٢٩٤:١.

٣-٣) ديوانه ٥٥:١.

وَقَالَ الْمُعْتَصِدُ لِأَحْمَدَ بْنِ الطَّيِّبِ السَّرْحَسِيِّ طُولَ لِسَانِكَ دَلِيلٌ عَلَى قِصْرِ عَقْلِكَ.

قِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ كُلُّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا خُلْسَةٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ فَهُوَ بَلِيغٌ قِيلَ لَهُ مَا الْإِسْتِعَانَةُ قَالَ أَلَا تَرَى الرَّجُلَ إِذَا حَدَّثَ قَالَ يَا هَنَاهُ وَاسْتَمِعْ إِلَيَّ وَافْهَمْ وَأَلَسْتَ تَفْهَمْ؟ هَذَا كُلُّهُ عَيٌّْ وَفَسَادٌ.

دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَاسْتَنْطَقَهُمْ فَوَجَدَهُمْ لُكْنًا مَعَ يَسَارٍ وَهَيْئَةٍ وَمَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ وَهَيَّزَ فَكَانَتْ حَالُهُ أَفْحَشَ مِنْ حَالِ السَّاكِتِينَ فَقَالَ مَا أَبْيَنَ الْخَلَّةَ فِي هَؤُلَاءِ لَا خَلَّةَ الْأَيْدِي بَلْ خَلَّةَ الْأَلْسِنَةِ وَالْأَحْلَامِ.

١- وَ سِئِلَ عَلِيُّ عٍ عَنِ اللِّسَانِ فَقَالَ مِغْيَارُ أَطَاشُهُ الْجَهْلُ وَ أَرْجَحُهُ الْعَقْلُ .

سَمِعَ خَالِدُ بْنُ صِفْوَانَ مِكَتَارًا يَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ بِخَفِّهِ اللِّسَانِ وَلَا بِكَثْرَةِ الْهَدْيَانِ وَلَا بِكَثْرَةِ الْإِسْبَابِ الْمَعْنَى وَالْقَصْدُ إِلَى الْحُجَّةِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَزْبٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مَا لَكَ لَا تُشْهَبُ فِي شِعْرِكَ قَالَ حَسْبُكَ مِنَ الشُّعْرِ غُرَّةٌ لَائِحَةٌ أَوْ وَصْمَةٌ فَاضِحَةٌ.

و في خطبه كتاب البيان و التبيين (١) لشيخنا أبي عثمان و نعوذ بك من شر السلاطه و الهذر كما نعوذ بك من العي و الحصر قال أحيحه بن الجلاح و الصمت أجمل بالفتي

و قال الشاعر يرثي رجلا لقد وارى المقابر من شريك كثير تحلم و قليل عاب (٢)

١- (١) البيان و التبيين ٥: ١.

٢- (٢) البيان و التبيين ٢٤٦: ٢، و نسبهما إلى محرز بن علقمه.

صموتا فى المجالس غير عى

جديرا حين ينطق بالصواب.

١٥٤٩

١٤- وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَكْرَهُ التَّشَادُقَ وَالْإِطَالَهَ وَالْهَذَرَ وَقَالَ إِيَّاكَ وَ التَّشَادُقَ .

١٥٥٠

وَقَالَ ص أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ التَّرْتَارُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ.

١٥٥١

وَرَوَى عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ ص إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءُونَ قَلِيلُوا الْكَلَامَ.

رجل بكى على فعيل.

١٥٥٢

قَالَ وَ كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ.

١٥٥٣

وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ وَ قَدِ اجْتَمَعَ بِبَابِنِ الْمُقَفِّعِ كَيْفَ رَأَيْتَهُ فَقَالَ لِسَانُهُ أَرْجِحُ مِنْ عَقْلِهِ وَ قِيلَ لِابْنِ الْمُقَفِّعِ كَيْفَ رَأَيْتَ الْخَلِيلَ قَالَ عَقْلُهُ أَرْجِحُ مِنْ لِسَانِهِ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنْ عَاشَ الْخَلِيلُ مَصُونًا مُكْرَمًا وَ قُتِلَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ تِلْكَ الْقِتْلَةَ.

١٥٥٤

وَ سَأَلَ حَفْصُ بْنُ سَيِّدِ الْمَعْمُورِ بْنِ عَبِيدٍ عَنِ الْبَلَاغَةِ فَقَالَ مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ وَ بَاعِدَكَ عَنِ النَّارِ وَ بَصَّرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ وَ عَوَاقِبَ عَيْتِكَ قَالَ لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُ فَقَالَ كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ وَ مَنْ سَقَطَتِ الْكَلَامَ وَ لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ وَ سَقَطَتِ الصَّمْتِ.

١٥٥٥

قَالَ أَبُو عُمَيْرٍ الْجَاهِظُ وَ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَكَادُ يَتَكَلَّمُ فَإِنْ تَكَلَّمَ لَمْ يَكِدْ يُطِيلُ وَ كَانَ يَقُولُ لَا خَيْرَ فِي الْمُتَكَلِّمِ إِذَا كَانَ كَلَامُهُ لِمَنْ شَهِدَهُ دُونَ نَفْسِهِ وَ إِذَا أَطَالَ الْمُتَكَلِّمُ الْكَلَامَ عَرَضَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّكْلِيفِ وَ لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِيكَ بِالتَّكْلِيفِ.

وقال بعض الشعراء و إذا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام تقوله مختالا

ص: ٨٩

و اعلم بأن من السكوت إبانه

و من التكلف ما يكون خبالا (١).

١٥٥٦

وَ كَانَ يُقَالُ لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ تَفَكَّرَ فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالٌ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكَتٌ وَ قَلْبُ الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ
فَإِنْ هَمَّ بِالْكَلامِ تَكَلَّمَ بِهِ.

١٥٥٧

١٤- وَ قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِعَمْرٍو ابْنِهِ حِينَ نَطَقَ مَعَ الْقَوْمِ فَبَدَّهْمُ وَ قَدْ كَانَ غَضِبَ عَلَيْهِ فَكَلَّمُوهُ فِي الرِّضَا عَنْهُ هَذَا الَّذِي
أَغْضَبَنِي عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِاللِّسَانِ كَمَا تَلْحَسُ الْأَرْضُ الْبَقْرُ بِاللِّسَانِ.

١٥٥٨

وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فِي أَبِي مُوسَى قَدْ ضَمَّ إِلَيْكَ رَجُلٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ قَصِيْرُ الرَّأْيِ فَأَجِدَ الْحَزَّ وَ طَبَقَ الْمَفْصِلَ وَ لَا تَلْقَهُ
بِرَأْيِكَ كُلِّهِ.

١٥٥٩

وَ كَانَ يُقَالُ لَوْ كَانَ الْكَلَامُ مِنْ فِضِّهِ لَكَانَ السُّكُوتُ مِنْ ذَهَبٍ.

١٥٦٠

وَ كَانَ يُقَالُ مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ وَ قِيلَ بَيْنَ لِحْيَيْهِ.

١٥٦١

وَ كَانَ يُقَالُ مَا شَيْءٌ بِأَحَقَّ بِسَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ.

١٥٦٢

وَ قَالُوا اللِّسَانُ سَبْعُ عَقُورٍ.

١٥٦٣

وَ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بَطْرَفِ لِسَانِهِ وَ قَالَ هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ.

لَمَّا أَنْكَحَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو ابْنَتَهُ مِنْ مَعْيِدِ بْنِ زُرَّارَةَ أَوْصَاهَا حِينَ أَخْرَجَهَا إِلَيْهِ فَقَالَ أُمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ قَالَتْ وَ مَا هُمَا قَالَ فَضْلُ الْعِلْمِ وَ فَضْلُ الْكَلَامِ.

وَ سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ كَانَ يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ عَنْ طُولِ صَمْتِهِ فَقَالَ أَسْمِعْ فَأَعْلَمَ وَ أَسْكُتْ فَأَسْلَمَ.

و

قَالَ النَّبِيُّ ص وَ هَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ (٢).

١-١) البيان و التبیین ١:١٣٥، و نسبهما إلى بعض الكلبيين.

٢-٢) النهاية لابن الأثير ١:٢٣٣؛ قال في شرحه: «أى ما يقطعونه من الكلام الذى لا خير فيه، واحدتها حصيده، تشبيها بما يحصد من الزرع، و تشبيها باللسان و ما يقطع به الحد المنجل الذى يحصد به».

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ ص فَخَطَلَ فِي كَلَامِهِ فَقَالَ ع مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ شَرًّا مِنْ ذَلَّاقِهِ لِسَانٍ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمَ بُويعَ بِالْخِلافَةِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسِيرِيُّ وَقَدْ أَنْشَدَهُ مُتَمَثِّلاً وَإِذَا اللُّدْرُ زَانَ حُسْنَ نُحُورٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ نَحْرَكَ زِينًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا وَحَرِمَ مَعْقُولًا.

وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ عُمَرَ اذْعُ لَنَا فَقَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَارْزُقْنَا فَقَالُوا زِدْنَا يَا أَبَا الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ.

وَكَانَ الْقُبَيْعُ وَهُوَ الْخِيارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُعْبِرَةِ الْمُخْزُومِيُّ مَسِيَّهَاً سَيْرِيعَ الْحَدِيثِ كَثِيرُهُ فَقَالَ فِيهِ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَزَيْتَ خَيْرًا

و قال أبو العتاهيه كل امرئ في نفسه

و قال الشاعر و إياك إياك المراء فإنه إلى الشر دعاء و للشر جالب

وَ كَانَ يُقَالُ الْعَجَلَةُ قَيْدُ الْكَلَامِ.

أَطَالَ حَاطِبُ بَيْنَ يَدَيِ الْإِسْكَندَرِ فَزَبْرَهُ قَالَ لَيْسَ حُسْنُ الْخُطْبَةِ عَلَى حَسَبِ طَاقِهِ الْخَاطِبِ وَ لَكِنْ عَلَى حَسَبِ طَاقِهِ السَّامِعِ.

مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ ع

إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ لِسَانِ الرَّجُلِ فَاضِلاً عَلَى مِقْدَارِ عِلْمِهِ كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ عِلْمِهِ فَاضِلاً عَلَى مِقْدَارِ عَقْلِهِ.

أَطَالَ رِبْعِيَّةُ الرَّأْيِ الْكَلَامَ وَ عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ قَالَ لِلْمَأْعْرَابِيِّ مَيَّا تَعِيدُونَ الْعِيَّ وَ الْفَهَاهَةَ فَيُكْمُ قَالَ مَيَّا كُنْتُ فِيهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ مِنْذُ الْيَوْمِ . وَ

مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع
إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .

وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ

لَمَّا نَ يَقُولَ اللَّهُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلَّا- قُلْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَقُولَ لِي لِمَ قُلْتُ لِأَنِّي إِذَا قُلْتُ طَالِبِي بِالْبُرْهَانِ وَ إِذَا سَكَتُ لَمْ يُطَالِبِي بِشَيْءٍ .

نَزَلَ النَّعْمَانُ بْنُ الْمُئَنَدِرِ بِرَأْيِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَوْ ذُبِحَ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الرَّأْيِيَةِ إِلَى أَيَّنَ كَانَ يَبْلُغُ دَمُهُ فَقَالَ النَّعْمَانُ الْمَذْبُوحُ وَ اللَّهُ أَنْتَ وَ لَأَنْظُرَنَّ إِلَى أَيَّنَ يَبْلُغُ دَمُكَ فَذَبَحَهُ فَقَالَ رَجُلٌ رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي .

أَعْرَابِيٌّ رَبُّ مَنَاطِقٍ صَدَعَ جَمْعاً وَ رَبُّ سُكُوتٍ شَعَبَ صَدْعاً .

قَالَتْ امْرَأَةٌ لِيُعْلِمَهَا مَا لَمْ كَ إِذَا خَرَجَتْ تَطَلَّقَتْ وَ تَحَدَّثَتْ وَ إِذَا دَخَلَتْ قَعِيدَتْ وَ سِيَكَّتْ قَالَ لِأَنِّي أُدِقُّ عَنْ جَلِيلِكَ وَ تُجَلِّينَ عَنْ دَقِيقِي.

١٥٨٠

النَّخَعِيُّ

كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ السُّكُوتَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْكَلَامَ.

١٥٨١

عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْحِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِهِ

١٥٨٢

وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ

إِنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةٌ أَجْزَاءٌ تَسَعُهُ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَ الْعَاشِرَةُ الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ.

ص: ٩٢

٣- مَكَثَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ عَشْرِينَ سَنَةً لَا يَتَكَلَّمُ إِلَى أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَ فَسَمِعَتْ مِنْهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً قَالَ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ أَوْ قَدْ فَعَلُوهَا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ عَرَادَ إِلَى الشُّكُوتِ حَتَّى مَاتَ

الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ
زَعَمَ ابْنُ سَلَمَى أَنَّ حِلْمِي ضَرَّنِي

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنِ النَّبِيِّ ص إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ.

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ

مَنْ حَرَّمَ الْعِلْمَ فَلْيَضْمَتْ فَإِنْ حَرَمَهَا فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ.

وَكَانَ يُعَالُ إِذَا طَلَبَتْ صِيْلَاحَ قَلْبِكَ فَاسْتَعِزْ عَلَيْهِ بِحِفْظِ لِسَانِكَ. و اعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع في الجمعة الثالثة من خلافته و كنى فيها عن حال نفسه و أعلمهم فيها أنهم سيفارقونه و يفقدونه بعد اجتماعهم عليه و طاعتهم له و هكذا وقع الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من الشهر الذي قتل فيه ع.

١,٢- وَجَاءَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّهُ عَقَدَ لِلْحَسَنِ ابْنِهِ ع عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِأَبِي أَيُّوبَ

الْأَنْصَارِيُّ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَ لِفُلَانٍ وَ فُلَانٍ حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ سَيِّفٍ وَ أَخْرَجَ مُقَدِّمَتَهُ أَمَامَهُ يُرِيدُ الشَّامَ فَضَرَبَهُ اللَّعِينُ ابْنُ مُلْجَمٍ وَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ وَ انْفَضَّتْ تِلْكَ الْجُمُوعُ وَ كَانَتْ كَالْغَنَمِ فُقِدَ رَاعِيهَا .

و معنى قوله ألتتم له رقابكم أطمعتموه و معنى أشرتتم إليه بأصابعكم أعظمتتموه و أجللتتموه كالملك الذى يشار إليه بالإصبع و لا يخاطب باللسان ثم أخبرهم أنهم يلبثون بعده ما شاء الله و لم يحدد ذلك بوقت معين ثم يطلع الله لهم من يجمعهم و يضمهم يعنى من أهل البيت ع و هذا إشاره إلى المهدي الذى يظهر فى آخر الوقت و عند أصحابنا أنه غير موجود الآن و سيوجد و عند الإماميه أنه موجود الآن .

قوله ع فلا- تطمعوا فى غير مقبل و لا- تياسوا من مدبر ظاهر هذا الكلام متناقض و تأويله أنه نهاهم عن أن يطمعوا فى صلاح أمورهم على يد رئيس غير مستأنف الرئاسة و هو معنى مقبل أى قادم تقول سوف أفعل كذا فى الشهر المقبل و فى السنه المقبله أى القادمه يقول كل الرئاسة التى تشاهدونها فلا تطمعوا فى صلاح أموركم بشيء منها و لأن تنصلح أموركم على يد رئيس يقدم عليكم مستأنف الرئاسة حامل الذكر ليس أبوه بخليفه و لا كان هو و لا أبوه مشهورين بينكم برئاسه بل يتبع و يعلو أمره و لم يكن قبل معروفا هو و لا أهله الأذنون و هذه صفه المهدي الموعود به .

و معنى قوله و لا تياسوا من مدبر أى و إذا مات هذا المهدي و خلفه بنوه بعده فاضطرب أمر أحدهم فلا تياسوا و تشككوا و تقولوا لعلنا أخطأنا فى اتباع هؤلاء فإن المضطرب الأمر منا سئبت دعائمه و تنتظم أمورهم و إذا زلت إحدى رجليه ثبتت

الأخرى فثبتت الأولى أيضا و يروى فلا تطعنوا فى عين مقبل أى لا تحاربوا أحدا منا و لا تأسوا من إقبال من يدبر أمره منا .

ثم ذكر ع أنهم كنجوم السماء كلما خوى نجم طلع نجم خوى مال للمغيب .

ثم وعدهم بقرب الفرج فقال إن تكامل صنائع الله عندكم و رؤيه ما تأملونه أمر قد قرب وقته و كأنكم به و قد حضر و كان و هذا على نمط المواعيد الإلهيه بقيام الساعه فإن الكتب المنزله كلها صرحت بقربها و إن كانت بعيده عندنا لأن البعيد فى معلوم الله قريب و قد قال سبحانه إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً

ص: ٩٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ .

يقول البارئ تعالى موجود قبل كل شيء يشير العقل إليه و يفرضه آخر ما يبقى من جميع الموجودات فإن البارئ سبحانه بالاعتبار الأول يكون أولا قبل كل ما يفرض أولا و بالاعتبار الثاني يكون آخرا بعد كل ما يفرض آخرا .

فأما قوله بأوليته وجب أن لا أول له إلى آخر الكلام فيمكن أن يفسر على وجهين أحدهما أنه تعالى لما فرضناه أولا مطلقا تبع هذا الفرض أن يكون قديما أزليا و هو المعنى بقوله وجب أن لا أول و إنما تبعه ذلك لأنه لو لم يكن أزليا لكان محدثا فكان له محدث و المحدث متقدم على المحدث لكننا فرضناه أولا مطلقا أي لا يتقدم عليه شيء فيلزم المحال و الخلف و هكذا القول في آخريته لأننا إذا فرضناه آخرا مطلقا تبع هذا الفرض أن يكون مستحيل العدم و هو المعنى بقوله وجب أن لا آخر له

و إنما تبعه ذلك لأنه لو لم يستحل عدمه لصح عدمه لكن كل صحيح و ممكن فليفرض وقوعه لأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال مع فرضنا إياه صحيحا و ممكنا لكن فرض تحقق عدمه محال لأنه لو عدم لما عدم بعد استمرار الوجوديه إلا بضد لكن الضد المعدم يبقى بعد تحقق عدم الضد المعدوم لاستحاله أن يعدمه و يعدم معه فى وقت واحد لأنه لو كان وقت عدم الطارئ هو وقت عدم الضد المطرود عليه لامتنع عدم الضد المطرود عليه لأن حال عدمه الذى هو الأثر المتجدد تكون العله الموجهه للأثر معدومه و المعدوم يستحيل أن يكون مؤثرا البته فثبت أن الضد الطارئ لا بد أن يبقى بعد عدم المطرود عليه و لو وقتا واحدا لكن بقاءه بعده و لو وقتا واحدا يناقض فرضنا كون المطرود عليه آخرا مطلقا لأن الضد الطارئ قد بقى بعده فيلزم من الخلف و المحال ما لزم فى المسأله الأولى.

و التفسير الثانى ألا- تكون الضمائر الأربعة راجعه إلى البارئ سبحانه بل يكون منها ضميران راجعين إلى غيره و يكون تقدير الكلام بأوليه الأول الذى فرضنا كون البارئ سابقا عليه علمنا أن البارئ لا أول له و بآخريه الآخر الذى فرضنا أن البارئ متأخر عنه علمنا أن البارئ لا آخر له و إنما علمنا ذلك لأنه لو كان سبحانه أولا لأول الموجودات و له مع ذلك أول لزم التسلسل و إثبات محدثين و محدثين إلى غير نهايه و هذا محال.

و لو كان سبحانه آخرا لآخر الموجودات و له مع ذلك آخر لزم التسلسل و إثبات أضداد تعدم و يعدمها غيرها إلى غير نهايه و هذا أيضا محال وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُؤَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِغْلَانِ وَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عَصِيَانِي وَلَا تَتَرَامُوا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأ النَّسَمَةَ
إِنَّ الَّذِي أُتْبِكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (١) ص [وَاللَّهِ]

(٢) مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهْلَ السَّامِعِ لِكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ فَإِذَا فَعَرَتْ فَاعْرِتُهُ
وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ وَثَقَلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَتْهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَيْبَابِهَا وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا وَمِنَ
الليالي كُدُوحُهَا فَإِذَا أَيْبَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ (٣) وَهَدَرَتْ شَقَاقِيهِ وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ عَقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضَلِ وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ
الْمُظْلِمِ وَالْبَحْرِ الْمُتَلَطِّمِ هَذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ وَيُحْصِدُ
الْقَائِمُ وَيُحْطِمُ الْمَحْصُودُ .

□
في الكلام محذوف و تقديره لا يجرمنكم شقاي على أن تكذبوني و المفعول فضله و حذفه كثير نحو قوله تعالى اللَّهُ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٤) فحذف العائد إلى الموصول و منها قوله سبحانه لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم (٥) أي من
رحمه و لا بد من تقدير العائد إلى الموصول و قد قرئ قوله و ما عملته أيديهم (٦) و ما عملت أيديهم بحذف المفعول.

□
لَا يَجْرِمَنَّكُمْ

لا يحملنكم و قيل لا يكسبنكم و هو من الألفاظ القرآنية (٧) .

ص: ٩٨

١-١) في مخطوطه النهج بعد هذه الكلمه «القرشي».

٢-٢) ساقطه من مخطوطه النهج.

٣-٣) مخطوطه النهج: «ساقه».

٤-٤) سوره العنكبوت ٦٢.

٥-٥) سوره هود ٤٣.

٦-٦) سوره يس ٣٥.

٧-٧) من قوله تعالى في سوره هود ٨٩: وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ...

و لا يستهوينكم

أى لا يستهيمنكم يجعلكم هائمين .

و لا تتراموا بالأبصار

أى لا يلحظ بعضكم بعضا فعل المنكر المكذب .

ثم أقسم بالذى فلق الحبه و برأ النسمه فلق الحبه من البر أى شقها و أخرج منها الورق الأخضر قال تعالى إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى (١) .

و برأ النسمه

أى خلق الإنسان و هذا القسم لا يزال أمير المؤمنين يقسم به و هو من مبتكراته و مبتدعاته .

و المبلغ و السامع هو نفسه ع يقول

١٥٨٩

مَا كَذَبْتُ عَلَى الرَّسُولِ تَعْمُدًا وَلَا جَهْلًا مَا قَالَهُ فَأَنْقَلُ عَنْهُ غَلَطًا .

و الضليل الكثير الضلال كالشريب و الفسيق و نحوهما.

و هذا كناية عن عبد الملك بن مروان لأن هذه الصفات و الأمارات فيه أتم منها فى غيره لأنه قام بالشام حين دعا إلى نفسه و هو معنى نعيقه و فحصت راياته بالكوفه تاره حين شخص بنفسه إلى العراق و قتل مصعبا و تاره لما استخلف الأمراء على الكوفه كبشر بن مروان أخيه و غيره حتى انتهى الأمر إلى الحجاج و هو زمان اشتداد شكيمه عبد الملك و ثقل وطأته و حينئذ صعب الأمر جدا و تفاقمت الفتن مع الخوارج و عبد الرحمن بن الأشعث فلما كمل أمر عبد الملك و هو معنى أئنع زرعه هلك و عقدت رايات الفتن المعضله من بعده كحروب أولاده مع بنى المهلب و كحروبهم مع زيد بن على ع و كالفتن الكائنه بالكوفه أيام يوسف بن عمر و خالد القسرى و عمر بن هبيره و غيرهم و ما جرى فيها من الظلم و استئصال الأموال و ذهاب النفوس.

ص: ٩٩

و قد قيل إنه كنى عن معاويه و ما حدث فى أيامه من الفتن و ما حدث بعده من فتنه يزيد و عبيد الله بن زياد و واقعه الحسين ع
و الأول أرجح لأن معاويه فى أيام أمير المؤمنين ع كان قد نعق بالشام و دعاهم إلى نفسه و الكلام يدل على إنسان ينعق فيما
بعد ألا تراه يقول لكأنى أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام ثم نعود إلى تفسير الألفاظ و الغريب .

النعيق صوت الراعى بغنمه و فحص برأياته من قولهم ما له مفحص قطاه أى مجثمها كأنهم جعلوا ضواحي الكوفه مفحصا و
مجثما لرأياتهم.

و كوفان اسم الكوفه و الكوفه فى الأصل اسم الرمله الحمراء و بها سميت الكوفه و ضواحيها نواحيها القريبه منها البارزه عنها
يريد رستاقها .

و فغرت فاغرتة فتح فاه و هذا من باب الاستعاره أى إذا فتك فتح فاه و قتل كما يفتح الأسد فاه عند الافتراس و التأنيف للفتنه .

و الشكيمه فى الأصل حديده معترضه فى اللجام فى فم الدابته ثم قالوا فلان شديد الشكيمه إذا كان شديد المراس شديد النفس
عسر الانقياد .

و ثقلت وطأته

عظم جوره و ظلمه و كلوح الأيام عبوسها و الكدوح الآثار من الجراحات.

و القروح الواحد الكدح أى الخدش.

و المراد من قوله من الأيام ثم قال و من الليالى أن هذه الفتنه مستمره الزمان كله لأن الزمان ليس إلا النهار و الليل .

و أبنع الزرع أدرك و نضج و هو البنع و البنع بالفتح و الضم مثل النضج و النضج

و يجوز ينع الزرع بغير همز ينع ينوعا و لم تسقط الياء فى المضارع لأنها تقوت بأختها و زرع ينيع و يانع مثل نضيح و ناضح و قد روى أيضا هذا الموضع بحذف الهمز.

و قوله ع و قام على ينعه الأحسن أن يكون ينع هاهنا جمع يانع كصاحب و صحب ذكر ذلك ابن كيسان و يجوز أن يكون أراد المصدر أى و قام على صفه و حاله هى نضجه و إدراكه .

و هدرت شقاشقه

قد مر تفسيره فى الشقشقيه و برقت بوارقه سيوفه و رماحه و المعضله العسره العلاج داء معضل .

و يخرق الكوفه يقطعها و القاصف الريح القويه تكسر كل ما تمر عليه و تقصفه .

ثم وعد ع بظهور دوله أخرى فقال و عن قليل تلتف القرون بالقرون و هذا كناية عن الدوله العباسيه التى ظهرت على دوله بنى أميه و القرون الأجيال من الناس واحدها قرن بالفتح.

و يحصد القائم و يحطم المحصود

كنايه عن قتل الأمراء من بنى أميه فى الحرب ثم قتل المأسورين منهم صبيرا فحصد القائم قتل المحاربه و حطم الحصيد القتل صبيرا و هكذا وقعت الحال مع عبد الله بن على و أبى العباس السفاح

ص: ١٠١

وَذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشِ الْحِسَابِ وَ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَأَحْسَنَهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمِيهِ مَوْضِعاً وَ لِنَفْسِهِ مَتْسَعاً .

هذا شرح حال يوم القيامة و النقاش مصدر ناقش أى استقصى فى الحساب

١٥٩٠

وَ فِي الْحَدِيثِ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ .

و أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ سَالَ مِنْهُمْ حَتَّى بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ اللِّجَامِ مِنَ الدَّابَّةِ وَ هُوَ الْفَمُ .

و رجفت بهم

تحرّكت و اضطربت رجف يرجف بالضم و الرفع الزلزله و الرجاف من أسماء البحر سمي بذلك لاضطرابه .

ثم وصف الزحام الشديد الذى يكون هناك فقال أحسن الناس حالا هناك من وجد لقدميه موضعا و من وجد مكانا يسعه و منها فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمه و لا ترد لها رايه تأتيكم مرمومه مرحوله يحفزها فأندها و يجهدها ركبها أهلها قوم شديد كلبهم قليل

ص: ١٠٢

سَلَبْتُهُمْ يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حِسَّ وَ سَيِّئَاتِي أَهْلِكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ .

قطع الليل

جمع قَطَعَ و هو الظلمه قال تعالى فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ (١) .

قوله لا تقوم لها قائمه أى لا تنهض بحربها فنه ناهضه أو لا تقوم لتلك الفتن قائمه من قوائم الخيل يعنى لا سبيل إلى قتال أهلها و لا يقوم لها قلعه قائمه أو بنيه قائمه بل تنهدم .

قوله و لا يرد لها رايه أى لا تنهزم و لا تفر لأنها إذا فرت فقد ردت على أعقابها .

قوله مزوممه مرحوله أى تامة الأدوات كامله الآلات كالناقه التى عليها رحلها و زمامها قد استعدت لأن تركب .

يحفزها

يدفعها و يجهدها يحمل عليها فى السير فوق طاقتها جهدت دابتى بالفتح و يجوز أجهدت و المراد أن أرباب تلك الفتن يجتهدون و يجدون فى إضرام نارها رجلا و فرسانا فالرجل كنى عنهم بالقائد و الفرسان كنى عنهم بالراكب .

و الكلب الشده من البرد و غيره و مثله الكلبه و قد كلب الشتاء و كلب القحط و كلب العدو و الكلب أيضا الشر دفعت عنك كلب فلان أى شره و أذاه .

ص: ١٠٣

و قوله قليل سلبهم أى همهم القتل لا السلب كما قال أبو تمام إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهه فى المسلوب لا السلب (١) ثم ذكر ع أن هؤلاء أرباب الفتن يجاهدهم قوم أذله كما قال الله تعالى أذله على المؤمنين أعزّه على الكافرين (٢) و ذلك من صفات المؤمنين .

ثم قال هم مجهولون عند أهل الأرض لخمولهم قبل هذا الجهاد و لكنهم معروفون عند أهل السماء و هذا إنذار بملحمه تجرى فى آخر الزمان و قد أخبر النبى ص بنحو ذلك و قد فسر هذا الفصل قوم و قالوا إنه أشار به إلى الملائكة لأنهم مجهولون فى الأرض معروفون فى السماء و اعتذروا عن لفظه قوم فقالوا يجوز أن يقال فى الملائكة قوم كما قيل فى الجن قوم قال سبحانه فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين (٣) إلا أن لفظ أذله عند المتكبرين يبعد هذا التفسير .

ثم أخبر بهلاك البصره بجيش من نعم الله لا رهج له و لا حس الرهج الغبار و كنى بهذا الجيش عن جذب و طاعون يصيب أهلها حتى يبيدهم و الموت الأحمر كناية عن الوباء و الجوع الأغبر كناية عن المحل و سى الموت الأحمر لشدته و منه

١٥٩١

١٤،١- الحديث كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ .

و وصف الجوع بأنه أغبر لأن الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبره و ظلما و فسّر قوم هذا الكلام بوقعه صاحب الزنج و هو بعيد لأن جيشه كان ذا حس و رهج و لأنه أنذر البصره بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن ألا تراه قال فويل لك يا بصره عند ذلك و لم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديده على الصفات التى ذكرها أمير المؤمنين ع

ص: ١٠٤

١-١) ديوانه ١:٧١.

٢-٢) سورة المائدة ٥٤.

٣-٣) سورة الأحقاف ٢٩.

أَيُّهَا النَّاسُ انظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا الصَّادِقِينَ عَنْهَا فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُرِيْلُ الثَّائِي السَّاكِنِ وَ تَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْأَمِنَ لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَذْبَرِ وَلَا يُدْرِي مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا [فَيَتَنَظَّرُ]

فَيَتَنَظَّرُ سُرُورَهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ وَ جَلَمَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَ الْوَهْنِ فَلَا يُغَرِّتُكُمْ كَثْرَتُهُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلِّهِ مَا يَصِيحِبُكُمْ مِنْهَا رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَ اعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَ كَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ وَ كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ .

الصادقين عنها

أى المعرضين و امرأه صدوف التى تعرض وجهها عليك ثم تصدف عنك .

و عما قليل عن قليل و ما زائده .

و الثاوى المقيم ثوى يثوى ثواء و ثويا مثل مضى يمضى مضاء و مضيا و يجوز ثويت بالبصره و ثويت البصره و جاء أثويت بالمكان لغه فى ثويت قال الأعشى

ص: ١٠٥

فمضت و أخلف من قتيله موعدا (١) .

و المترف الذى قد أترفته النعمه أى أطغته يقول ع لا- يعود على الناس ما أدبر و تولى عنهم من أحوالهم الماضيه كالشباب و القوّه و لا- يعلم حال المستقبل من صحه أو مرض أو حياه أو موت لينتظر و ينظر إلى هذا المعنى قول الشاعر و أضيع العمر لا الماضى انتفعت به و لا حصلت على علم من الباقي .

و مشوب مخلوط شبته أشوبه فهو مشوب و جاء مشيب فى قول الشاعر و ماء قدور فى القصاع مشيب.

فبناه على شيب لم يسم فاعله و فى المثل هو يشوب و يروب يضرب لمن يخلط فى القول أو العمل .

و الجلد الصلابه و القوّه و الوهن الضعف نفسه و إنّما عطف للتأكيد كقوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ (٢) و قوله لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣) .

ثم نهى عن الاغترار بكثرة العجب من الدنيا و علل حسن هذا النهى و قبح الاغترار بما نشاهده عيانا من قله ما يصحب مفارقيها منها و قال الشاعر فما تزود مما كان يجمعه ثم جعل التفكير عله الاعتبار و جعل الاعتبار عله الأبصار و هذا حق لأن الفكر يوجب الاتعاظ و الاتعاظ يوجب الكشف و المشاهده بالبصيره التى نورها الاتعاظ.

ص: ١٠٦

١-١ (١) ديوانه ١٥٠، و روايته: «و مضى».

٢-٢ (٢) سوره المائده ٤٨.

٣-٣ (٣) سوره فاطر ٣٥.

ثم ذكر أن ما هو كائن و موجود من الدنيا سيصير عن قليل أى بعد زمان قصير معدوما و الزمان القصير هاهنا انقضاء الأجل و حضور الموت .

ثم قال إن الذى هو كائن و موجود من الآخرة سيصير عن قليل أى بعد زمان قصير أيضا كأنه لم يزل و الزمان القصير هاهنا هو حضور القيامة و هى و إن كانت تأتى بعد زمان طويل إلا أن الميت لا يحس بطوله و لا فرق بين ألف سنة عنده إذا عاد حيا و بين يوم واحد لأن الشعور بالبطء فى الزمان مشروط بالعلم بالحركة و يدل على ذلك حال النائم ثم قال كل معدود منقضى و هذا تنبيه بطريق الاستدلال النظرى على أن الدنيا زائلة و منصرفه و قد استدلل المتكلمون بهذا على أن حركات الفلك يستحيل ألا يكون لها أول فقالوا لأنها داخله تحت العدد و كل معدود يستحيل أن يكون غير متناه و الكلام فى هذا المذكور فى كتبنا العقلية .

ثم ذكر أن كل ما يتوقع لا بد أن يأتى

و كل ما سيأتى فهو قريب و كأنه قد أتى

و هذا مثل قول قس بن ساعده الإيادى ما لى أرى الناس يذهبون ثم لا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما إن فى السماء لخبرا و إن فى الأرض لعبرا سقف مرفوع و مهاد موضوع و نجوم تمور و بحار لا تغور اسمعوا أيها الناس و عوا من عاش مات و من مات فات و كل ما هو آت آت و منها العالم من عرف قدره و كفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره و إن من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبداء و كله الله إلى نفسه جائرا عن قصد السبيل سائرا بغير

ص: ١٠٧

دَلِيلٌ إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسَلَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ .

قوله ع العالم من عرف قدره من الأمثال المشهورة عنه ع وقد قال الناس بعده في ذلك فأكثرُوا نحو قولهم إذا جهلت قدر نفسك فأنت لقدر غيرك أجهل ونحو قولهم من لم يعرف قدر نفسه فالناس أعذر منه إذا لم يعرفوه ونحو قول الشاعر أبي الطيب و من جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى (١) .

ثم عبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى فصارت مثلاً أيضاً و هي قوله كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره و من الكلام

١٥٩٢

الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ ع مَرْفُوعاً مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ رَوَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ عَنْهُ فِي الْكَامِلِ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع وَ مَا إِخَالُ رَجُلًا يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهَا إِلَّا مِنْ خَلَلٍ فِي عَقْلِهِ .

و

١٥٩٣

١،٣،٥،٤- رَوَى صَاحِبُ الْكَامِلِ أَيْضاً عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ ع قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ع أَبِي ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّ أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي يَوْمَ قِتْلٍ وَ بِمَا ذَكَرَ لِي أَنَّ أَبَاهُ عَلِيًّا ع أَوْصَاهُ بِهِ يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِبَدْلِ نَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَسِيرُ أَبَاكَ بِدَلِّ نَفْسِهِ حُمُرُ النَّعَمِ .

١٥٩٤

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَرَاحَ .

ص: ١٠٨

(١-١) ديوانه ١:٤٤ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَا رَفَعَ امْرُؤٌ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا دَرَجَةً إِلَّا حَطَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ دَرَجَاتٍ.

وَكَانَ يُقَالُ مَنْ رَضِيَ عَنِ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَطُونَ عَلَيْهِ . ثم ذكر ع أن من أبغض البشر إلى الله عبدا و كله الله إلى نفسه أى لم يمدّه بمعونته و أطفاه لعلمه أنه لا ينجع ذلك فيه و أنه لا ينجذب إلى الخير و الطاعة و لا يؤثر شيء ما فى تحريك دواعيه إليها فيكله الله حينئذ إلى نفسه .

و الجائر العادل عن السم و لما كان هذا الشقى خابطا فيما يعتقد و يذهب إليه مستندا إلى الجهل و فساد النظر جعله كالسائر بغير دليل .

و الحرث هاهنا كل ما يفعل ليثمر فائده فحرث الدنيا كالتجاره و الزراعه و حرث الآخرة فعل الطاعات و اجتناب المقبحات و المعاصى و سمى حرثا على جهه المجاز تشبيها بحرث الأرض و هو من الألفاظ القرآنيه.

و كسل الرجل بكسر السين يكسل أى يتناقل عن الأمور فهو كسلان و قوم كسالى و كسالى بالفتح و الضم .

قال ع حتى كان ما عمله من أمور الدنيا هو الواجب عليه لحرصه و جده فيه و كان ما ونى عنه أى فتر فيه من أمور الآخرة ساقط عنه و غير واجب عليه لإهماله و تقصيره فيه و منها و ذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومه إن شهد لم يعرف و إن غاب

لَمْ يُفْتَقِدْ أَوْلِيَّكَ مَصَابِيحَ الْهُدَى وَ أَعْلَامَ الشَّرَى لِيَسُوا بِالْمَسَابِيحِ وَ لَا- الْمَذَابِيحِ الْبُذْرِ أَوْلِيَّكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَ يَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَ لَمْ يُعِدْكُمْ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَكُمْ وَ قَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلآيَاتِ وَ إِنَّ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ .

(١)

[قال الرضى رحمه الله تعالى أما قوله ع كل مؤمن نومه فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر و المسابيح جمع مسياح و هو الذى يسبح بين الناس بالفساد و النمام و المذابيح جمع مذياع و هو الذى إذا سمع لغيره بفاحشه أذاعها و نوه بها و البذر جمع بذور و هو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقته]

شهد

حضر و كفأت الإناء أى قلبته و كببته و قال ابن الأعرابى يجوز أكفأته أيضا و البذر جمع بذور مثل صبور و صبر و هو الذى يذيع الأسرار و ليس كما قال الرضى رحمه الله تعالى فقد يكون الإنسان بذورا و إن لم يكثر سفهه و لم يبلغ منطقته بأن يكون علنه مذياعا من غير سفهه و لا لغو و الضراء الشده و مثلها البأساء و هما اسمان مؤنثان من غير تذكير و أجاز الفراء أن يجمع على آضر و أبؤس كما يجمع النعماء على أنعم.

ص: ١١٠

و اعلم أنه قد جاء في التواضع و هضم النفس شيء كثير و من ذلك

١٥٩٧

الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَهُ.

و

١٥٩٨

يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ لِأَنَّ فِي أَخْلَاقِكَ خُلُقًا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَ هُوَ التَّوَاضُّعُ.

١٥٩٩

وَ رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ابْنَهُ يَمْشِي الْخِيَلَاءَ فَنَادَاهُ فَقَالَ وَيْلَكَ أَمْ تَمْشِي هَذِهِ الْمَشْيَةَ وَ أَبُوكَ أَبُوكَ وَ أُمَّكَ أُمَّكَ أُمَّكَ فَامَّهُ ابْتِغَاءً بِمَائَتِي دِرْهَمٍ وَ أُمَّ أَبُوكَ فَلَا كَثْرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ.

و مثل قوله ع كل مؤمن نومه إن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد

١٦٠٠

قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص رَبِّ أَشَعْتَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرٍ قَسَمَهُ.

١٦٠١

وَ قَالَ عَمْرٌو لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيسِ الرَّفْعَةَ بِالتَّوَاضُّعِ وَ الشَّرْفَ بِالدِّينِ وَ الْعَفْوَ مِنَ اللَّهِ بِالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ وَ إِيَّاكَ وَ الْخِيَلَاءَ فَتَضَعُ مِنْ نَفْسِكَ وَ لَا تُحَقِّرَنَّ أَحَدًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ عَيْنَاكَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ وَسِيلَهُ مِنْكَ.

١٦٠٢

وَ قَالَ الْأَخْنَفُ عَجِبْتُ لِمَنْ جَرَى فِي مَجْرَى الْبُولِ مَرَّتَيْنِ مِنْ فَوْجَيْنِ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ. وَ قد جاء في كلام رسول الله ص ما يناسب كلام أمير المؤمنين ع هذا

١٦٠٣

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ.

وَأَمَّا إِفْشَاءُ السَّرِّ وَإِذَاعَتُهُ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَيْضًا مَا يَكْثُرُ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ إِلَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَالِفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ
(١) لكفى.

ص: ١١١

١-١) سورة القلم ١١، ١٠.

١٦٠٤

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ أُكَلَهُ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِثْلَهَا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .

قيل في تفسيره هو أن يسعى بأخيه و يجر نفعاً بسعايته.

١٦٠٥

الْجَنِينُ

سُرُّ مَا عَايَنْتَ أَحْسَنُ مِنْ إِشَاعِهِ مَا ظَنَنْتَ .

١٦٠٦

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ

مَنْ سَمِعَ بِفَاحِشِهِ فَأَفْشَاهَا فَهُوَ كَالَّذِي أَتَاهَا .

١٦٠٧

قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ إِنَّ عَلِيًّا الْمَأْسُورِيَّ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ الْيَوْمِ يَذْكُرُكَ بِسُوءٍ وَيَقُولُ الضَّالُّ فَقَالَ عَمْرٍو يَا هَذَا مَا رَعَيْتَ حَقَّ مُجَالَسَةِ الرَّجُلِ حِينَ نَقَلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ وَلَا وَفَيْتَنِي حَقِّي حِينَ أْبْلَغْتَنِي عَنْ أَخِي مَا أَكْرَهُهُ اعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ يُعْمُنَا وَ الْبَعْثَ يُحْشِرُنَا وَ الْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا وَ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَنَا .

١٦٠٨

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

١٦٠٩

وَ قَالُوا فِي السُّعَاهِ يَكْفِيكَ أَنَّ الصَّدَقَ مَحْمُودٌ إِلَّا مِنْهُمْ وَ إِنَّ أَصْدَقَهُمْ أَحَبُّهُمْ .

١٦١٠

وَ شِئِي وَاشِ بِرَجِيلٍ إِلَى الْأَشِيِّ كَنْدَرٍ فَقَالَ لَهُ أَ تُحِبُّ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ عَلَيَّ أَنْ أَقْبَلَ مِنْهُ مَا قَالَ فِيكَ قَالَ لَا قَالَ فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكُفُّ عَنْكَ .

قَالَ رَجُلٌ لِفَيْلَسُوفٍ عَابَكَ فُلَانٌ بِكَذَا قَالَ لَقَيْتَنِي لِقَعْتِكَ بِمَا لَمْ يَلْقَنِي بِهِ لِحَيَاتِهِ.

عَابَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْأَخْنَفَ عَنْ شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ فَأَنْكَرَهُ فَقَالَ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ فَقَالَ كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ الثَّقَةَ لَا يَنْبَغُ.

عَرَضَ بَعْضُ عُمَّالِ الْفَضْلِ بْنِ سَيِّهَلٍ عَلَيْهِ رُقْعَةً سَاعٍ فِي طَيِّ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَيْهِ فَوَقَعَ الْفَضْلُ قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنَ السَّعَايَةِ لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَالْقَبُولُ إِجَازَةٌ وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى قَبِيحٍ كَمَنْ أَجَازَهُ وَعَمِلَ بِهِ فَاطْرُدُ هَذَا السَّاعِي عَنْ عَمَلِكَ وَأَقْصِهِ عَنْ بَابِكَ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي سَعَايَتِهِ كَاذِبًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ لَيْمًا إِذْ لَمْ يَزَعْ الْحُرْمَةَ وَ لَمْ يَسْتُرِ الْعَوْرَةَ وَالسَّلَامَ.

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ

مَنْ يُخَبِّرَكَ بِشَيْءٍ عَنْ أَخِي

طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّقْفِيُّ

(١)

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ عَلِمُوا

شَرًّا أَدَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا .

و معنى قوله ع و إن غاب لم يفتقد أى لا يقال ما صنع فلان و لا أين هو أى هو حامل لا يعرف .

و قوله أولئك يفتح الله بهم أبواب الرحمة و يكشف بهم ضراء النقمه و روى أولئك يفتح الله بهم أبواب رحمته و يكشف بهم ضراء نقمته أى بركاتهم يكون الخير و يندفع الشر .

ثم ذكر ع أنه سيأتى على الناس زمان تنقلب فيه الأمور الدينيه إلى أصدادها و نقائضها و قد شهدنا ذلك عيانا .

ثم أخبر ع أن الله لا يجور على العباد لأنه تعالى عادل (٢) و لا يظلم و لكنه يتلى عباده أى يختبرهم ثم تلا قوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَ إِنَّ كُنَّا لُمُبْتَلِينَ (٣) و المراد أنه تعالى إذا فسد الناس لا يلجئهم إلى الصلاح لكن يتركهم و اختيارهم امتحانا لهم فمن أحسن أثيب و من أساء عوقب

ص: ١١٣

١-١ (١) ساقطه من ب.

٢-٢ (٢) ب: «عال».

٣-٣ (٣) سوره «المؤمنون» ٣٠.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى]

بَعَثَ مُحَمَّدًا صَ وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِّنَ الْعَرَبِ يَفْرَأُ كِتَابًا وَ لَا يَدْعِي بُرُوءَهُ وَ لَا وَحِيًّا فَفَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِّنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنَاجِيهِمْ وَ يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزَلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَ يَقِفُ الْكَسِيرُ فَيَقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنَاجِيَهُمْ وَ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رِحَابُهُمْ وَ اسْتَقَامَتْ قِنَاتُهُمْ وَ ائِمَّ اللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّىٰ تَوَلَّتْ بِحِذَابِهَا وَ اسْتَوَسَدَّتْ فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفَتْ وَ لَا جَبُنْتُ وَ لَا خُنْتُ وَ لَا وَهَنْتُ وَ ائِمَّ اللَّهُ لِأَبْقَرِ الْبَاطِلِ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و قد تقدم مختار هذه الخطبه إلا أننى وجدتها فى هذه الروايه على خلاف ما سبق من زياده و نقصان فأوجبت الحال إثباتها ثانيه]

لقائل أن يقول أ لم يكن فى العرب نبي قبل محمد و هو خالد بن (١) سنان العيسى و أيضا فقد كان فيها هود و صالح و شعيب .

ص: ١١٤

١ - ١) هو خالد بن سنان بن غيث العيسى، ذكره الرسول عليه السلام؛ وقال: «ذلك نبي أضاعه قومه». و انظر أخباره فى مروج الذهب ١:١٣١ (طبع أوربا).

و نجيب هذا القائل بأن مراده ع أنه لم يكن في زمان محمد ص و ما قاربه من ادعى النبوه فأما هود و صالح و شعيب فكانوا في دهر قديم جدا و أما خالد بن سنان فلم يقرأ كتابا و لا يدعى شريعه و إنما كانت نبوه مشابهه لنبوه جماعه من أنبياء بني إسرائيل الذين لم يكن لهم كتب و لا شرائع و إنما ينهون عن الشرك و يأمرون (١) بالتوحيد .

و منجاتهم نجاتهم نجوت من كذا نجاه ممدود و نجا مقصور و منجاه على مفعله و منه قولهم الصدق منجاه .

قوله ع و يبادر بهم الساعه كأنه كان يخاف أن تسبقه القيامة فهو يبادرها بهدايتهم و إرشادهم قبل أن تقوم و هم على ضلالهم .

و الحسير المعيا حسر البعير بالفتح يحسر بالكسر حسورا و استحسر مثله و حسرته أنا يتعدى و لا يتعدى حسرا فهو حسير و يجوز أحسرته بالهمزه و الجمع حسرى مثل قتيل و قتلى و منه حسر البصر أى كل يحسر قال تعالى يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٢) و هذا الكلام من باب الاستعاره و المجاز يقول ع كان النبى ص لحرصه على الإسلام و إشفاقه على المسلمين و رأفته بهم يلاحظ حال من تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهه أو حدث عنده ريب و لا يزال يوضح له و يرشده حتى يزيل ما خامر سره من وساوس الشيطان و يلحقه بالمخلصين من المؤمنين و لم يكن ليقصر فى مراعاة أحد من المكلفين فى هذا المعنى إلا من كان يعلم أنه لا خير فيه أصلا لعناده و إصراره على الباطل و مكابرتة للحق .

و معنى قوله حتى يلحقه غايته حتى يوصله إلى الغايه التى هى الغرض بالتكليف يعنى اعتقاد الحق و سكون النفس إلى الإسلام و هو أيضا معنى قوله و بوأهم محلثهم .

ص: ١١٥

١-١) ساقطه من ب.

٢-٢) سورة الملك ٤.

و معنى قوله فاستدارت رحاهم انتظم أمرهم لأن الرحي إنما تدور إذا تكاملت أدواتها و آلاتها كلها و هو أيضا معنى قوله و استقامت قناتهم و كل هذا من باب الاستعارة .

ثم أقسم أنه ع كان من ساققتها الساقه جمع سائق كقاده جمع قائد و حاكه جمع حائك و هذا الضمير المؤنث يرجع إلى غير المذكور لفظا و المراد الجاهليه كأنه جعلها مثل كتيبه مصادمه لكتيبه الإسلام و جعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه حتى فرت و أدبرت و أتبعها يسوقها سوقا و هي موليه بين يديه.

حتى أدبرت بحذافيرها أى كلها عن آخرها .

ثم أتى بضمير آخر إلى غير المذكور لفظا و هو قوله و استوسقت فى قيادها يعنى المله الإسلاميه أو الدعوه أو ما يجرى هذا المجرى و استوسقت اجتمعت يقول لما ولت تلك الدعوه الجاهليه استوسقت هذه فى قيادها كما تستوسق الإبل المقوده إلى أعطانها و يجوز أن يعود هذا الضمير الثانى إلى المذكور الأول و هو الجاهليه أى ولت بحذافيرها و اجتمعت كلها تحت ذل المقاده .

ثم أقسم أنه ما ضعف يومئذ و لا وهن و لا جبن و لا خان و ليقرن الباطل الآن حتى يخرج الحق من خاصرته كأنه جعل الباطل كالشئء المشتمل على الحق غالبا عليه و محيطا به فإذا بقر ظهر الحق الكامن (1) فيه و قد تقدم منا شرح ذلك

ص: ١١٦

(١-١) ب الكائن: (١٠).

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَ شَهِيدًا وَ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا- وَ أَنْجَبَهَا كَهْلًا وَ أَطَهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً وَ أَجْوَدَ الْمُسِيئِينَ تَمَطَّرِينَ دِيمَةً فَمَا اخْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَدَّتِهَا (١) وَ لَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا [مِنْ بَعْدِهِ]

بَعِيدَ مَا صَادَقْتُمُوهَا جَائِلًا خَطَامُهَا فَلَقًا وَضِيئًا قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السُّدْرِ الْمَخْضُودِ وَ حَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ وَ صَادَقْتُمُوهَا وَ اللَّهُ ظَلَمًا- مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ فَالْمَأْرُضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَ أَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ وَ أَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ وَ سُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مَسْلُطَةٌ وَ سُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ أَلَا- وَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ تَائِرًا وَ لِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا وَ إِنَّ النَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَ لَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَّيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَ فِي دَارِ عَدُوِّكُمْ .

معنى كون النبي ص شهيدا أنه يشهد على الأمة بما فعلته من طاعه و عصيان أنجبها أكرمها و رجل نجيب أى كريم بين النجابه و النجبه مثل الهمزه.

ص: ١١٧

و يقال هو نجبه القوم أى النجيب منهم و أنجب الرجل أى ولد ولدا نجيبا و امرأه منجبه و منجاب تلد النجباء و نسوه مناجيب .

و الشيمه الخلق و الديممه مطر يدوم و المستمطرون المستجدون و المستماحون و احلوت حلت و قد عداه حميد بن ثور فى قوله (١) فلما أتى عامان بعد انفصاله عن الضرع و احلولى دماثا يرودها (٢) و لم يجئ افوعل متعديا إلا هذا الحرف و حرف آخر و هو اعروريت الفرس و هو الرضاع بفتح الراء رضع الصبى أمه بكسر الضاد يرضعها رضاعا مثل سمع يسمع سماعا و أهل نجد يقولون رضع بالفتح يرضع بالكسر مثل ضرب يضرب ضربا و قال الأصمعى أخبرنى عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذا البيت و ذموا لنا الدنيا و هم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لها ثعل (٣) بكسر الضاد و الأخلاف للناقه بمنزله الأطباء للكلبه واحدها خلف بالكسر و هو حلمه الضرع و الخطام زمام الناقه خطمت البعير زمتمته و ناقه مخطومه و نوق مخطومه .

و الوضين للهودج بمنزله البطان للقتب و التصدير للرحل و الحزام للسرغ و هو سيور تنسج مضاعفه بعضها على بعض يشد بها الهودج منه إلى بطن البعير و الجمع و ضن .

و المخضود الذى خضد شوكة أى قطع .

و شاغره خاليه شجر المكان أى خلا و بلدته (٤) شاغره إذا لم تمتنع من غاره أحد و الثائر طالب الثار لا يبقى على شىء حتى يدرك ثأره.

ص: ١١٨

١-١ ديوانه ٧٠٣.

٢-٢ احلولى: استحلى و استمرأ، و الدماث: جمع دمث؛ و هو السهل اللين الكثير النبات من الأرض، و يرودها: يأتيها للرعى.

٣-٣ اللسان ٩:٤٨٤، و نسبه إلى ابن همام السلولى.

٤-٤ ساقطه من ب.

يقول ع مخاطبا لمن في عصره من بقايا الصحابه و لغيرهم من التابعين الذين لم يدركوا عصر رسول الله ص إن الله بعث محمّدا وهو أكرم الناس شيمه و أنداهم يدا و خيرهم طفلا و أنجبهم كهلا فصانه الله تعالى في أيام حياته عن أن يفتح عليه الدنيا و أكرمه عن ذلك فلم تفتح عليكم البلاد و لا- درت عليكم الأموال و لا- أقبلت الدنيا نحوكم و ما دالت الدوله لكم إلا بعده فتمكنتم من أكلها و التمتع بها كما يتمكن الحالب من احتلاب الناقه فيحلبها و حلت لذاتها لكم و استطبتم العيشه و وجدتموها حلوه خضره.

ثم ذكر أنهم صادفوها يعنى الدنيا و قد صعبت على من يليها ولايه حقّ كما تستصعب الناقه على راكبها إذا كانت جائله الخطام ليس زمامها بممكن راكبها من نفسه قلقه الوضين لا يثبت هودجها تحت الراكب حرامها سهل التناول على من يريده كالسدر الذى خضد عنه شوكة فصار ناعما أملس و حلالها غير موجود لغلبه الحرام عليه و كونه صار مغمورا مستهلكا بالنسبه إليه و هذا إشاره إلى ما كان يقوله دائما من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر و أنّه كان الأولى و الأحق.

فإن قلت إذا كانت الدنيا قلقه الوضين جائله الخطام فهي صعبه الركوب و هذا ضد قوله حرامها بمنزله السدر المخضود لأنّه من الأمثال المضروبه للسهوله قلت فحوى كلامه أن الدنيا جمحت به ع فألقته عن ظهرها بعد أن كان راكبا لها أو كالراكب لها لاستحقاقه ركوبها و أنّها صارت بعده كالناقه التى خلعت زمامها أو أجالته فلا يتمكن راكبها من قبضه و استرخى و ضيئها لشده ما كان صدر عنها من النفار و التقحم حتّى أذرت راكبها فصارت على حال لا يركبها إلا من هو موصوف بركوب غير طبعى لأنّه ركب ما لا ينبغى أن يركب فالذين ولوا أمرها ولوه

على غير الوجه كما أن راكب هذه الناقة يركبها على غير الوجه و لهذا لم يقل فصار حرامها بمنزله الصدر المخضود بل قال عند أقوام فخصص.

و هذا الكلام كله محمول عند أصحابنا على التألم من كون المتقدمين تركوا الأفضل كما قدمناه في أول الكتاب.

ثم ذكر ع أن الدنيا فانية و أنها ظل ممدود إلى أجل معدود ثم ذكر أن الأرض بهؤلاء السكان فيها صورته خاليه من معنى كما قال الشاعر ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم

ثم أعاد الشكوى و التألم فقال أيديكم فى الدنيا مبسوطه و أيدي مستحقى الرئاسه و مستوجبى الأمر مكفوفه و سيوفكم مسلطه على أهل البيت الذين هم القاده و الرؤساء و سيوفهم مقبوضه عنكم و كأنه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين ع و أهله و كأنه يشاهد ذلك عيانا و يخطب عليه و يتكلم على الخاطر الذى سنج له و الأمر الذى كان أخبر به ثم قال إن لكل دم ثائرا يطلب القود و الثائر بدمائنا ليس إلا الله وحده الذى لا يعجزه مطلوب و لا يفوته هارب .

و معنى قوله ع كالحاكم فى حق نفسه أنه تعالى لا يقصر فى طلب دماننا كالحاكم الذى يحكم لنفسه فىكون هو القاضى و هو الخصم فإنه إذا كان كذلك يكون مبالغا جدا فى استيفاء حقوقه .

ثم أقسم و خاطب بنى أمية و صرح بذكرهم أنهم ليعرفن الدنيا عن قليل فى أيدي غيرهم و فى دورهم و أن الملك سينتزع منهم أعداؤهم و وقع الأمر بموجب إخباره ع

فإن الأمر بقي في أيدي بني أمية قريبا من تسعين سنة ثم عاد إلى البيت الهاشمي وانتقم الله تعالى منهم على أيدي أشد الناس عداوة لهم

هزيمة مروان بن محمد في موقعه الزاب ثم مقتله بعد ذلك

سار عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس في جمع عظيم للقاء مروان بن محمد بن مروان وهو آخر خلفاء الأمويين فالتقيا بالزاب (١) من أرض الموصل و مروان في جموع عظيمه و أعداد كثيره فهزم مروان و استولى عبد الله بن علي على عسكره و قتل من أصحابه خلقا عظيما و فر مروان هاربا حتى أتى الشام و عبد الله يتبعه فصار إلى مصر فاتبعه عبد الله بجنوده فقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر و قتل خواصه و بطانته كلها و قد كان عبد الله قتل من بني أمية على نهر أبي فطرس (٢) من بلاد فلسطين قريبا من ثمانين رجلا قتلهم مثله (٣) و احتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله فقتل منهم قريبا من هذه العده بأنواع المثل.

و كان مع مروان حين قتل ابنه عبد الله و عبيد الله و كانا وليي عهده فهربا في خواصهما إلى أسوان من صعيد مصر ثم صارا إلى بلاد النوبة و نالهم جهد شديد و ضر عظيم فهلك عبد الله بن مروان في جماعه ممن كان معه قتلا و عطشا و ضرا و شاهد من بقي منهم أنواع الشدائد و ضروب المكاره و وقع عبيد الله في عده ممن نجا معه في أرض البجه (٤) و قطعوا البحر إلى ساحل جده و تنقل فيمن نجا معه من أهله و مواليه في البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سوقه بعد أن كانوا ملوكا فظفر بعبد الله أيام السفاح فحبس

ص: ١٢١

١- (١) هو الزاب الأعلى، بين الموصل و إربل.

٢- (٢) فطرس، ضبطه صاحب مرصد الاطلاع بضم الفاء و سكون الطاء و ضم الراء و سين مهملة؛ و قال: موضع قرب الرمله من أرض فلسطين.

٣- (٣) يقال: مثل فلان بالقتيل مثله و مثلا، أي جدعه و ظهرت آثار فعله عليه.

٤- (٤) انظر تاريخ الطبري ٣: ١٤٢٨ (طبع أوروبا).

فلم يزل في السجن بقيه أيام السفاح و أيام المنصور و أيام المهديّ و أيام الهادي و بعض أيام الرشيد و أخرجه الرشيد و هو شيخ ضرير فسأله عن خبره فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا و أخرجت شيئا ضريرا فقبل إنّه هلك في أيام الرشيد و قيل عاش إلى أن أدرك خلافة الأمين .

شهد يوم الزاب مع مروان في إحدى الروايتين إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع الذي خطب له بالخلافه بعد أخيه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتل فيمن قتل و في الروايه الثانيه أن إبراهيم قتله مروان الحمار قبل ذلك.

لما انهزم مروان يوم الزاب مضى نحو الموصل فمنعه أهلها من الدخول فأتى حران و كانت داره و مقامه و كان أهل حران حين أزيل لعن أمير المؤمنين عن المنابر في أيام الجمع امتنعوا من إزالته و قالوا لا صلاه إلا بلعن أبي تراب فاتبعه عبد الله بن علي بجنوده فلما شارفه خرج مروان عن حران هاربا بين يديه و عبر الفرات و نزل عبد الله بن علي على حران فهدم قصر مروان بها و كان قد أنفق على بنائه عشره آلاف ألف درهم و احتوى على خزائن مروان و أمواله فسار مروان بأهله و عترته من بني أمية و خواصه حتى نزل بنهر أبي فطرس و سار عبد الله بن علي حتى نزل دمشق فحاصرها و عليها من قبل مروان الوليد بن معاويه بن عبد الملك بن مروان في خمسين ألف مقاتل فألقى الله تعالى بينهم العصية في فضل نزار على اليمن و فضل اليمن على نزار فقتل الوليد و قيل بل قتل في حرب عبد الله بن علي و ملك عبد الله دمشق فأتى يزيد بن معاويه بن عبد الملك بن مروان و عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملهما مأسورين إلى أبي العباس السفاح فقتلتهما و صلبهما بالحيره و قتل عبد الله بن علي بدمشق خلقا كثيرا من أصحاب مروان و موالي بني أمية و أتباعهم و نزل عبد الله على نهر

أبى فطرس فقتل من بنى أميّه هناك بضعا وثمانين رجلا و ذلك فى ذى القعدة من سنه ثنتين و ثلاثين و مائه

شعر عبد الله بن عمرو العبلى فى رثاء قومه

و فى قتلى نهر أبى فطرس و قتلى الزاب يقول أبو عدى عبد الله بن عمر عمرو العبلى و كان أموى الرأى تقول أمامه لما رأته

ص: ١٢٣

(١)

أنفه بن مسلمه بن عبد الملك

١٦١٦

و روى أبو الفرج الأضنهانئى فى كتاب الأغانى قال نظر عبد الله بن على فى الحرب إلى فتى عليه أبه الشرف و هو يجارب
مستقلاً (٢) فناداه يا فتى لك الأمان و لو كنت مزوان بن محمد قال إلا أكنته فلوست بدونه فقال و لك الأمان و لو كنت من كنت
فأطرق ثم أنشد لذل الحياه و كزه الممات (٣)

ثم قاتل حتى قتل فإذا هو ابن مسلمه بن عبد الملك .

(٤)

ص: ١٢٤

١-١) الزببان: تننيه زاب، و هو الزاب الأعلى و الزاب الأسفل؛ و يريد به الأعلى؛ و به كانت الموقعه.

٢-٢) الأغانى: «الزبن فى المجلس».

٣-٣) روايه الأغانى: هم أضرعونى لرب الزمان و هم ألصقوا الرغم بالمعطس.

٤-٤) الأغانى: «مستقلاً»؛ و هو الخارج من الصف المتقدم على أصحابه.

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ خَلْفِ وَقِيْعٍ قَالَ دَخَلَ سَيْدَيْفُ مَوْلَى آلِ (١) أَبِي لَهَبٍ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْحَيْرَةِ وَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَالِسٌ عَلَى سِرِّيْرِهِ وَ بَنُو هَاشِمٍ دُونَهُ عَلَى الْكَرَاسِيِّ وَ بَنُو أُمَيَّةَ حَوْلَهُ عَلَى وَ سَائِمَدَ قَدْ تُبِيَتْ لَهُمْ وَ كَانُوا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَجْلِسُونَ لَهُمْ وَ الْخَلِيفَةُ (٢) مِنْهُمْ عَلَى الْأَسْرَةِ وَ يَجْلِسُ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الْكَرَاسِيِّ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَابِ رَجُلٌ حِجَازِيٌّ أَسْوَدُ رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ مُتَلَثَّمٍ يَسْتَأْذِنُ وَ لَا يُخْبِرُ بِاسْمِهِ وَ يَحْلِفُ لَا يَحْسِرُ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ هَذَا سَيْدَيْفُ مَوْلَانَا أَدْخَلَهُ فَدَخَلَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَ بَنُو أُمَيَّةَ حَوْلَهُ حَسِرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَنْشَدَ أَصْبَحَ الْمُلُوكُ ثَابِتُ الْأَسَاسِ

ص: ١٢٥

١-١ (١) الأغانى: «و هو مولى لآل أبي لهب».

٢-٢ (٢) الأغانى: «و الخلفاء».

قَالَ فَتَعَيَّرَ لَوْ أَنَّ أَبِي الْعَبَّاسَ وَ أَخَذَهُ زَمْعٌ (١) وَ رَعْدَهُ فَالْتَفَتَ بَعْضُ وُلْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى آخَرٍ فِيهِمْ كَانَ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ قَتَلْنَا وَ اللَّهُ الْعَبِيدُ فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ يَا بُنَيَّ الزَّوَانِي (٢) لَا أَرَى قَتْلَكُمْ مِنْ أَهْلِي قَدْ سَلَفُوا وَ أَنْتُمْ أَحْيَاءُ تَتَلَدَّدُونَ فِي الدُّنْيَا حُدُودَهُمْ فَأَخَذَتْهُمْ الْخُرَّاسِيُّ بِالْكَافِرِ كُوبَاتٍ فَأُهْمِدُوا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَإِنَّهُ اسْتَجَارَ بِدَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَ قَالَ إِنَّ أَبِي لَمْ يَكُنْ كَأَبَائِهِمْ

ص: ١٢٦

١-١) روايه الأغانى: خوفهم أظهر التودد منهم و بهم منكم كحز المواسى.

٢-٢) ذكر المبرد فى شرح هذا البيت قوله: «مصرع الحسين و زيد»، يعنى زيد بن على بن الحسين؛ كان خرج على هشام بن عبد الملك، و قتله يوسف بن عمر الثقفى؛ و صلبه بالكناسه هو و جماعه من أصحابه..و إنما نسب قتل حمزه إلى بنى أمية؛ لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد».

وَقَدْ عَلِمْتَ صَنِيعَتَهُ إِلَيْكُمْ فَأَجَارَهُ وَاسْتَوْهَبَهُ مِنَ السَّفَاحِ وَقَالَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ صَنِيعَ أَبِيهِ إِلَيْنَا فَوَهَبَهُ لَهُ وَقَالَ لَا يُرِينِي وَجْهَهُ وَلِيَكُنْ
بِحَيْثُ نَأْمَنُهُ وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ فِي الْأَفَاقِ بِقَتْلِ بَنِي أُمِّيَّةَ (١).

١٤١٨

فَأَمَّا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فَإِنَّهُ رَوَى فِي الْكَامِلِ (٢) هَذَا الشُّعْرَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى سُدَيْفِ بَلْ إِلَى شَيْبَلِ مَوْلَى بَنِي
هَاشِمٍ. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ دَخَلَ شَيْبَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَدْ أَجْلَسَ ثَمَانِينَ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ عَلَى سِمَاطِ
الطَّعَامِ فَأَنْشَدَهُ أَصْبَحَ الْمُلْكُ ثَابِتَ الْأَسَاسِ

فَأَمَرَ بِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَشَدَّخُوا بِالْعَمَدِ وَبُسَطَتِ الْبُسُطُ عَلَيْهِمْ وَجَلَسَ عَلَيْهَا وَدَعَا

ص: ١٢٧

١- (١) الأغانى ٣٤٤-٤:٣٤٦.

٢- (٢) الكامل ١٣٥، ١٣٤:٨ بشرح المرصفي.

بِالطَّعَامِ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ أُنِينَ بَعْضِهِمْ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا وَقَالَ لِشَيْبَلٍ لَوْ لَا أَنْتَ خَلَطْتَ شِعْرَكَ بِالْمَسْأَلَةِ لَأَغْنَمْتُكَ أَمْوَالَهُمْ وَلَعَقَدْتُ لَكَ عَلَى جَمِيعِ مَوَالِي بَنِي هِاشِمٍ. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّقْلَةُ النَّخْلَةُ الطَّوِيلَةُ وَالْأَوَاسِي جَمَعَ آسِيَّةَ وَهِيَ أَصْلُ الْبِنَاءِ كَالْأَسَاسِ وَقَتِيلُ الْمِهْرَاسِ حَمْرُهُ عَ وَالْمِهْرَاسُ مَاءٌ بِأَحْيِدٍ وَقَتِيلُ حَزَّانٍ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَأَمَّا سَيْدَيْفٌ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ وَإِنَّمَا قَامَ مَقَامًا آخَرَ دَخَلَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ وَعِنْدَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ أُعْطَاهُ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا وَأَذْنَاهُ فَأَقْبَلَ عَلَى السَّفَّاحِ وَقَالَ لَهُ لَا يُغَرَّنَكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالِ

فَقَالَ سُلَيْمَانُ مَا لِي وَ لَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ قَتَلْتَنِي قَتَلَكَ اللَّهُ فَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ فَدَخَلَ وَإِذَا الْمُنْدِيلُ قَدْ أُلْقِيَ فِي عُنُقِ سُلَيْمَانَ ثُمَّ جَرَّ فَقَتِلَ.

فَأَمَّا سُلَيْمَانُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَتِلَ بِالْبُلْقَاءِ وَ حُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ .

أخبار متفرقة في انتقال الملك من بني أمية إلى بني العباس

١٤١٩

وَ ذَكَرَ صَاحِبُ مُرُوجِ الذَّهَبِ أَنَّهُ أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَاهُ صَالِحَ بْنَ عَلِيٍّ وَمَعَهُ عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَحَدَ الشُّعْبَةِ الْخُرَاسَانِيَّةِ إِلَى مَصِيرٍ فَلَحِقُوا مَرْوَانَ بِبُوصَيْرٍ فَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَ بَطَانَتِهِ وَ هَجَمُوا عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِيهَا بَنَاتُهُ وَ نِسَاؤُهُ فَوَجَدُوا خَادِمًا بِيَدِهِ سَيْفٌ مَشْهُورٌ يُسَابِقُهُمْ عَلَى الدُّخُولِ فَأَخَذُوهُ وَ سَأَلُوهُ عَنْ أَمْرِهِ فَقَالَ إِنَّ

ص: ١٢٨

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي إِنَّ هُوَ قَاتِلٌ أَنْ أَقْتَلَ بَنَاتِهِ وَ نِسَاءَهُ كُلَّهُنَّ قَبْلَ أَنْ تَصَلُّوا إِلَيْهِنَّ فَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَقَالَ لَا تَقْتُلُونِي فَإِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُونِي فَقَدْتُمْ مِيرَاثَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالُوا وَ مَا هُوَ فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى كُثْبَانَ مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ أَكْتَبُوا هَاهُنَا فَإِذَا الْبُرْدَةُ وَ الْقَضِيْبُ وَ قَعْبٌ (١) مُخَضَّبٌ قَدْ دَفَنَهَا مَرْوَانُ ضَنْبًا بِهَا أَنْ تَصِيرَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ فَوَجَّهَ بِهِ عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ فَوَجَّهَ بِهِ صَالِحٌ إِلَى أُخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ فَوَجَّهَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَ تَدَاوَلَهُ خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بَعْدِ.

وَ أَدْخَلَ بَنَاتِ مَرْوَانَ وَ حُرْمَةَ وَ نِسَاءَهُ عَلَى صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ فَتَكَلَّمَتْ ابْنَةُ مَرْوَانَ الْكُبْرَى فَقَالَتْ يَا عَمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَفِظَ اللَّهُ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ مَا تُحِبُّ حِفْظَهُ وَ أَسْعَدَكَ فِي أحوَالِكَ كُلِّهَا وَ عَمَّكَ بِخَوَاصِّ نِعَمِهِ وَ شَمَلَكَ بِالْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ نَحْنُ بَنَاتُكَ وَ بَنَاتُ أُخِيكَ وَ ابْنِ عَمِّكَ فَلَيْسَ عِنَّا مِنْ عَدْلِكُمْ مَا وَسِعْنَا مِنْ جُورِكُمْ قَالَ إِذَا لَا نَسْتَبْقِي مِنْكُمْ أَحَدًا لِأَنَّكُمْ قَدْ قَتَلْتُمْ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ وَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ وَ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ وَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَ قَتَلْتُمْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ حُسَيْنًا وَ إِخْوَتَهُ وَ بَنِيهِ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ سَيِّدَتُمُ نِسَاءَهُ سَبَايَا كَمَا يَسْبِقُ ذُرَارِيُّ الرُّومِ عَلَى الْأَقْتِيَابِ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ يَا عَمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ عِنَّا عَفْوُكُمْ إِذَا قَالَ أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ وَ إِنْ أَحْبَبْتَ زَوْجَتِكَ مِنْ ابْنِي الْفَضْلِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَتْ يَا عَمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَيُّ سَاعَةِ عُرْسٍ تَرَى بَلْ تُلْحِقْنَا بِحِرَانَ فَحَمَلَهُنَّ إِلَى حِرَانَ (٢) .كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيُّ عَامِلٌ إِفْرِيقِيَّةَ لِمَرْوَانَ فَلَمَّا حَدَّثَتْ الْحَادِثَةَ هَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ وَ الْعَاصُ ابْنَا الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ فَأَعْتَصَمَا بِهِ فَخَافَ

ص: ١٢٩

١-١) مروج الذهب: «و مختصر».

٢-٢) الخبر في مروج الذهب ٢٦١:٣-٢٦٣ مع اختصار و تصرف، و في آخره: «فعلت أصواتهن عند دخولهن بالبكاء على مروان، و شققن جيوبهن، و أعولن بالصياح و النحيب؛ حتى ارتج العسكر بالبكاء منهن على مروان».

عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمَا وَرَأَى مَيْلَ النَّاسِ إِلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُرِيدُ أَنْ يَقْصِدَهُ وَ
يَلْتَجِيَ إِلَيْهِ فَلَمَّا عَلِمَ مَا جَرَى لِابْنَيْ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ خَافَ مِنْهُ فَقَطَعَ الْمَخَازَ بَيْنَ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرَكِبَ الْبَحْرَ حَتَّى حَصَلَ
بِالْأَنْدَلُسِ فَالْمَرَاءُ الَّذِينَ وَلَّوْهَا كَانُوا مِنْ وُلْدِهِ.

ثُمَّ زَالَ أَمْرُهُمْ وَدَوَّلْتُهُمْ عَلَى أَيُّدِي بَنِي هِشَامِ أَيْضًا وَهُمْ بَنُو حُمُودِ الْحَسَنِ بْنِ وَالدِ إِدْرِيسِ بْنِ الْحَسَنِ ع. لَمَّا قُتِلَ عَامِرُ بْنُ
إِسْمَاعِيلَ مَرْوَانَ بِبُوصَيْرٍ وَاحْتَوَى عَلَى عَشِيرَتِهِ دَخَلَ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا فَقَعَدَ عَلَى فِرَاشِهِ وَ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ
مَرْوَانَ الْكُبْرَى وَتُعْرَفُ بِأُمِّ مَرْوَانَ يَا عَامِرُ إِنَّ دَهْرًا أَنْزَلَ مَرْوَانَ عَنْ فُرْشِهِ حَتَّى أَقْعَدَكَ عَلَيْهَا تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ لَيْلَةَ قَتْلِهِ مُحْتَوِيًا عَلَى
أَمْرِهِ حَاكِمًا فِي مُلْكِهِ وَحُرْمِهِ وَ أَهْلِهِ لَتَعَادِرُ أَنْ يُغَيِّرَ ذَلِكَ فَانْهَى هَذَا الْكَلَامُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ فَاسْتَهْجَنَ مَا فَعَلَهُ عَامِرُ بْنُ
إِسْمَاعِيلَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَّا كَمَا كَانَ لَكَ فِي آدَبِ اللَّهِ مَا يَزُجُرُكَ أَنْ تَقْعُدَ فِي مِثْلِ تِلْكَ السَّاعَةِ عَلَى مِهَادِ مَرْوَانَ وَتَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ
أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْزَلَ مَا فَعَلْتَهُ عَلَى غَيْرِ اعْتِقَادٍ مِنْكَ لِتِلْكَ (١) وَ لَا نَهَمَ (٢) عَلَى طَعَامِ لَمَسَّكَ مِنْ غَضَبِهِ وَ أَلِيمَ
أَدَبِهِ مَا يَكُونُ لَكَ زَاجِرًا وَ لِعَيْرِكَ وَاعْظَا فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِصِدْقِهِ تَطْفِئُ بِهَا غَضَبَهُ وَ صِيْلَاهُ تُظْهِرُ
فِيهَا الْخُشُوعَ وَ الْإِسْتِكَانَةَ لَهُ وَ صُمِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ تَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يَسْخِطُهُ وَ يُغْضِبُهُ وَ مُرِّ جَمِيعِ أَصْحَابِكَ أَنْ يَصُومُوا مِثْلَ
صِيَامِكَ.

وَ لَمَّا أَتَى أَبُو الْعَبَّاسِ بِرَأْسِ مَرْوَانَ سَجَدَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

ص: ١٣٠:

(١-١) من مروج الذهب.

(٢-٢) في مروج الذهب: ولا شهوه.

لَمْ يَبْقَ ثَارُنَا فَبَلَكَ وَقَبِلَ رَهْطُكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَنَا بِكَ وَأَظْهَرَنَا عَلَيْكَ مَا أَبَالِي مَتَى طَرَفِنِي الْمَوْتُ وَقَدْ قَتَلْتُ بِالْحَسَنِ عِ
أَلْفًا مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ وَأَحْرَقْتُ شِمْلُو هِشَامٍ بِابْنِ عَمِّي زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ كَمَا أَحْرَقُوا شِمْلُوهُ وَتَمَثَّلَ (١) لَوْ يَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَزِدْ شَارِبُهُمْ وَلَا
دِمَاؤُهُمْ جَمْعًا تَرَوْنِي.

ثُمَّ حَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَسَجَدَ ثَمَانِيَةَ ثُمَّ جَلَسَ فَتَمَثَّلَ أَبِي قَوْمُنَا أَنْ يُنْصَبَ فُونَا فَأَنْصَبَ فَمَثَلَتْ ثُمَّ قَالَ أَمَا مَرْوَانُ فَقَتَلْنَا بِأَخِي إِبْرَاهِيمَ وَ
قَتَلْنَا سَائِرَ بَنِي أُمِّيَّةَ بِحُسَيْنٍ وَمَنْ قَتَلَ مَعَهُ وَبَعْدَهُ مِنْ بَنِي عَمَّنَا أَبِي طَالِبٍ (٢).

١٦٢٠

وَرَوَى الْمَسْدُودِيُّ فِي كِتَابِ مَرْوَجِ الذَّهَبِ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ هَانِيٍّ الطَّائِيُّ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَلِيٍّ لِنَبْشِ قُبُورِ بَنِي أُمِّيَّةَ فِي أَيَّامِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى قَبْرِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاسْتَخْرَجْنَاهُ صَاحِبًا مَا فَقَدْنَا مِنْهُ إِلَّا
عَرْنِينَ أَنْفَهُ فَضَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ثَمَانِينَ سَوْطًا ثُمَّ أَحْرَقَهُ وَاسْتَخْرَجْنَا سَيْلِمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ أَرْضِ دَابِقٍ فَلَمْ نَجِدْ مِنْهُ شَيْئًا
إِلَّا صُلْبَهُ وَرَأْسَهُ وَأَضْلَاعَهُ فَأَحْرَقْنَاهُ وَفَعَلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِمَا مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ وَكَانَتْ قُبُورُهُمْ بِقَنْسِيرِينَ ثُمَّ أَنْتَهَيْنَا إِلَى دِمَشْقَ
فَاسْتَخْرَجْنَا الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَمَا وَجَدْنَا فِي قَبْرِهِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا وَاحْتَفَرْنَا عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ فَمَا وَجَدْنَا إِلَّا سُئُونَ (٣) رَأْسَهُ ثُمَّ
احْتَفَرْنَا عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَلَمْ نَجِدْ مِنْهُ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَوَجَدْنَا

ص: ١٣١

١- ١) في مروج الذهب: «تمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له....

٢- ٢) بعده في مروج الذهب: تورثن من أشياخ صدق تقرّبوا بهنّ إلى يوم الوغى فتقدّما.

٣- ٣) مروج الذهب ٢٧١:٣-٢٧٢.

مِنْ مَوْضِعِ نَحْرِهِ إِلَى قَدَمِهِ خَطًّا وَاحِدًا أَسْوَدَ كَأَنَّ مَا خَطَّ بِالرَّمَادِ فِي طُولِ لَحْدِهِ وَ تَتَبَعْنَا قُبُورَهُمْ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ فَأَحْرَقْنَا مَا وَجَدْنَا فِيهَا مِنْهُمْ.

قلت قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد العلوى بن عبد الله فى سنة خمس و ستمائه و قلت له أما إحراق هشام بإحراق زيد فمفهوم فما معنى جلده ثمانين سوطا فقال رحمه الله تعالى أظن عبد الله بن على ذهب فى ذلك إلى حد القذف لأنه يقال

١٦٢١

١٤,٥- إِنَّهُ قَالَ لِزَيْدِ يَا ابْنَ الرَّائِيهِ لَمَّا سَبَّ أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَ فَسَبَّهُ زَيْدٌ وَقَالَ لَهُ سَيِّمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صِ الْبَاقِرَ وَ تُسَيِّمِيهِ أَنْتَ الْبَقْرَةَ لَشَدَّ مَا اخْتَلَفْتُمَا وَ لَتَخَالَفْنَهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا خَالَفْتَهُ فِي الدُّنْيَا فَيَرُدُّ الْجَنَّةَ وَ تَرُدُّ النَّارَ

و هذا استنباط لطيف.

قال مروان لكاتبه عبد الحميد بن يحيى حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى و تظهر الغدر بى فإن إعجابهم ببلاغتك و حاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى اصطناعك و تقريبك فإن استطعت أن تسعى لتنفعى فى حياتى و إلا فلن تعجز عن حفظ حرمى بعد وفاتى فقال عبد الحميد إن الذى أشرت به هو أنفع الأمرين لى و أقبحهما بى و ما عندى إلا الصبر معك حتى يفتح الله لك أو أقتل بين يديك ثم أنشد أسر و فاء ثم أظهر غدره فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره.

فثبت على حاله و لم يصبر إلى بنى هاشم حتى قتل مروان ثم قتل هو بعده صبورا (١).

ص: ١٣٢

١-١) مروج الذهب ٢٦٣:٣.

وقال إسماعيل بن عبد الله القسري دعاني مروان وقد انتهت به الهزيمة إلى حران فقال يا أبا هاشم و ما كان يكتنني قبلها قد ترى ما جاء من الأمر و أنت الموثوق به و لا عطر بعد عروس ما الرأي عندك فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال ارتحل بموالي و من تبغني حتى آتى الدرب (١) و أميل إلى بعض مدن الروم فأنزلهما و أكتب ملك الروم و أستوثق منه فقد فعل ذلك جماعه من ملوك الأعاجم و ليس هذا عارا على الملوك فلا يزال يأتيني من الأصحاب الخائف و الهارب و الطامع فيكثر من معي و لا- أزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى و ينصرني على عدوى فلما رأيت ما أجمع عليه من ذلك و كان الرأي و رأيت آثاره فى قومه من نزار و عصييته على قومي من قحطان غششته فقلت أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأي أن تحكم أهل الشرك فى بناتك و حرمك و هم الروم لا- و فاء لهم و لا يدري ما تأتى به الأيام و إن حدث عليك حدث من أرض النصرانية و لا يحدثن الله عليك إلا خيرا ضاع من بعدك و لكن اقطع الفرات و استنفر الشام جندا جندا فإنك فى كنف و عده و لك فى كل جند صنائع و أصحاب إلى أن تأتى مصر فهى أكثر أرض الله مالا- و خيلا و رجالا و الشام أمامك و إفريقيه خلفك فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام و إن كانت الأخرى مضيت إلى إفريقيه فقال صدقت و أستخير الله فقطع الفرات و الله ما قطعه معه من قيس إلا رجلا ابن حديد السلمى و كان أخاه من الرضاعة و الكوثر بن الأسود الغنوى و غدر به سائر النزاريه مع تعصبه لهم فلما اجتاز ببلاد قنسرين و خناصره أوقعوا بساقته و وثب به أهل حمص و صار إلى دمشق فوثب به الحارث بن عبد الرحمن الحرشى ثم العقيلي ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمرو التميمي ثم مر بفلسطين فوثب به أهلها و علم مروان أن إسماعيل بن عبد الله قد غشه فى الرأي و لم يمحصه النصيحة و أنه فرط فى مشورته إياه

ص: ١٣٣

(١-١) يطلق الدرب على ما بين طرطوس و بلاد الروم.

إذ شاور رجلا من قحطان موتورا شائنا له و إن الرأى كان أول الذى هم به من قطع الدرب و النزول ببعض مدن الروم و مكاتبته ملكها و لله أمر هو بالغه (١).

لما نزل مروان بالزاب جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام و الجزيرة و غيرها مائه ألف فارس على مائه ألف قارح ثم نظر إليهم و قال إنها لعدو و لا تنفع العدو إذا انقضت المدة (٢).

لما أشرف عبد الله بن علي يوم الزاب فى المسوده و فى أوائلهم البنود السود تحملها الرجال على الجمال البخت (٣) و قد جعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف و الغرب (٤) قال مروان لمن قرب منه أ ما ترون رماحهم كأنها النخل غلظا أ ما ترون أعلامهم فوق هذه الإبل كأنها قطع الغمام السود فيبينما هو ينظرها و يعجب إذ طارت قطعه عظيمه من الغربان السود فنزلت على أول عسكر عبد الله بن علي و اتصل سوادها بسواد تلك الرايات و البنود و مروان ينظر فازداد تعجبه و قال أ ما ترون إلى السواد قد اتصل بالسواد حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفه ثم أقبل على رجل إلى جنبه فقال أ لا تعرفنى من صاحب جيشهم فقال عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قال ويحك أ من ولد العباس هو قال نعم قال و الله لو ددت أن علي بن أبي طالب ع مكانه فى هذا الصف قال يا أمير المؤمنين أ تقول هذا لعلى مع شجاعته التى ملأ الدنيا ذكرها قال ويحك إن عليا مع شجاعته صاحب دين و إن الدين غير الملك و إنا نروى عن قديمنا أنه لا شىء لعلى و لا لولده فى هذا ثم قال من هو من ولد العباس

ص: ١٣٤

١-١) مروج الذهب ٢٦٥، ٢٦٤: ٣.

٢-٢) مروج الذهب ٣: ٢٦٥ مع اختصار و تصرف.

٣-٣) البخت: الإبل الخراسانية.

٤-٤) الغرب: شجره حجازيه ضخمه شاكه.

فإني لا أثبت شخصه قال هو الرجل الذي كان يخاصم بين يديك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فقال أذكرني صورته و حليته قال هو الرجل الأقنى الحديد العضل المعروق الوجه الخفيف اللحية الفصيح اللسان الذي قلت لما سمعت كلامه يومئذ يرزق الله البيان من يشاء فقال و إنه لهو قال نعم فقال إنا لله و إنا إليه راجعون أ تعلم لم صيرت الأمر بعدى لولدى عبد الله و ابني محمد أكبر سنا منه قال لا قال إن آباءنا أخبرونا أن الأمر صائر بعدى إلى رجل اسمه عبد الله فوليته دونه.

ثم بعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث إلى عبد الله بن علي سرا فقال يا ابن عم إن هذا الأمر صائر إليك فاتق الله و احفظني في حرمي فبعث إليه عبد الله أن الحق لنا في دمك و أن الحق علينا في حرمك (١).

قلت إن مروان ظن أن الخلافه تكون لعبد الله بن علي لأن اسمه عبد الله و لم يعلم أنها تكون لآخر اسمه عبد الله و هو أبو العباس السفاح . كان العلاء بن رافع سبط ذى الكلاع الحميري مؤنسا لسليمان بن هشام بن عبد الملك لا يكاد يفارقه و كان أمر المسوده بخراسان قد ظهر و دنوا من العراق و اشتد إرجاف الناس و نطق العدو بما أحب في بني أمية و أوليائهم.

قال العلاء فإني لمع سليمان و هو يشرب تجاه رصافه أبيه و ذلك في آخر أيام يزيد الناقص و عنده الحكم الوادي (٢) و هو يغنيه بشعر العرجي (٣) إن الحبيب تروحت أجماله

ص: ١٣٥

١-١) مروج الذهب: ٢٧٥، ٢٧٤: ٣.

٢-٢) في الأصول: «الأودي، تصحيف، و صوابه في مروج الذهب.

٣-٣) في الأصول: «البرحمي» تصحيف.

يا حبذا تلك الحمول و حبذا

شخص هناك و حبذا أمثاله.

فأجاد ما شاء و شرب سليمان بن هشام بالرطل و شربنا معه حتّى توسدنا أيدينا فلم أنتبه إلاّ بتحريك سليمان إياي فقامت مسرعا و قلت ما شأن الأمير فقال على رسلك رأيت كأنتى فى مسجد دمشق و كأنّ رجلا على يده حجر و على رأسه تاج أرى بصيص ما فيه من الجوهر و هو رافع صوته بهذا الشعر أ بنى أمّيه قد دنا تشيتكم

فقلت أعيد الأمير بالله وساوس الشيطان الرجيم هذا من أضغاث الأحلام و ممّا يقتضيه و يجلبه الفكر و سماع الأراجيف فقال الأمر كما قلت لك ثمّ وجم ساعه و قال يا حميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب قال العلاء فو الله ما اجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم (١).

سئل بعض شيوخ بنى أمّيه عقيب زوال الملك عنهم ما كان سبب زوال ملككم فقال جار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا و تحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا و خربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا و وثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا و أمضوا أمورنا دوننا أخفوا علمها عنا و تأخر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا و استدعاهم عدونا فظافروه على حربنا و طلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقله أنصارنا و كان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا.

كان سعيد بن عمر بن جعده بن هبيره المخزومى أحد وزراء مروان و سماره فلما ظهر

ص: ١٣٦

(١-١) مروج الذهب ٢٣٩،٢٤٠:٣.

أمر أبي العباس السفاح انحاز إلى بني هاشم و مت إليهم بأمر هانئ بنت أبي طالب و كانت تحت هبيرة بن أبي وهب فأنت منه بجعده فصار من خواص السفاح و بطانته فجلس السفاح يوما و أمر بإحضار رأس مروان و هو بالحيرة يومئذ ثم قال للحاضرين أيكم يعرف هذا فقال سعيد أنا أعرفه هذا رأس أبي عبد الملك مروان بن محمد بن مروان خليفتنا بالأمس رحمه الله تعالى قال سعيد فحدقت إلى الشيعة و رمتني بأبصارها فقال لي أبو العباس في أي سنة كان مولده قلت سنة ست و سبعين فقام و قد تغير لونه غضبا على و تفرق الناس من المجلس و تحدثوا به فقلت زله و الله لا تستقال و لا ينساها القوم أبدا فأتيت منزلي فلم أزل باقى يومى أعهد و أوصى فلما كان الليل اغتسلت و تهيأت للصلاه و كان أبو العباس إذا هم بأمر بعث فيه ليلا فلم أزل ساهرا حتى أصبحت و ركبت بغلتي و أفكرت فيمن أقصد فى أمرى فلم أجد أحدا أولى من سليمان بن مجالد مولى بنى زهره و كانت له من أبى العباس منزله عظيمه و كان من شيعة القوم فأتيته فقلت له أذكرنى أمير المؤمنين البارحه قال نعم جرى ذكرك فقال هو ابن أختنا وفى لصاحبه و نحن لو أوليناه خيرا لكان لنا أشكر فشكرت لسليمان بن مجالد ما أخبرنى به و جزيته خيرا و انصرفت فلم أزل من أبى العباس على ما كنت عليه لا أرى منه إلا خيرا.

و إنما ذلك المجلس إلى عبد الله بن على و إلى أبى جعفر المنصور فأما عبد الله بن على فكتب إلى أبى العباس يغريه بى و يعاتبه على الإمساك عنى و يقول له إنه ليس مثل هذا ممّا يحتمل و كتب إليه أبو جعفر يعذر لى و ضرب الدهر ضربه فأنتى ذات يوم عند أبى العباس فنهض و نهضت فقال لى على رسلك يا ابن هبيرة فجلست فرفع الستر و دخل و ثبت فى مجلسه قليلا ثم خرج فى ثوبى و شى و رداء و جبه فما رأيت و الله أحسن منه و لا ممّا عليه قط فقال لى يا ابن هبيرة إنى ذاكر لك أمرا فلا

يخرجن من رأسك إلى أحد من الناس قلت نعم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الأمر و ولاية العهد لمن قتل مروان و إنما قتله عمى عبد الله بجيشه و أصحابه و نفسه و تدبيره و أنا شديد الفكر فى أمر أخى أبى جعفر فى فضله و علمه و سنه و إثارة لهذا الأمر كيف أخرجه عنه فقلت أصلح الله أمير المؤمنين إننى أحدثك حديثاً تعتبر به و تستغنى بسماعه عن مشاورتى قال هاته فقلت كنا مع مسلمه بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينيه إذ ورد علينا كتاب عمر بن عبد العزيز ينعى سليمان و مصير الأمر إليه فدخلت إليه فرمى الكتاب إلى فقرأته و استرجعت و اندفع يبكى و أطال فقلت أصلح الله الأمير و أطال بقاءه إن البكاء على الأمر الفئات عجز و الموت منهل لا بد من ورده فقال ويحك إننى لست أبكى على أخى لكنى أبكى لخروج الأمر عن ولد أبى إلى ولد عمى فقال أبو العباس حسبك فقد فهمت عنك ثم قال إذا شئت فانهض فلما نهضت لم أمض بعيداً حتى قال لى يا ابن هبيرة فالتفت إليه فقال أما إنك قد كافأت أحدهما و أخذت بئارك من الآخر قال سعيد فو الله ما أدرى من أى الأمرين أعجب من فطنته أم من ذكره (١).

لما سائر عبد الله بن على فى آخر أيام بنى أمية عبد الله بن حسن بن حسن و معهما داود بن على فقال داود لعبد الله بن الحسن لم لا تأمر ابنك بالظهور فقال عبد الله بن حسن لم يأن لهما بعد فالتفت إليه عبد الله بن على فقال أظنك ترى أن ابنك قاتلاً مروان فقال عبد الله بن حسن إنه ذلك قال هيهات ثم تمثل

ص: ١٣٨

أنا والله أقتل مروان وأسلبه ملكه لا أنت ولا ولداك (١).

١٤٢٢

وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَغَانِي رِوَايَةً أُخْرَى فِي سَبَبِ قَتْلِ السَّفَّاحِ لِمَنْ كَانَ أَمِنَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ قَالَ حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ السَّفَّاحَ أُنْشِدَ يَوْمًا قَصِيدَهُ مَدْحَ بِهَا وَعِنْدَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ أَمْنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَقْبَلَ عَلَى بَعْضِهِمْ فَقَالَ أَيْنَ هَذَا مِمَّا مَدَّخْتُمْ بِهِ فَقَالَ هَيْهَاتَ لَا يَقُولُ وَاللَّهِ أَحَدٌ فِيكُمْ مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ قَيْسِ الرُّقَيْتَاتِ فِينَا مَا نَعْمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا

فَقَالَ لَهُ يَا مَاصَّ كَذَا مِنْ أُمَّهِ وَإِنَّ الْخِلَافَةَ لَفِي نَفْسِكَ بَعْدُ خُذُوهُمْ فَأَخِذُوا وَقْتَلُوا (٢).

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضًا أَنَّ أَبِي الْعَبَّاسِ دَعَا بِالْعَمْدَاءِ حِينَ قُتِلُوا وَ أَمَرَ بِبِسَاطٍ فَبَسِطَ عَلَيْهِمْ وَ جَلَسَ فَوْقَهُ يَأْكُلُ وَ هُمْ يَضْطَرِبُونَ تَحْتَهُ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ مَا أَعْلَمُ أَنِّي أَكَلْتُ أَكْلَهُ قَطُّ كَانَتْ أَطِيبَ وَ لَا أَهْنَأُ فِي نَفْسِي مِنْ هَذِهِ (٣) فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَكْلِ قَالَ جُرُّوهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ وَ أَلْقُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ لِيَلْعَنَهُمُ النَّاسُ أَمْوَاتًا كَمَا لَعَنُوهُمْ أَحْيَاءً.

ص: ١٣٩

١- (١) مروج الذهب ٣:٢٧٤.

٢- (٢) ديوانه ٤.

٣- (٣) الأغاني ٤:٣٤٦ (طبعه الدار).

قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْنَا الْكِلَابَ تَجْرُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ وَ عَلَيْهِمْ سَرَائِيلَاتُ الْوَشْيِ حَتَّى أَنْتُنُوا ثُمَّ حُفِرَتْ لَهُمْ بُئْرٌ فَأَلْقُوا فِيهَا (١).

١٤٢٣

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ رَوَى عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ الْغِفَارِيُّ عَنْ مَعْبُدِ الْأَنْبَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا أَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ مَكَّةَ أَقْبَلَ مَعَهُ بَنُو حَسَنِ جَمِيعًا وَ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ وَ أَخُوهُ حَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ وَ مَعَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ وَ بَنُو عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَ هُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ لِأُمِّهِ فَعَمِلَ دَاوُدُ مَجْلِسًا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ جَلَسَ فِيهِ هُوَ وَ الْأَهْلَاءُ جَمِيعُونَ كُلُّهُمْ وَ جَلَسَ الْأُمُويُونَ تَحْتَهُمْ فَجَاءَ ابْنُ هَرَمَةَ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَهُ يَقُولُ فِيهَا فَلَا عَفَا لِلَّهِ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً

قَالَ فَتَبَدَّ دَاوُدُ نَحْوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ضَحَكَهُ كَالْكُشْرَةِ فَلَمَّا قَامُوا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ أَمَا رَأَيْتَ ضَحَكَ (٢) دَاوُدُ إِلَى ابْنِ عَبْسَةَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَفَهَا عَنْ أَخِي يَغْنِي الْعُتْمَانِي قَالَ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَلِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قُتِلَ ابْنُ عَبْسَةَ (٣).

١٤٢٤

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ وَ

ص: ١٤٠

١-١ (١) الأغانى ٣٤٧:٤ (طبعة الدار).

٢-٢ (٢) الأغانى: «ضحكته إلى ابن عبسه».

٣-٣ (٣) الأغانى ٣٤٨:٤ (طبعة الدار).

بْنِ عُثْمَانَ قَالَ اسْتَحْلَفَ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ وَقَدْ حَجَّ مَعَهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ بِطَلْقِ امْرَأَتِهِ مُلَيْكَةَ بِنْتِ دَاوُدَ بْنِ الْحَسَنِ أَلَا- يَقْتُلُ أَخُوهُ مُحَمَّدًا وَالْقَاسِمَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ قَالَ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ آمِنًا وَهُوَ يَقْتُلُ بَنِي أُمِّيهِ وَكَأَنَّ يَكْرَهُ أَنْ يَرَانِي أَهْلُ خُرَاسَانَ وَلَا- يَسْتَطِيعُ إِلَيَّ سَبِيلًا- لِيَمِينِهِ فَاسْتَدْنَانِي يَوْمًا فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ مَا أَكْثَرَ الْغَفْلَةَ وَأَقَلَّ الْحَزْمَةَ فَخَابِرْتُ بِهَا أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ فَقَالَ يَا ابْنَ أُمَّ تَغَيَّبَ عَنِ الرَّجُلِ وَأَقَلَّ عَنْهُ فَتَغَيَّبَ حَتَّى مَاتَ (١). قُلْتُ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ الدِّينَ الَّذِي لَمْ يَقْضِهِ دَاوُدُ فَضَاهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ. وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ أَنَّ سَيْدِيْفًا أَنْشَدَ أَبَا الْعَبَّاسِ وَعِنْدَهُ رِجَالٌ مِنْ بَنِي أُمِّيهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءٌ اسْتَبْنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِيًّا فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ (٢) جَرَدَ السَّيْفَ وَارْفَعَ الْعَفْوَ حَتَّى وَهِيَ طَوِيلَةٌ فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ يَا سَيْدِيْفُ خَلِقِ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ثُمَّ أَنْشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُمَثِّلًا أَحْيَا الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَاللَّأَبَاءُ أَبْنَاءُ

ص: ١٤١

١- ١) الأغانى ٣٤٨:٤ (طبعه الدار).

٢- ٢) من الأغانى.

ثُمَّ أَمَرَ بِمَنْ عِنْدَهُ فَقَتَلُوا (١).

١٦٢٥

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضاً عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمُومَتِهِ أَنَّهُمْ حَضَرُوا سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ بِالْبَصِيرَةِ وَ قَدْ حَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ عِنْدَهُ عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْمُوشَاةُ (٢) الْمُرْتَفَعَةُ قَالَ أَحَدُ الرُّوَاهِ الْمَذْكُورِينَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ وَ قَدْ اسْوَدَّ شَيْبٌ فِي عَارِضِيهِ مِنَ الْعَالِيَةِ (٣) فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَتَلُوا وَ جُرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ فَأُلْقُوا عَلَى الطَّرِيقِ وَ إِنَّ عَلَيْهِمْ لَسِرَازِيلَاتِ الْوَشِيِّ وَ الْكِلَابِ تَجْرُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ (٤).

١٦٢٦

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضاً عَنْ طَارِقِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَنِي رَسُولُ عَمْرٍو بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سَيْفِيَانَ قَالَ يَقُولُ لِسُكِّ عَمْرٍو (٥) قَدْ حَيَّاءَتْ هَذِهِ السُّدُوكُ وَ أَنَا حَيْدِثُ السِّنِّ كَثِيرُ الْعِيَالِ مُنْتَشِرُ الْأَمْوَالِ فَمَا أَكُونُ فِي قَبِيلِهِ إِلَّا شَهْرَ أَمْرِي وَ عُرْفُتُ وَ قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْإِسْتِثَارِ وَ أَفْدِي حُرْمِي بِنَفْسِي وَ أَنَا صَائِرٌ إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ فَصِرْتُ إِلَى فَوَافِيئِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ طَيْلَسَانٌ أَيْبُضٌ مُطْبِقٌ وَ سِرَاوِيلٌ وَ شِيءٌ مَسْدُولٌ فَقُلْتُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَصْنَعُ الْخَدَانَةُ بِأَهْلِهَا أَمْ بِهَذَا اللَّبَاسِ تَلْقَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِمَا تَرِيدُ لِقَاءَهُمْ فِيهِ (٦) فَقَالَ لَا- وَ اللَّهُ وَ لَكِنْ لَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ إِلَّا أَشْهَرُ مِمَّا تَرَى فَأَعْطَيْتُهُ طَيْلَسَانِي وَ أَخَذْتُ طَيْلَسَانَهُ وَ لَوِيتُ سِرَاوِيلَهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ فَسَدَخَلَ إِلَيَّ سُلَيْمَانٌ ثُمَّ خَرَجَ مَسْرُوراً فَقُلْتُ لَهُ حَدِّثْنِي مَا جَرَى بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الْأَمِيرِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَرِنِي قَطُّ (٧) فَقُلْتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ لَفَطْنِي الْبِلَادُ إِلَيْكَ وَ دَلَّنِي فَضْلُكَ

ص: ١٤٢

١-١ (١) الأغانى ٣٤٩، ٣٤٨:٤ (طبعة الدار).

٢-٢ (٢) الأغانى: «الموشية».

٣-٣ (٣) الغالية: ضرب من الطيب.

٤-٤ (٤) الأغانى ٣٤٩:٤.

٥-٥ (٥) من الأغانى.

٦-٤ (٦) الأغانى ٣٤٩:٤.

عَلَيْكَ إِمَا قَتَلْتَنِي غَانِمًا (١) وَإِمَا أَمْتَنِي سَالِمًا (٢) فَقَالَ وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَعْرِفَكَ فَاَنْتَسَيْتَ لَهُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ أَقْعُدْ فَتَكَلِّمْ سَالِمًا
آمِنًا ثُمَّ أَقْبَلْ عَلَيَّ فَقَالَ حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي فَقُلْتُ إِنَّ الْحُرَمَ اللَّوَاتِي أَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِنَّ مَعَنَا وَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِنَّ بَعْدَنَا قَدْ
خِفْنَا لِحَوْفِنَا وَمَنْ خَافَ خِيفَ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا أَجَابَنِي إِلَّا بِعُدْمُوْعِهِ عَلَيَّ خَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي يَحْقِنُ اللَّهُ دَمَكَ وَيَحْفَظُكَ فِي
حُرْمَتِكَ وَيُوَفِّرُ عَلَيْكَ مَالَكَ فَوَاللَّهِ لَوْ أَمَكَّنِي ذَلِكُ فِي جَمِيعِ قَوْمِكَ لَفَعَلْتُ فَكُنْ مُتَوَارِيًا كَطَاهِرٍ وَآمِنًا كَخَائِفٍ وَتَأْتِي
رُقَاعِيكَ قَالَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ إِلَيْهِ كَمَا يَكْتُبُ الرَّجُلُ إِلَى أَبِيهِ وَ عَمِّهِ قَالَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْحَدِيثِ رَدَدْتُ عَلَيْهِ طَيْلَسَانَهُ فَقَالَ
مَهْلًا فَإِنَّ ثِيَابَنَا إِذَا فَارَقْتَنَا لَمْ تَرْجِعْ إِلَيْنَا (٣).

١٦٢٧

وَ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ قَالَ سَيْدِيْفٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ يَحْضُهُ
عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَ يَذْكُرُ مِنْ قَتْلِ مَرْوَانَ وَ بَنُو أُمَيَّةَ مِنْ أَهْلِهِ كَيْفَ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَ قَدِيمًا

١٦٢٨

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ أَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ لِرَجُلٍ مِنْ شَيْبَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ يَحْضُهُمْ عَلَى
بَنِي أُمَيَّةَ

ص: ١٤٣

١-١) من الأغاني.

٢-٢) من الأغاني، وروايته: «وإما رددتني سالما».

٣-٣) الأغاني ٣٥٠، ٣٤٩: ٤ (طبعة الدار).

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَرَوَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي قِصَّةِ سَيْدَيْفٍ مِثْلَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهَا فَلَمَّا أَنْشَدَهُ ذَلِكَ التَّتَفَّتْ إِلَيْهِ أَبُو الْعَمْرِ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ يَا مَيَّاصَ بَطْرٍ أُمَّهُ أَتَجْبَهُنَا بِمِثْلِ هَذَا وَنَحْنُ سِرَوَاتُ النَّاسِ فَغَضِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ صَدِيقَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَقْضِي حَوَائِجَهُ فِي أَيَّامِهِمْ وَيَبْرُهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَلِكَ وَصَاحَ بِالْخُرَاسَانِيِّهِ خُذُوهُمْ (١) فَفَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا إِلَّا سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامٍ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ فَقَالَ يَا أبا الْعَمْرِ مَا أَرَى لَكَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا قَالَ لَا وَاللَّهِ قَالَ فَاقْتُلُوهُ وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَتِلَ وَصُيِّبُوا فِي بُسْتَانِهِ حَتَّى تَأْذَى جُلْسَاؤُهُ بِرِيحِهِمْ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّ رِيحَهُمْ عِنْدِي لَأَلْمَدُ وَاطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَبْرُ غَيْظًا عَلَيْهِمْ وَحَقًّا (٢).

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ مِنْ مَوَالِيهِمْ يُعَدُّ فِي مَوَالِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَاسْمُ أَبِي سَعِيدٍ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ مِنْ شُعْرَانِهِمُ الَّذِينَ رَتُّوهُمْ وَبَكَّوْا عَلَى دَوْلَتِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ فَمِنْ شِعْرِهِ بَعْدَ زَوَالِ أَمْرِهِمْ

١-١) بعده في الأغاني ٤:٣٥١: إِيَّاكُمْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُمْ قَدْ مَلَكُوا ثُمَّ مَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا.

١-٢) بعده في الأغاني ٤:٣٥١: إِيَّاكُمْ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُمْ قَدْ مَلَكُوا ثُمَّ مَا ضَرُّوا وَلَا نَفَعُوا.

وَ مِنْ شَعْرِهِ فِيهِمْ أَثَرُ الدَّهْرِ فِي رِجَالِي فَقُلُّوا وَ مِنْ شَعْرِهِ فِيهِمْ أَوْلِيكَ قَوْمِي بَعْدَ عِزِّ وَ تَرْوِهِ

١٤٣١

وَ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ رَكِبَ الْمِأْمُونَ بِدِمَشْقَ يَنْصِيءُ حَتَّى بَلَغَ جَبَلِ التَّلَاحِ فَوَقَفَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَلَى بَرَكَةٍ عَظِيمَةٍ فِي جَوَانِبِهَا أَرْبَعُ سَرَوَاتٍ (١) لَمْ يَرِ أَحْسَنَ مِنْهَا فَتَزَلَّ هُنَاكَ وَ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى آثَارِ بَنِي أُمِّيَّةَ وَ يُعْجَبُ مِنْهَا وَ يَذْكُرُهُمْ ثُمَّ دَعَا بِطَبَقٍ عَلَيْهِ طَعَامٌ فَأَكَلَ وَ أَمَرَ عُلُوِيَّهَ فَعَنَى أَوْلِيكَ قَوْمِي بَعْدَ عِزِّ وَ مَنَعَهُ تَفَانُوا فَإِلَّا تَذْرِفُ الْعَيْنُ أَكْمَدَ وَ كَانَ عُلُوِيَّهَ مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمِّيَّةَ فَعَضِبَ الْمَأْمُونَ وَ قَالَ يَا ابْنَ الْفَاعِلِهِ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ وَقْتُ تَبْكِي فِيهِ عَلَى قَوْمِكَ إِلَّا هَذَا الْوَقْتُ قَالَ كَيْفَ لَا أَبْكِي عَلَيْهِمْ وَ مَوْلَاكُمْ زُرِّيَابُ كَانَ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَرْكَبُ مَعَهُمْ فِي مَائِهِ غُلَامٌ وَ أَنَا مَوْلَاهُمْ مَعَكُمْ أَمُوتُ جُوعًا فَقَامَ الْمَأْمُونَ

ص: ١٤٥

فَرَكِبَ وَ انْصَرَفَ النَّاسُ وَ غَضِبَ عَلَيَّ عَلَوِيهِ عَشْرِينَ يَوْمًا وَ كَلَّمُ فِيهِ فَرَضِي عَنْهُ وَ وَصَلَهُ بَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (١).

لَمَّا ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ أَعْتَاقَ بَنِي أُمَيَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ هَذَا وَ اللَّهُ جَهْدُ الْبَلَاءِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَلَّا مَا هَذَا وَ شَرْطُهُ (٢) حَجَامٌ إِلَّا سِوَاءَ إِتْمَا جَهْدُ الْبَلَاءِ فَتَقَرَّرَ مُدْفِعٌ بَعْدَ غِنَى مُوسَى (٣).

خطب سليمان بن علي لما قتل بني أمية بالبصرة فقال وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (٤) قضاء فصل و قول مبرم فالحمد لله الذي صدق عبده و أنجز وعده و بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الذين اتخذوا الكعبة غرضاً و الدين هزوا و الفياء إرثاً و الْقُرْآنَ عِضِينَ لَقَدْ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ وَ كَأَيِّن تَرَى لَهُمْ مِنْ بَشَرٍ مَعْطَلَةٍ وَ قَصِيرٍ مَشِيدٍ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا رُبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ أمهلهم حتى اضطهدوا العترة و نبذوا السنه وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ثُمَّ أَخَذَهُمْ ف هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا.

ضرب الوليد بن عبد الملك علي بن عبد الله بن العباس بالسياط و شهره بين الناس يدار به علي بعير و وجهه ممّا يلي ذنب البعير و صائح يصيح أمامه هذا علي بن عبد الله الكذاب فقال له قائل و هو علي تلك الحال ما الذي نسبوك إليه من الكذب يا أبا محمد قال بلغهم قولي إن هذا الأمر سيكون في ولدي و الله ليكونن فيهم

ص: ١٤٦

١-١) الأغاني ٣٥٤، ٣٥٣: ١٤.

٢-٢) الشرط: بزغ الحجام بالمشروط.

٣-٣) الخبر في اللسان (٩: ٢٥)، مع اختلاف في الرواية.

٤-٤) سورة الأنبياء: ٥.

حتى يملكه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقه.

١٤٣٢

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ دَخَلَ عَلَى هِشَامٍ وَمَعَهُ ابْنَا ابْنَةِ الْخَلِيفَتَانِ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو جَعْفَرٍ فَكَلَّمَهُ فِيمَا أَرَادَ ثُمَّ وَلَّى فَقَالَ هِشَامٌ إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ قَدْ خَرِفَ وَأُهْمِرَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَيَنْتَقِلُ إِلَيَّ وَلَدِهِ فَمَجَّعَ عَلِيٌّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامَهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِي وَ اللَّهِ لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ وَ لَيَمْلِكَنَّ هَذَا.

١٤٣٣

وَقَدْ رَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ دَخَلَ عَلِيٌّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِيمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ شُجَاعٍ الْبُلْخِيُّ وَمَعَهُ ابْنَا ابْنَةِ الْخَلِيفَتَيْنِ بَعِيدُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو جَعْفَرٍ فَأَوْسَعَ لَهُ عَلَى سِرِّيرِهِ وَ بَرَّهُ وَ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَالَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى دَيْنٍ فَأَمَرَ بِقَضَائِهَا قَالَ وَ اسْتَوْصَ بِابْنِي هَذَيْنِ خَيْرًا فَفَعَلَ فَشَكَرَهُ عَلِيٌّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ وَصِيْلَتَكَ رَحِمٌ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ سُلَيْمَانُ لِأَصِيْحَابِهِ إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ قَدْ اخْتَلَّ وَ أَسَنَّ وَ خَلَطَ وَ صَارَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَيَنْتَقِلُ إِلَيَّ وَلَدِهِ فَسَمِعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِي وَ اللَّهِ لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ وَ لَيَمْلِكَنَّ هَذَا (١).

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ وَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ غَلَطٌ لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ وَ إِنَّمَا يَتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ دَخَلَ عَلَى هِشَامٍ لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ كَانَ يُحَاوِلُ التَّرْوِيجَ فِي بَيْتِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَ لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَأْذَنُ لَهُ فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاءَ فَقَالَ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ ابْنَةَ خَالِي مِنْ بَيْتِ الْحَارِثِ

ص: ١٤٧

(١ - ١) الكامل ٢:٢١٨ مع اختلاف في الروايه.

بْنِ كَعْبٍ فَتَيَأْذُنُ لِي فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَزْوِجُ يَزْحَمِيكَ اللَّهُ مَنْ أَحْبَبْتَ فَتَزَوَّجْهَا فَأَوْلَدَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعِيدٌ سَيْلِمَانٌ وَأَبُو الْعَبَّاسِ يَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ تَهَيِّئًا لِمِثْلِهِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى خَلِيفِهِ حَتَّى يَتَرَعَّرَعَ وَلَا يَتِمَّ مِثْلَ هَذَا إِلَّا فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

١٤٣٤

١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ وَقَدْ جَاءَتِ الرَّوَايَةُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا ع لَمَّا وُلِدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ مَوْلُودٌ فَقَدَهُ وَقَتَ صِيَالِهِ الظُّهْرِ فَقَالَ مَا بَالُ ابْنِ الْعَبَّاسِ لَمْ يَحْضُرْ قَالُوا وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَأَمْضُوا بِنَا إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ شَكَرْتَ الْوَاهِبَ وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمُوهُوبِ مَا سَمَّيْتَهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَجُوزُ لِي أَنْ أُسَمِّيَهُ حَتَّى تُسَمِّيَهُ فَقَالَ أَخْرِجْهُ إِلَيَّ فَأَخْرَجَهُ فَأَخَذَهُ فَحَنَكَهُ وَدَعَا لَهُ ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ خُذْ إِلَيْكَ أَبَا الْأَمْلَاكِ قَدْ سَمَّيْتَهُ عَلِيًّا وَكُنِّيْتَهُ أَبَا الْحَسَنِ قَالَ فَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةَ خَلِيفَةً قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَا أَجْمَعُ لَكَ بَيْنَ الْإِسْمِ وَالْكُنْيَةِ قَدْ كُنِّيْتَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ فَجَرَتْ عَلَيْهِ

(١)

قلت سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى فقلت له من أى طريق عرف بنو أمية أن الأمر سينتقل عنهم و أنه سيليه بنو هاشم و أول من يلي منهم يكون اسمه عبد الله و لم منعوهم عن مناكحه بنى الحارث بن كعب لعلمهم أن أول من يلي الأمر من بنى هاشم تكون أمه حارثيه و بأى طريق عرف بنو هاشم أن الأمر سيصير إليهم و يملكه عبيد أولادهم حتى عرفوا صاحب الأمر بعينه كما قد جاء فى هذا الخبر

ص: ١٤٨

(١ - ١) الكامل ٣٦٠ (طبع أوروبا).

فقال أصل هذا كله محمد بن الحنفية ثم ابنه عبد الله المكنى أبا هاشم. قلت له أ فكان محمد بن الحنفية مخصوصا من أمير المؤمنين ع بعلم يستأثر به على أخويه حسن و حسين ع قال لا و لكنهما كتما و أذاع ثم قال

١٤٣٥

١،٢،٣،٤- قَدْ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ عِنْدَنَا عَنْ أَشْلَافِنَا وَ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ الْحَدِيثِ أَنَّ عَلِيًّا ع لَمَّا قُبِضَ أَتَى مُحَمَّدُ ابْنُهُ أَخُوَيْهِ حَسَنًا وَ حُسَيْنًا ع فَقَالَ لَهُمَا أَعْطَيْتَانِي مِيرَاثِي مِنْ أَبِي فَقَالَا لَهُ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ أَبَاكَ لَمْ يَتْرُكْ صَفْرَاءَ وَ لَا بَيْضَاءَ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ وَ لَيْسَ مِيرَاثَ الْمَالِ أَطْلُبُ إِنَّمَا أَطْلُبُ مِيرَاثَ الْعِلْمِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَرَوَى أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ عَمَّنْ يَزُورِي لَهُ ذَلِكَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع قَالَ فَدَفَعَا إِلَيْهِ صِيحْفَهُ لَوْ أُطْلِعَا عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا لَهَلَكَ فِيهَا ذِكْرُ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ

١٤٣٦

١- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدْ رَوَى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ لَمَّا أَرَدْنَا الْهَرَبَ مِنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ لَمَّا قُبِضَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ جَعَلْنَا نُسُخَةَ الصَّحِيفَةِ الَّتِي دَفَعَهَا أَبُو هَاشِمٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَ هِيَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَسْتُمُونَهَا صَحِيفَةَ الدَّوْلَةِ فِي صُنْدُوقٍ مِنْ نُحَاسٍ صَغِيرٍ ثُمَّ دَفَعْنَا تَحْتَ زَيْتُونَاتٍ بِالشُّرَاهِ (١) لَمْ يَكُنْ بِالشُّرَاهِ مِنَ الزَّيْتُونِ غَيْرُهُنَّ فَلَمَّا أَفْضَى السُّلْطَانُ إِلَيْنَا وَ مَلَكْنَا الْأَمْرَ أَرْسَلْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَبَحَثَ وَ حَفَرَ فَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِ شَيْءٌ فَأَمَرْنَا بِحَفْرِ جَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ حَتَّى بَلَغَ الْحَفْرُ الْمَاءَ وَ لَمْ نَجِدْ شَيْئًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ صِيْرَحَ بِالْأَمْرِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَ عَرَفَهُ تَفْصِيْلَهُ وَ لَمْ يَكُنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع قَدْ فَضَّلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْأَمْرَ وَ إِنَّمَا أَخْبَرَهُ بِهِ

ص: ١٤٩

١- (١) الشراه: صقع بالشام بين المدينة و دمشق، و من بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمه، كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس في أيام بني مروان. ياقوت.

مُجْمَلًا كَقَوْلِهِ فِي هَذَا الْخَبَرِ خُذْ إِلَيْكَ أبا الْأَمْلَاقِ وَ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ يَعْزِضُ لَهُ بِهِ وَ لَكِنَّ الَّذِي كَشَفَ الْقِنَاعَ وَ أَبْرَزَ الْمَسْتُورَ عَلَيْهِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ . وَ كَذَلِكَ أَيْضًا مَا وَصَّلَ إِلَى بِنِي أُمِّيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنَّهُ وَصَّلَ مِنْ جِهَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَ أَطْلَعَهُمْ عَلَى السِّرِّ الَّذِي عَلِمَهُ وَ لَكِنَّ لَمْ يَكْشِفْ لَهُمْ كَشْفَهُ لِبِنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ كَشْفَهُ الْأَمْرَ لِبِنِي الْعَبَّاسِ كَانَ أَكْمَلَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا أَبُو هَاشِمٍ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَفْضَى بِالْأَمْرِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ وَ أَوْضَحَهُ لَهُ فَلَمَّا حَضَرَ ثُوَّةُ الْوَفَاءِ عَقِيبَ انْصِرَافِهِ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَرَّ بِالشُّرَاهِ وَ هُوَ مَرِيضٌ وَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِهَا فَدَفَعَ إِلَيْهِ كُتْبَهُ وَ جَعَلَهُ وَصِيَّهُ وَ أَمَرَ الشَّيْعَةَ بِالِاخْتِلَافِ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ حَضَرَ وَفَاهُ أَبِي هَاشِمٍ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ هَذَا وَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمَّا مَاتَ خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْعِي وَصَايَتَهُ فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ صَدَقَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَنَّهُ إِلَيْهِ أَوْصَى أَبُو هَاشِمٍ وَ إِلَيْهِ دَفَعَ كِتَابَ الدَّوْلَةِ وَ كَذَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَكِنَّهُ قَرَأَ الْكِتَابَ فَوَجَدَ لَهُمْ فِيهِ ذِكْرًا يَسِيرًا فَادَّعَى الْوَصِيَّةَ بِذَلِكَ فَمَاتَ وَ خَرَجَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَدْعِي وَصَايَةَ أَبِيهِ وَ يَدْعِي لِأَبِيهِ وَصَايَةَ أَبِي هَاشِمٍ وَ يُظْهِرُ الْإِنْكَارَ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ وَ كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ شَيْعَةٌ يَقُولُونَ بِإِمَامَتِهِ سِرًّا حَتَّى قُتِلَ .

دخلت إحدى نساء بنى أمية على سليمان بن على و هو يقتل بنى أمية بالبصرة

فقاتلت أيها الأمير إن العدل ليمل من الإكثار منه و الإسراف فيه فكيف لا تمل أنت من الجور و قطيعه الرحم فأطرق ثم قال لها سننتم علينا القتل لا تنكرونه فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر ثم قال يا أمه الله و أول راض سنه من يسيرها (١).

ألم تحاربوا عليا و تدفعوا حقه ألم تسموا حسنا و تنقضوا شرطه ألم تقتلوا حسينا و تسيروا رأسه ألم تقتلوا زيدا و تصلبوا جسده ألم تقتلوا يحيى و تمثلوا به ألم تلعنوا عليا على منابركم ألم تضربوا أبانا على بن عبد الله بسياطكم ألم تخنقوا الإمام بجراب النوره فى حبسكم ثم قال أ لك حاجه قالت قبض عمالك أموالى فأمر برد أموالها عليها.

لما سار مروان إلى الزاب حفر خندقا فسار إليه أبو عون عبد الله بن يزيد الأزدي و كان قحطبه بن شيب قد وجهه و أمد أبو سلمه الخلال بأمداد كثيره فكان بإزاء مروان ثم إن أبا العباس السفاح قال لأهله و هو بالكوفه حينئذ من يسير إلى مروان من أهل بيتى و له ولاية العهد إن قتله فقال عبد الله عمه أنا قال سر على بركه الله فسار فقدم على أبى عون فتحول له أبو عون عن سرادقه و خلاه له بما فيه ثم سأل عبد الله عن مخاضه فى الزاب فدل عليها فأمر قائدا من قواده فعبرها فى خمسه آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا و تحاجزوا و رجع القائد بأصحابه فعبر المخاضه إلى عسكر عبد الله بن على و أصبح مروان فعقد جسرا و عبر بالجيش كله إلى

ص: ١٥١

١-١) من بيت لأبى ذؤيب الهذلى؛ ديوان الهذليين ١:١٥٦ و البيت بتمامه: فلا تجز عن من سنّه أنت سرتها و أول راض سنّه من يسيرها. .

عبد الله بن علي فكان ابنه عبد الله بن مروان في مقدّمته و علي الميمنه الوليد بن معاويه بن عبد الملك بن مروان و علي الميسره عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان و عبأ عبد الله بن علي جيشه و تراءى الجمعان فقال مروان لعبد العزيز بن عمر انظر فإن زالت الشمس اليوم و لم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم و إن قاتلونا قبل الزوال ف إنا لله و إنا إليه راجعون ثم أرسل إلى عبد الله بن علي يسأله الكف عن القتال نهار ذلك اليوم فقال عبد الله كذب ابن زربي إنما يريد المدافعه إلى الزوال لا- و الله لا- تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله ثم حرك أصحابه للقتال فنادى مروان في أهل الشام لا تبدءوهم بالحرب فلم يسمع الوليد بن معاويه منه و حمل علي ميسره عبد الله بن علي فغضب مروان و شتمه فلم يسمع له و اضطرت الحرب فأمر عبد الله الرماه أن ينزلوا و نادى الأرض الأرض فنزل الناس و رمت الرماه و أشرعت الرماح و جثوا على الركب فاشتد القتال فقال مروان لقضاعه انزلوا قالوا حتى تنزل كنده فقال لكنده انزلوا فقالوا حتى تنزل السكاسك فقال لبنى سليم انزلوا فقالوا حتى تنزل عامر فقال لتميم احملا فقالوا حتى تحمل بنو أسد فقال لهوازن احملا فقالوا حتى تحمل غطفان فقال لصاحب شرطته احملا ويلك قال ما كنت لأجعل نفسي غرضا قال أما و الله لأسوأئك قال وددت أن أمير المؤمنين يقدر علي ذلك فانهزم عسكر مروان و انهزم مروان معهم و قطع الجسر فكان من هلك غرقا أكثر ممن هلك تحت السيف و احتوى عبد الله بن علي علي عسكر مروان بما فيه و كتب إلى أبي العباس يخبره واقعه.

كان مروان سديد الرأي ميمون النقيبه حازما فلما ظهرت المسوده و لقيهم كان

ما يدبر أمرا إلاّ كان فيه خلل و لقد وقف يوم الزاب و أمر بالأموال فأخرجت و قال للناس اصبروا و قاتلوا و هذه الأموال لكم فجعل ناس يصيبون من ذلك المال و يشتغلون به عن الحرب فقال لابنه عبد الله سر في أصحابك فامنع من يتعرض لأخذ المال فمال عبد الله برايته و معه أصحابه فتنادى الناس الهزيمة الهزيمة فانهمزوا و ركب أصحاب عبد الله بن علي أكتافهم.

لما قتل مروان بوضير قال الحسن بن قحطبه أخرجوا إلى إحدى بنات مروان فأخرجوها إليه و هي ترعد قال لا بأس عليك قالت و أي بأس أعظم من إخراجك إياي حاسره و لم أر رجلا قبلك قط فأجلسها و وضع رأس مروان في حجرها فصرخت و اضطربت فقيل له ما أردت بهذا قال فعلت بهم فعلهم يزيد بن علي لما قتلوه جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي بن الحسين ع دخلت زوجه مروان بن محمّد و هي عجوز كبيره على الخيزران في خلافة المهديّ و عندها زينب بنت سليمان بن علي فقالت لها زينب الحمد لله الذي أزال نعمتك و صيرك عبره أ تذكرين يا عدوه الله حين أتاك نساؤنا يسألنك أن تكلمى صاحبك في أمر إبراهيم بن محمّد فلقيتهن ذلك اللقاء و أخرجتهن ذلك الإخراج فضحكت و قالت أي بنت عمى و أي شىء أعجبك من حسن صنيع الله بى عقيب ذلك حتى أردت أن تتأسى بى فيه ثم ولت خارجه.

بويع أبو العباس السفاح بالخلافه يوم الجمعة لثلاث عشره ليله خلون من شهر ربيع

الأول سنة اثنتين و ثلاثين و مائه فصعد المنبر بالكوفة فخطب فقال الحمد لله الذى اصطفى الإسلام لنفسه و كرمه و شرفه و عظمه و اختاره لنا و أیده بنا و جعلنا أهله و كهفه و حصنه و القوام به و الذابین عنه و الناصرین له و خصنا برحم رسول الله ص و أنبتنا من شجرته و اشتقنا من نبعته و أنزل بذلك كتابا يتلى فقال سبحانه قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ فلما قبض رسول الله ص قام بالأمر أصحابه و أمرهم سُورَى بَيْنَهُمْ ﴿٢﴾ فعدلوا و خرجوا خماسا ﴿٣﴾ ثم وثب بنو حرب و بنو مروان فابتزوها و تداولوها و استأثروا بها و ظلموا أهلها فأملى الله لهم حيناً فلما آسفوه ﴿٤﴾ انتقم منهم بأيدينا و رد علينا حقنا فأنا السفاح المبيح و الثائر المبير ﴿٥﴾ .

و كان موعوكا فاشتدت عليه الوعكه فجلس على المنبر و لم يستطع الكلام فقام عمه داود بن على و كان بين يديه فقال يا أهل العراق إنا و الله ما خرجنا لنحفر نهرا و لا- لنكنز لجينا و لا- عقيانا و إنما أخرجتنا الأنفة من ابتزاز الظالمين حقنا و لقد كانت أموركم تتصل بنا فترمضنا و نحن على فرشنا لكم ذمه الله و ذمه رسوله و ذمه العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله و نعمل فيكم بكتاب الله و نسير فيكم بسنه رسول الله ص و اعلموا أن هذا الأمر ليس بخارج عنا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم .

ص: ١٥٤

-
- ١-١ (١) سورة الشورى ٢٣.
 - ٢-٢ (٢) سورة الشورى ٣٨.
 - ٣-٣ (٣) خماسا: جياعا.
 - ٤-٤ (٤) آسفوه: أغضبوه.
 - ٥-٥ (٥) المبير: المهلك.

يا أهل الكوفة إنه لم يخطب على منبركم هذا خليفه حقّ إلا عليّ بن أبي طالب و أمير المؤمنين هذا فأحمد الله الذي ردّ إليكم أموركم ثم نزل.

و قد روى حديث خطبه داود بن علي بروايه أخرى و هي الأشهر قالوا لما صعد أبو العباس منبر الكوفة حصر فلم يتكلم فقام داود بن علي و كان تحت منبره حتّى قام بين يديه تحته بمرقاه فاستقبل الناس و قال أيها الناس- إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله و لأثر الفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال و حسبكم كتاب الله تمثلا فيكم و ابن عم رسول الله ص خليفه عليكم أقسم بالله قسما برا ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله ص أحق به من عليّ بن أبي طالب و أمير المؤمنين هذا فليهمس هامسكم و لينطق ناطقكم ثم نزل.

و من خطب داود التي خطب بها بعد قتل مروان شكرا شكرا أظنّ عدو الله أن لن يظفر به أرخى له في زمامه حتّى عثر في فضل خطامه فالآن عاد الحق إلى نصابه و طلعت الشمس من مطلعها و أخذ القوس باريها و صار الأمر إلى النزعه (1) و رجع الحق إلى مستقره أهل بيت نبيكم أهل الرأفة و الرحمة.

و خطب عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العباس لما قتل مروان فقال الحمد لله الذي لا- يفوته من طلب و لا- يعجزه من هرب خدعت و الله الأشقر نفسه إذ ظنّ أن الله ممهله و يأبى الله إلا أن يُتّم نُورُهُ و لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ فحتى متى و إلى متى

ص: ١٥٥

١-١) النزعه: جمع نازع؛ و هو الرامى يشد الوتر إليه ليضع فيه السهم؛ يريد: رجع الحق إلى أهله.

أما والله لقد كرهتهم العيدان (١) التي افترعوها و أمسكت السماء درها (٢) و الأرض ريعها (٣) و قحل (٤) الضرع و جفز (٥) الفنيق و أسمل (٦) جلباب الدين و أبطلت الحدود و أهدرت الدماء و كان ربك بالمرصاد فدمدم (٧) عليهم ربهم بحدنهم فسواها و لا يخاف عقباها و ملكنا الله أمرم عباد الله لينظر كيف تعملون فالشكر الشكر فإنه من دواعي المزيد أعاذنا الله و إياكم من مضلات الأهواء و بغتات الفتن فإنما نحن به و له.

لما أمعن داود بن علي في قتل بنى أمية بالحجاز قال له عبد الله بن الحسن ع يا ابن عمي إذا أفرطت في قتل أكفائك فمن تباهى بسطانتك و ما يكفيك منهم أن يروك غاديا و رائحا فيما يسرك و يسوءهم كان داود بن علي يمثل بنى أمية يسمل العيون و يقر البطون و يجدهم الأنوف و يسطلم الآذان كان عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس يصلبهم منكسين و يسقيهم النوره و الصبر و الرماد و الخل و يقطع الأيدي و الأرجل و كان سليمان بن علي بالبصره يضرب الأعناق.

خطب السفاح في الجمعة الثانيه بالكوفه فقال

ص: ١٥٦

١-١) العيدان، يريد أعواد المنابر، و افترعوها: اعتلواها.

٢-٢) درها، أي مطرها.

٣-٣) الريع: النماء.

٤-٤) قحل: يبس جلده على لحمه.

٥-٥) الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته، و الجفز: السرعه في المشى.

٦-٦) أسمل: خلق و بلى.

٧-٧) دمدم عليهم، طحنهم فأهلكهم.

لَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ وَاللَّهُ لَا أَعْدَكُمْ شَيْئًا وَلَا اتَّوَعَدَكُمْ إِلَّا وَفِيهِ بِالْوَعْدِ وَاللَّيْنِ حَتَّى لَا تَنْفَعِ إِلَّا الشَّدَّةَ وَاللَّعْنَةَ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ كَانُوا لَكُمْ أَعْدَاءً لَا يَرْجِعُونَ مَعَكُمْ مِنْ حَالِهِ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا وَلَا يَلِي عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَالْإِلَّا تَمْنَيْتُمْ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ وَإِنْ كَانَ لَا خَيْرَ فِي جَمِيعِهِمْ مَنَعُوكُمُ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا وَطَالِبُوكُم بِأَدَائِهَا فِي غَيْرِ وَقْتِهَا وَأَخَذُوا الْمَدْبِرَ بِالْمَقْبَلِ وَالْجَارَ بِالْجَارِ وَسَلَطُوا شَرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَقَدْ مَحَقَ اللَّهُ جُورَهُمْ وَأَزْهَقَ بَاطِلَهُمْ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَمَا تُوَخَّرَ لَكُمْ عَطَاءٌ وَلَا نَضِيعٌ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ حَقًّا وَلَا نَجْهَزَكُمْ فِي بَعْثٍ وَلَا نَخَاطِرَ بِكُمْ فِي قِتَالٍ وَلَا نَبْذِلْكُمْ دُونَ أَنْفُسِنَا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا نَقُولُ وَكَيْلٌ بِالْوَفَاءِ وَالْاجْتِهَادِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

ثم نزل.

كان يقال لو ذهبت دوله بنى أمية على يد غير مروان بن محمد لقليل لو كان لها مروان لما ذهبت.

كان يقال إن دوله بنى أمية آخرها خليفه أمه أمه فلذلك كانوا لا يعهدون إلى بنى الإمام منهم و لو عهدوا إلى ابن أمه لكان مسلمه بن عبد الملك أولاهم بها و كان انقراض أمرهم على يد مروان و أمه أمه كانت لمصعب بن الزبير وهبها من إبراهيم بن الأشر فأصابها محمد بن مروان يوم قتل ابن الأشر فأخذها من ثقله فليل إنها كانت حاملا بمروان فولدته على فراش محمد بن مروان و لذلك كان أهل خراسان ينادونه في الحرب يا ابن الأشر . قيل أيضا إنها كانت حاملا به من مصعب بن الزبير و إنه لم تطل مدتها عند

ص: ١٥٧

إبراهيم بن الأشتر حتى قتل فوضعت حملها على فراش محمّد بن مروان و لذلك كانت المسوده تصيح به فى الحرب يا ابن مصعب ثم يقولون يا ابن الأشتر فيقول ما أبالى أى الفحلين غلب على لما بويح أبو العباس جاءه ابن عياش المنتوف فقبل يده و بايعه و قال الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيره و ابن أمه النخع ابن عم رسول الله ص و ابن عبد المطلب .لما صعد السفاح منبر الكوفه يوم بيعته و خطب الناس قام إليه السيد الحميرى فأنشده دونكموها يا بنى هاشم

قال داود بن على لإسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بعد قتله من قتل من بنى

أميه هل علمت ما فعلت بأصحابك قال نعم كانوا يدا فقطعتها و عضدا ففتت (١) فيها و مره (٢) فنقضتها و جناحا فحوصتها (٣)
قال إنني لخليق أن ألحقك فيهم قال إنني إذا لسعيد.

لما استوثق الأمر لأبي العباس السفاح وفد إليه عشره من أمراء الشام فحلفوا له بالله و بطلاق نسائهم و بأيمان البيعه بأنهم لا يعلمون إلى أن قتل مروان أن لرسول الله ص أهلا و لا قرابه إلا بنى أميه .

١٦٣٧

و روى أبو الحسن المدايني قال حدثني رجل قال كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يُسمى أحداً أو يُناديه يا عليّ أو يا حسن أو يا حسين وإنما أسمع معاوية و الوليد و يزيد حتى مررت برجلٍ فاستسقيته ماءً فجعل ينادي يا عليّ يا حسن يا حسين فقلت يا هذا إن أهل الشام لا يسمون بهذه الأسماء قال صدقت إنهم يسمون أبناءهم بأسماء الخلفاء فإذا لعن أحدهم ولده أو شتمه فقد لعن اسم بعد الخلفاء و أنا سميت أولادي بأسماء أعداء الله فإذا شتمت أحدهم أو لعنته فإنما لعن أعداء الله.

كانت أم إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أمويه من ولد عثمان بن عفان. قال إبراهيم فدخلت على جدي عيسى بن موسى مع أبي موسى فقال لي جدي أ تحب بنى أميه فقال له موسى أبي نعم إنهم أخواله فقال و الله لو رأيت جدك

ص: ١٥٩

١-١) فت في عضده؛ أي كسر قوته و فرق عنه أعوانه.

٢-٢) المره في الأصل: طاقه الحبل.

٣-٣) يقال: حصص الجناح؛ أي قطعه.

على بن عبد الله بن العباس يضرب بالسياط ما أحببتهم و لو رأيت إبراهيم بن محمد يكره على إدخال رأسه في جراب النوره (١) لما أحببتهم و سأحدثك حديثا إن شاء الله أن ينفعك به نفعك لما وجه سليمان بن عبد الملك ابنه أيوب بن سليمان إلى الطائف وجه معه جماعه فكنت أنا و عن محمد بن علي بن عبد الله جدي معهم و أنا حينئذ حديث السن و كان مع أيوب مؤدب له يؤدبه فدخلنا عليه يوما أنا و جدي و ذلك المؤدب يضربه فلما رأنا الغلام أقبل على مؤدبه فضربه فنظر بعضنا إلى بعض و قلنا ما له قاتله الله حين رأنا كره أن نشمت به ثم التفت أيوب إلينا فقال أ لا أخبركم يا بني هاشم بأعقلكم و أعقلنا أعقلنا من نشأ منا يبغضكم و أعقلكم من نشأ منكم يبغضنا و علامه ذلك أنكم لم تسموا بمروان و لا الوليد و لا عبد الملك و لم نسّم نحن بعلي و لا بحسن و لا بحسين. لما انتهى عامر بن إسماعيل و كان صالح بن علي قد أنفذه لطلب مروان إلى بوسير مصر هرب مروان بين يديه في نفر يسير من أهله و أصحابه و لم يكن قد تخلف معه كثير عدد فانتهاوا في غبش الصبح إلى قنطره هناك على نهر عميق ليس للخيل عبور إلاّ على تلك القنطره و عامر بن إسماعيل من ورائهم فصادف مروان على تلك القنطره بغالا قد استقبلته تعبر القنطره و عليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتى أدركه عامر بن إسماعيل و رهقه فلوى مروان دابته إليهم و حارب فقتل فلما بلغ صالح بن علي ذلك قال إن لله جنودا من عسل.

لما نقف رأس مروان و نفص مخه قطع لسانه و ألقى مع لحم عنقه فجاء كلب فأخذ اللسان فقال قائل

إن من عبر الدنيا أن رأينا لسان مروان في فم كلب.

خطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافه السفاح فقال الحمد لله الذي حمد نفسه و اختار الإسلام دينا لعباده ثم أوحى إلى محمد رسول الله ص من ذلك ما أوحى و اختاره من خلقه نفسه من أنفسهم و بيته من بيوتهم ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه و أشهد ملائكته على حقه قوله **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً (١)** ثم جعل الحق بعد محمد ع في أهل بيته فصبر من صبر منهم بعد وفاه رسول الله ص على اللأواء و الشده و أغضى على الاستبداد و الأثره ثم إن قوما من أهل بيت الرسول ص جاهدوا على مله نبيه و سنته بعد عصر من الزمان من عمل بطاعه الشيطان و عداوه الرحمن بين ظهراى قوم آثروا العاجل على الآجل و الفانى على الباقي إن رتق جور فتقوه أو فتق حق رتقوه أهل خمور و ماخور و طنابير (٢) و مزامير إن ذكروا لم يذكروا أو قدموا إلى الحق أدبروا و جعلوا الصدقات فى الشبهات و المغانم فى المحارم و الفىء فى الغى هكذا كان زمانهم و به كان يعمل سلطانهم و زعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم فلم و بم أيها الناس أ لكم الفضل بالصحابه دون ذوى القرابه الشركاء فى النسب و الورثه فى السلب (٣) مع ضربهم على الدين جاهلكم و إطعامهم فى الجذب جائعكم و الله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعه قط و ما زلتم بعد نبيه تختارون تيميا مره و عدويا مره و أمويا مره و أسديا مره و سفيانيا مره و مروانيا مره

ص: ١٦١

١-١) سورة الأحزاب ٣٣.

٢-٢) الماخور: بيت الريبه. و الطنابير: جمع طنبور، و هو آله من آلات الطرب: ذو عنق طويل و سته أوتار من نحاس.

٣-٣) السلب: ما يسلب.

حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه و لا بيته يضربكم بسيفه فأعطيتموها عنوه و أنتم صاغرون ألا إن آل محمد أئمه الهدى و منار سبيل التقى القاده الذاده الساده بنو عم رسول الله و منزل جبريل بالتنزيل كم قصم الله بهم (١) من جبار طاغ و فاسق باغ شيد الله بهم الهدى و جلا بهم العمى لم يسمع بمثل العباس و كيف لا تخضع له الأمم لواجب حق الحرمة أبو رسول الله بعد أبيه و إحدى يديه و جلده بين عينيه أمينه يوم العقبه و ناصره بمكّه و رسوله إلى أهلها و حاميه يوم حنين عند ملتقى الفئتين لا يخالف له رسما و لا- يعصى له حكما الشافع يوم نيق (٢) العقاب إلى رسول الله في الأ-حزاب ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لَأُولَى الْأَبْصَارِ (٣).

قلت الأسدى عبد الله بن الزبير و من لا- يعرفون اسمه و لا- بيته يعنى نفسه لأنّه لم يكن معلوم النسب و قد اختلف فيه هل هو مولى أم عربى.

و يوم العقبه يوم مبايعه الأنصار السبعين لرسول الله ص بمكّه و يوم نيق العقاب يوم فتح مكّه شفع العباس ذلك اليوم فى أبى سفيان و فى أهل مكّه فعفا النبى ص عنهم.

اجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعه من ولد أبيه منهم عيسى بن موسى و العباس بن محمّد و غيرهما فتذاكروا خلفاء بنى أميه و السبب الذى به سلبوا عزم فقال المنصور كان عبد الملك جبارا لا يبالى ما صنع و كان الوليد لحانا مجنونا و كان سليمان همته بطنه و فرجه و كان عمر أعور بين عميان و كان هشام رجل القوم و لم يزل بنو أميه ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه و يصونونه و يحفظونه و يحرسون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالى الأمور و رفضهم أدانيها حتى أفضى أمرهم إلى أحداث مترفين من أبنائهم فغمطوا النعمه و لم يشكروا العافيه و أساءوا الرعايه فابتدأت النقمه منهم

ص: ١٦٢

١-١ (١) ساقطه من ب.

٢-٢ (٢) نيق العقاب: موضع بين مكّه و المدينه قرب الجحفه.

٣-٣ (٣) د: الألباب.

باستدراج الله إياهم آمنين مكره مطرحين صيانه الخلافه مستخفين بحق الرئاسه ضعيفين عن رسوم السياسه فسلبهم الله العزه و ألبسهم الذله و أزال عنهم النعمه.

سأل المنصور ليله عن عبد الله بن مروان بن محمّد فقال له الربيع إنّه فى سجن أمير المؤمنين حيا فقال المنصور قد كان بلغنى كلام خاطبه به ملك النوبه لما قدم دياره و أنا أحبّ أن أسمع من فيه فليؤمر بإحضاره فأحضر فلما دخل خاطب المنصور بالخلافه فأمره المنصور بالجلوس فجلس و للقيد فى رجليه خشخشه قال أحبّ أن تسمعنى كلاما قاله لك ملك النوبه حيث غشيت بلاده قال نعم قدمت إلى بلد النوبه فأقمت أياما فاتصل خبرنا بالملك فأرسل إلينا فرشا و بسطا و طعاما كثيرا و أفرد لنا منازل واسعته ثمّ جاءنى و معه خمسون من أصحابه بأيديهم الحراب فقامت إليه فاستقبلته و تنحيت له عن صدر المجلس فلم يجلس فيه و قعد على الأرض فقلت له ما منعك من القعود على الفرش قال إني ملك و حقّ الملك أن يتواضع لله و لعظمته إذا رأى نعمه متجدده عنده و لما رأيت تجدد نعمه الله عندى بقصدكم بلادى و استجارتم بى بعد عزكم و ملككم قابلت هذه النعمه بما ترى من الخضوع و التواضع ثمّ سكت و سكت فلبثنا ما شاء الله لا يتكلم و لا أتكلم و أصحابه قيام بالحراب على رأسه ثمّ قال لى لما ذا شربتم الخمر و هى محرمة عليكم فى كتابكم و دينكم (١) قلت فعل ذلك أتباعنا و عمالنا جهلا منهم قال فلم لبستم الحرير و الديباج و الذهب و هو محرّم عليكم فى كتابكم و دينكم قلت استعنا فى أعمالنا بقوم من

ص: ١٦٣

١ - ١) ساقطه من ب.

أبناء العجم كتاب دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك اتباعا لسنه سلفهم على كره منا فأطرق مليا إلى الأرض يقلب يده و ينكت الأرض ثم قال عبيدنا و أتباعنا و عمالنا و كتابنا ما الأمر كما ذكرت و لكنكم قوم استحللتهم ما حرم الله عليكم و ركبتهم ما عنه نهيتهم و ظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز و ألبسكم الذل و إن له سبحانه فيكم لنقمه لم تبلغ غايتها بعد و أنا خائف أن يحل بكم العذاب و أنتم بأرضى فينالنى معكم و الضيافه ثلاث فاطلبوا ما احتجتم إليه و ارتحلوا عن أرضى.

فأخذنا منه ما تزودنا به و ارتحلنا عن بلده فعجب المنصور لذلك و أمر بإعادته إلى الحبس.

و قد جاءنا فى بعض الروايات أن السفاح لما أراد أن يقتل القوم الذين انضموا إليه من بنى أميه جلس يوما على سرير بهاشميه الكوفه (١) و جاء بنو أميه و غيرهم من بنى هاشم و القواد و الكتاب فأجلسهم فى دار تتصل بداره و بينه و بينهم ستر مسدول ثم أخرج إليهم أبا الجهم بن عطيه و بيده كتاب ملصق فنادى بحيث يسمعون أين رسول الحسين بن على بن أبى طالب فلم يتكلم أحد فدخل ثم خرج ثانيه فنادى أين رسول زيد بن على بن الحسين فلم يجبه أحد فدخل ثم خرج ثالثه فنادى أين رسول يحيى بن زيد بن على فلم يرد أحد عليه فدخل ثم خرج رابعه فنادى أين رسول إبراهيم بن محمّد الإمام و القوم ينظر بعضهم إلى بعض و قد أيقنوا بالشر ثم دخل و خرج فقال لهم إن أمير المؤمنين يقول لكم هؤلاء أهلى و لحمى فما ذا صنعتم بهم ردوهم إلى أو فأقيدونى من أنفسكم فلم ينطقوا بحرف و خرجت الخراسانيه بالأعمده فشدخوهم عن آخرهم.

ص: ١٦٤

(١- ١) هاشميه الكوفه، مدينه بناها السفاح.

قلت و هذا المعنى مأخوذ من قول الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب لما قتل زيد بن علي ع في سنه اثنتين و عشرين و مائه في خلافه هشام بن عبد الملك و ذلك أن هشام كتب إلى عامله بالبصره و هو القاسم بن محمّد الثقفي أن يشخص كل من بالعراق من بني هاشم إلى المدينه خوفا من خروجهم و كتب إلى عامل المدينه أن يحبس قوما منهم و أن يعرضهم في كل أسبوع مره و يقيم لهم الكفلاء على ألا يخرجوا منها فقال الفضل بن عبد الرحمن من قصيده له طويله كلما حدثوا بأرض نقيقا

ص: ١٦٥

ليت شعري هل توجفن بي الخيل

ص: ١٦٦

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَدَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَقَبْلَهُ أُيُّهَا النَّاسُ اسْتَضِيحُوا مِنْ شُعْلِهِ مَضِيحٍ
وَاعْظِ مُنْعِظٍ وَامْتَاخُوا مِنْ [صَفِيٍّ]

صَفْوَةٍ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدْرِ عِبَادَ اللَّهِ لَا تَزُكُّوا إِلَى جَهَائِكُمْ وَلَا تَتَّقَادُوا [إِلَى أَهْوَائِكُمْ]

لَأَهْوَائِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ يُرِيدُ
أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ وَلَا يَنْقُضُ بَرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَنِهِ وَإِقَامَةُ الْجُدُودِ عَلَى
مُسْتَحَقِّيهِمَا وَإِضْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَضْوِيحِ نَبْتِهِ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ
أَهْلِهِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي .

هار الجرف يهور هورا و هئورا فهو هائر و قالوا هار خفضوه فى موضع الرفع كقاض و ارادوا هائر و هو مقلوب من الثلاثى الى
الرباعى كما قلبوا شائك السلاح الى شاكى السلاح و هورته فتهور و انهار اى انهدم .

و أشكيت زيدا أزلت شكايته و الشجو الهم و الحزن.

و صوح النبات أى جف أعلاه قال و لكن البلاد إذا اقشعرت و صوح نبتها رعى الهشيم (١).

يقول ع أشدّ العيون إدراكا ما نفذ طرفها فى الخير و أشدّ الأسماع إدراكا ما حفظ الموعظه و قبلها.

ثم أمر الناس أن يستصبحوا أى يسرجوا مصابيحهم من شعله سراج متعظ فى نفسه واعظ لغيره و روى بالإضافه من شعله مصباح واعظ بإضافه مصباح إلى واعظ و إنما جعله متعظا واعظا لأن من لم يتعظ فى نفسه فعييد أن يتعظ به غيره و ذلك لأن القبول لا يحصل منه و الأنفس تكون نافرته عنه و يكون داخلا فى حيز قوله تعالى أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ (٢) و فى قول الشاعر لا تنه عن خلق و تأتى مثله (٣).

و عنى بهذا المصباح نفسه ع.

ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافيه قد انتفى عنها الكدر كما يروق الشراب بالراووق فيزول عنه كدره و الامتياح نزول البثر و ملء الدلاء منها و يكنى بهذا أيضا عن نفسه ع.

ص: ١٤٨

١- ١) لأبى على البصير، و قبله: لعمر أبيك ما نسب المعلّى إلى كرم و فى الدّنيا كريم أمالى القالى ٢٨٧:٢.

٢- ٢) سورة البقره ٤٤.

٣- ٣) لأبى الأسود الدؤلى، و بقيته: *عار عليك إذا فعلت عظيم* و البيت من شواهد المغنى، و انظر شرح شواهد المغنى

للسيوطى ٢٦٤.

ثم نهاهم عن الانقياد لأهوائهم و الميل إلى جهالتهم و قال إن من يكون كذلك فإنه على جانب جرف متهدم و لفظه هار من الألفاظ القرآنيه (١).

ثم قال و من يكون كذلك فهو أيضا ينقل الهلاك على ظهره من موضع إلى موضع ليحدث رأيا فاسدا بعد رأى فاسد أى هو ساع فى ضلال يروم أن يحتج لما لا سبيل إلى إثباته و ينصر مذهبا لا انتصار له.

ثم نهاهم و حذرهم أن يشكوا إلى من لا يزيل شكائهم و من لا رأى له فى الدين و لا بصيره لينقض ما قد أبرمه الشيطان فى صدورهم لإغوائهم و يروى إلى من لا يشكى شجوكم و من ينقض برأيه ما قد أبرم لكم و هذه الروايه أليق أى لا تشكوا إلى من لا يدفع عنكم ما تشكون منه و إنما ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحق و الشرع لكم.

ثم ذكر أنه ليس على الإمام إلا ما قد أوضحه من الأمور الخمسه.

ثم أمرهم بمبادره أخذ العلم من أهله يعنى نفسه ع قبل أن يموت فيذهب العلم و تصويح النبت كناية عن ذلك.

ثم قال و قبل أن تشغلوا بالفتن و ما يحدث عليكم من خطوب الدنيا عن استثاره العلم من معدنه و استنباطه من قرارته.

ثم أمرهم بالنهى عن المنكر و أن يتناهوا عنه قبل أن ينهوا عنه و قال إنما النهى بعد التناهى .

ص: ١٦٩

١-١) من قوله تعالى فى سورة التوبه ١٠٩ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..

و في هذا الموضوع إشكال و ذلك أن لقائل أن يقول النهى عن المنكر واجب على العدل و الفاسق فكيف قال إنما أمرتم بالنهى بعد التناهى

١٦٣٨

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبُضَيْرِيَّ قَالَ لِلشَّعْبِيِّ هَلَّا نَهَيْتَ عَنْ كَذَا فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ مَا لَا أَفْعَلُ قَالَ الْحَسَنُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَ أَتَيْنَا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَدَّ الشَّيْطَانُ لَوْ ظَفِرَ مِنْكُمْ بِهِدِهِ فَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدٌ بِمَعْرُوفٍ وَ لَمْ يَنْهَ عَنْ مُنْكَرٍ.

و الجواب أنه ع لم يرد أن وجود النهى عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك الناهى عن المنكر و إنما أراد أنى لم آمركم بالنهى عن المنكر إلا بعد أن أمرتكم بالانتهاء عن المنكر فالترتيب إنما هو فى أمره ع لهم بالحالتين المذكورتين لا فى نهيهن و تناهيهن.

فإن قلت فلما ذا قدم أمرهم بالانتهاء على أمرهم بالنهى قلت لأن إصلاح المرء نفسه أهم من الاعتناء بإصلاحه لغيره

ص : ١٧٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالِبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ وَ سَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ وَ نُورًا لِمَنْ اسْتِضَاءَ بِهِ وَ فَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ وَ لُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ وَ تَبَصَّرَهُ لِمَنْ عَزَمَ وَ عِبْرَةً لِمَنْ اتَّعِظَ وَ نَجِيَّةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَ رَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وَ جُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَ أَوْضَحُ الْوَلَايِجِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ كَرِيمُ الْمِضْمَارِ رَفِيعُ الْغَايَةِ جَامِعُ الْحَلَبَةِ مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ شَرِيفُ الْفُرْسَانِ التَّصَدِيقِ مِنْهَاجُهُ وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ وَ الدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ .

هذا باب من الخطابه شريف و ذلك لأنه ناط بكل واحده من اللفظات لفظه تناسبها و تلائمها لو نيطت بغيرها لما انطبقت عليها و لا- استقرت في قرارها أ لا- تراه قال أمنا لمن علقه فالأمن مرتب على الاعتلاق و كذلك في سائر الفقر كالسلم المرتب على الدخول و البرهان المرتب على الكلام و الشاهد المرتب على الخصام و النور المرتب

على الاستضاءه إلى آخرها ألا ترى أنه لو قال و برهاننا لمن دخله و نورا لمن خاصم عنه و شاهدا لمن استضاء به لكان قد قرن باللفظه ما لا يناسبها فكان قد خرج عن قانون الخطابه و دخل فى عيب ظاهر و توسم تفرس و الولايج جمع وليجه و هو المدخل إلى الوادى و غيره .

و الجنه الترس و أبلج المناهج معروف الطريق .

و الحلبه الخيل المجموعه للمسابقه .

و المضممار موضع تضمير الخيل و زمان تضميرها و الغايه الرايه المنصوبه و هو هاهنا خرقة تجعل على قصبه و تنصب فى آخر المدى الذى تنتهى إليه المسابقه كأنه ع جعل الإسلام كخيل السباق التى مضممارها كريم و غايتها رفيعه عاليه و حلبتها جامعته حاويه و سبقتها متنافس فيها و فرسانها أشراف .

ثم وصفه بصفات أخرى فقال التصديق طريقه و الصالحات أعلامه و و الموت غايته أى إن الدنيا سجن المؤمن و بالموت يخلص من ذلك السجن و يحظى بالسعاده الأبدية.

قال و الدنيا مضمماره كأن الإنسان يجرى إلى غايه هى الموت و إنما جعلها مضممار الإسلام لأن المسلم يقطع دنياه لا لدنياه بل لآخرته فالدنيا له كالمضممار للفرس إلى الغايه المعينه .

قال و القيامه حلبته أى ذات حلبته فحذف المضاف كقوله تعالى هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ أى ذوو درجات.

ثم قال و الجنه سبقته أى جزاء سبقته فحذف أيضا

مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ ص حَتَّى أَوْزَى قَبْسًا لِقَابِسٍ وَ أَنْارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ نِعْمَهُ وَ
رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَهُ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسِمًا مِنْ عَدْلِكَ وَ اجْزِهِ مَضْعَمَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَ
أَكْرِمْ لَعْدِيكَ نُزْلَهُ وَ شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنَزَلَهُ وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ أَعْطِهِ السَّنَاءَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَ لَا نَادِمِينَ وَ لَا
نَاكِبِينَ وَ لَا نَاكِثِينَ وَ لَا ضَالِّينَ وَ لَا مُضِلِّينَ وَ لَا مَفْتُونِينَ.

[قال الرضى رحمه الله تعالى و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا أننا كثرناه هاهنا لما فى الروايتين من الاختلاف]

قبسا

منصوب بالمفعوليه أى أورى رسول الله ص قبسا و القبس شعله من النار و القابس طالب الاستصباح منها و الكلام مجاز و المراد
الهدايه فى الدين .

و علما منصوب أيضا بالمفعوليه أى و أنا رسول الله ص علما.

لحابس

أى نصب لمن قد حبس ناقته ضلالا فهو يخط لا يدرى كيف يهتدى إلى المنهج علما يهتدى به.

ص: ١٧٣

فإن قلت فهل يجوز أن ينصب قبسا و علما على أن يكون كل واحد منهما حالا أى حتى أورى رسول الله فى حال كونه قبسا و أنار فى حال كونه علما قلت لم أسمع أورى الزند و إنما المسموع ورى و ورى و لم يجئ أورى إلا متعديا أورى زيد زنده فإن حمل هاهنا على المتعدى احتيج إلى حذف المفعول و يصير تقديره حتى أورى رسول الله الزند حال كونه قبسا فيكون فيه نوع تكلف و استهجان .

و البعث المبعوث و مقسما نصيبا و إن جعلته مصدرا جاز .

و النزول طعام الضيف و الوسيله ما يتقرب به و قد فسر قولهم فى دعاء الأذان اللهم آتة الوسيله بأنها درجه رفيعه فى الجنة و السناء بالمد الشرف و زمرة جماعته .

و خزايا جمع خزيان و هو الخجل المستحي مثل سكران و سكارى و حيران و حيارى و غيران و غيارى .

و ناكبين أى عادلين عن الطريق و ناكبين أى ناقضين للعهد .

قلت سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله و كان منصفاً بعيداً عن الهوى و العصبية عن هذا الموضوع فقلت له قد وقفت على كلام الصحابه و خطبهم فلم أر فيها من يعظم رسول الله ص تعظيم هذا الرجل و لا يدعو كدعائه فإننا قد وقفنا من نهج البلاغه و من غيره على فصول كثيره مناسبه لهذا الفصل تدلّ على إجلال عظيم و تبجيل شديد منه لرسول الله ص فقال و من أين لغيره من الصحابه كلام مدون يتعلم منه كيفيه ذكرهم للنبي ص و هل وجد لهم إلا كلمات مبتدرة لا طائل تحتها ثم قال إن عليا ع كان قوى الإيمان برسول الله ص و التصديق له ثابت اليقين قاطعا بالأمر متحققا له و كان

مع ذلك يحب رسول الله ص لنسبته منه و تربيته له و اختصاصه به من دون أصحابه و بعد فشرفه له لأنهما نفس واحده فى جسمين الأب واحد و الدار واحده و الأخلاق متناسبه فإذا عظمه فقد عظم نفسه و إذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه و لقد كان يود أن تطبق دعوه الإسلام مشارق الأرض و مغاربها لأن جمال ذلك لاحق به و عائد عليه فكيف لا يعظمه و يبجله و يجتهد فى إعلاء كلمته.

فقلت له قد كنت اليوم أنا و جعفر بن مكى الشاعر نتجاذب هذا الحديث فقال جعفر لم ينصر رسول الله ص أحد نصره أبى طالب و بنيه له أما أبو طالب فكفله و رباه ثم حماه من قريش عند إظهار الدعوه بعد إصفاقهم و إطباقهم على قتله و أما ابنه جعفر فهاجر بجماعه من المسلمين إلى أرض الحبشه فنشر دعوته بها و أما على فإنه أقام عماد الملة بالمدينه ثم لم يمن أحد من القتل و الهوان و التشريد بما منى به بنو أبى طالب أما جعفر فقتل يوم مؤته و أما على فقتل بالكوفه بعد أن شرب نقيع الحنظل و تمنى الموت و لو تأخر قتل ابن ملجم لمات أسفا و كمدا ثم قتل ابنه بالسم و السيف و قتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطف و حملت نساؤهم على الأقتاب سبایا إلى الشام و لقيت ذريتهم و أخلافهم بعد ذلك من القتل و الصلب و التشريد فى البلاد و الهوان و الحبس و الضرب ما لا يحيط الوصف بكنهه فأى خير أصاب هذا البيت من نصرته و محبته و تعظيمه بالقول و الفعل فقال رحمه الله و أصاب فيما قال فهلا قلت يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١).

ثم قال و هلا قلت له فقد نصرته الأنصار و بذلت مهجها دونه و قتلت بين يديه فى

ص: ١٧٥

مواطن كثيره و خصوصا يوم أحد ثم اهتضموا بعده و استؤثر عليهم و لقوا من المشاق و الشدائد ما يطول شرحه و لو لم يكن إلا يوم الحره فإنه اليوم الذى لم يكن فى العرب مثله و لا أصيب قوم قط بمثل ما أصيب به الأنصار ذلك اليوم ثم قال إن الله تعالى زوى الدنيا عن صالحى عبادته و أهل الإخلاص له لأنه لم يرها ثنا لعبادتهم و لا كفوا لإخلاصهم و أرجأ جزاءهم إلى دار أخرى غير هذه الدار فى مثلها يتنافس المتنافسون منها فى خطاب أصحابه و قد بلغت من كرامه الله تعالى لكم منزله تكرم بها إميأؤكم و توصل بها جيرانكم و يعظمكم من لا فضل لكم عليه و لا يد لكم عنده و يهابكم من لا يخاف لكم سيطوه و لا لكم عليه إمرة و قد ترون عهود الله منقوضه فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آيائكم تأنفون و كذانت أمور الله عليكم ترد و عنكم تصيد و إليكم ترجع فمكنتم الظلمه من منزلتكم و أقيمت إليهم أزمتمكم و أسلمتم أمور الله فى أيديهم يعملون بالشبهات و يسرون فى الشهوات و إيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم .

هذا خطاب لأصحابه الذين أسلموا مدنهم و نواحيهم إلى جيوش معاويه التى كان

يغير بها على أطراف أعمال على ع كالأنبار وغيرها مما تقدم ذكرنا له قال لهم إن الله أكرمكم بالإسلام بعد أن كنتم مجوساً أو عباد أصنام وبلغتم من كرامته إياكم بالإسلام منزله عظيمه أكرم بها إماءكم وعبيدكم ومن كان مظنه المهنة والمذلة .

و وصل بها جيرانكم

أى من التجأ إليكم من معاهد أو ذمى فإن الله تعالى حفظ لهم ذمام المجاوره لكم حتى عصم دماءهم و أموالهم و صرتم إلى حال يعظمكم بها من لا- فضل لكم عليه و لا- نعمه لكم عنده كالروم و الحبشه فإنهم عظموا مسلمى العرب لتقمصهم لباس الإسلام و الدين و لزومهم ناموسه و إظهارهم شعاره .

و يهابكم من لا يخاف لكم سطوه و لا لكم عليه إمره

كالملوك الذين فى أقاصى البلاد نحو الهند و الصين و أمثالها و ذلك لأنهم هابوا دوله الإسلام و إن لم يخافوا سطوه سيفها لأنه شاع و ذاع أنهم قوم صالحون إذا دعوا الله استجاب لهم و أنهم يقهرون الأمم بالنصر السماوى و بالملائكه لا بسيوفهم و لا بأيديهم قيل إن العرب لما عبرت دجله إلى القصر الأبيض الشرقى بالمدائن عبرتها فى أيام مدها و هى كالبحر الزاخر على خيولها و بأيديها رماحها و لا دروع عليها و لا بيض فهربت الفرس بعد رمى شديد منها للعرب بالسهم و هم يقدمون و يحملون و لا تهولهم السهام فقال فلاح نبطى بيده مسحاته و هو يفتح الماء إلى زرعه لأسوار من الأساوره معروف بالبأس و جوده الرمايه ويلكم أمثلكم فى سلاحكم يهرب من هؤلاء القوم الحاسرين و لذعه باللوم و التعنيف فقال له أقم مسحاتك فأقامها فرماها فخرق الحديد حتى عبر النصل إلى جانبها الآخر ثم قال انظر الآن ثم رمى بعض العرب المارين عليه عشرين سهما لم يصبه و لا فرسه منها بسهم واحد و إنه لقريب منه غير بعيد و لقد كان بعض السهام يسقط بين يدى الأسوار فقال له بالفارسيه أعلمت أن القوم مصنوع لهم قال نعم .

ص: ١٧٧

ثم قال ع ما لكم لا تغضبون و أنتم ترون عهود الله منقوضه و إن من العجب أن يغضب الإنسان و يأنف من نقض عهد أبيه و لا يغضب و لا يأنف لنقض عهود إلهه و خالقه .

ثم قال لهم كانت الأحكام الشرعيه إليكم ترد منى و من تعليمي إياكم و تثقيفى لكم ثم تصدر عنكم إلى من تعلمونه إياها من أتباعكم و تلامذتكم ثم يرجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم و إخوتكم من هؤلاء الأتباع و التلامذه ففررتم من الزحف لما أغارت جيوش الشام عليكم و أسلمتم منازلكم و بيوتكم و بلادكم إلى أعدائكم و مكتمت الظلمه من منزلتكم حتى حكموا فى دين الله بأهوائهم و عملوا بالشبهه لا بالحجه و اتسعوا فى شهواتهم و مآرب أنفسهم .

ثم أقسم بالله إن أهل الشام لو فرقوكم تحت كل كوكب ليجمعنكم الله ليوم و هو شر يوم لهم و كنى بذلك عن ظهور المسوده و انتقامها من أهل الشام و بنى أميه و كانت المسوده المنتقمه منهم عراقيه و خراسانيه

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَاكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمْ الْجُفَاءُ الطَّعَامُ وَاعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْعَرَبِ وَيَأْفِيخُ الشَّرْفِ وَالْمَأْنَفُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوَحَ صِدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرِهِ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَاوَوْكُمْ وَتَزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أزالوكم حَسًّا بِالنَّصَالِ وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ تَرَكُّبُ أَوْلَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَاللِّبْلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودِ تَرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَتُدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا

جولتكم

هزيمتكم فأجمل فى اللفظ و كنى عن اللفظ المنفر عادلا عنه إلى لفظ لا تنفير فيه كما قال تعالى ^{□□} كَانَا يَا كُلَانِ الطَّعَامِ (١) قالوا هو كناية عن إتيان الغائط و إجمال فى اللفظ.

و كذلك قوله و انحيازكم عن صفوفكم كناية عن الهرب أيضا و هو من قوله تعالى [□] إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ (٢).

ص: ١٧٩

١-١) سورة الفرقان ٧.

٢-٢) سورة الأنفال ١٦.

و هذا باب من أبواب البيان لطيف و هو حسن التوصل بإيراد كلام غير مزعج عوضا عن لفظ يتضمن جيبها و تقريعا .

و تحوزكم تعدل بكم عن مراكزكم و الجفاه جمع جاف و هو القدم الغليظ و الطغام الأوغاد و اللهاميم جمع لهموم و هو الجواد من الناس و الخيل قال الشاعر لا تحسبن بياضا فى منقصه إن اللهاميم فى أقرابها بلق (١) و اليأفيخ جمع يافوخ و هو معظم الشيء قول قد ذهب يافوخ الليل أى أكثره و يجوز أن يريد به اليافوخ و هو أعلى الرأس و جمعه يآفيخ أيضا و أفخت الرجل ضربت يافوخه و هذا أليق لأنه ذكر بعده الأنف و السنم فحمل اليافوخ على العضو إذا أشبه .

و الوحاح الحرق و الحزازات و لقيته بأخره على فعله أى أخيرا .

و الحس القتل قال الله تعالى إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ (٢) .

و شجرت زيدا بالرمح طعنته و التأنيث فى أولاهم و أخراهم للكتاب .

و الهيم العطاش و تداد تصد و تمنع و قد روى الطغاه عوض الطغام .

و روى حشأ بالهمز من حشأت الرجل أى أصبت حشاه .

و روى بالنضال بالضاد المعجمه و هو المناضله و المراماه .

و قد ذكرنا نحن هذا الكلام فيما اقتصصناه من أخبار صفيين فيما تقدم من هذا الكتاب

ص : ١٨٠

١-١) اللسان ١٦:٢٩، من غير نسبه.

٢-٢) سورة آل عمران ١٥٢.

اشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِحَلْقِهِ بِخَلْقِهِ وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رُؤْيِهِ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِدَوَى الضَّمَائِرِ وَ لَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

الملاحم جمع ملحمة و هي الوقعة العظيمة في الحرب و لما كانت دلائل إثبات الصانع ظاهره ظهور الشمس وصفه ع بكونه ظهر و تجلى لخلقه و دلهم عليه بخلقه إياهم و إيجاده لهم .

ثم أكد ذلك بقوله و الظاهر لقلوبهم بحجته و لم يقل لعيونهم لأنه غير مرئي و لكنه ظاهر للقلوب بما أودعها من الحجج الداله عليه .

ثم نفى عنه الرويه و الفكر و التمثيل بين خاطرين ليعمل على أحدهما لأن ذلك إنما يكون لأرباب الضمائر و القلوب أولى النوازع المختلفه و البواعث المتضاده .

ثم وصفه بأن علمه محيط بالظاهر و الباطن و الماضي و المستقبل فقال إن علمه خرق باطن الغيوب المستوره و أحاط بالغامض من عقائد السرائر

مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صِ اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَشَكَاهِ الضِّيَاءِ وَ ذُوَابِهِ الْعَلْيَاءِ وَ سُرَّهُ الْبَطْحَاءِ وَ مَصَابِيحِ الظَّلْمَةِ وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ .

شجره الأنبياء

أولاد إبراهيم ع لأن أكثر الأنبياء منهم و المشكاه كوه غير نافذه يجعل فيها المصباح و الذؤابه طائفه من شعر الرأس و سره البطحاء وسطها و بنو كعب بن لؤى يفخرون على بنى عامر بن لؤى بأنهم سكنوا البطاح و سكنت عامر بالجبال المحيطة بمكّه و سكن معها بنو فهر بن مالك رهط أبى عبيده بن الجراح و غيره قال الشاعر فحللت منها بالبطاح و حل غيرك بالظواهر.

و قال طريح بن إسماعيل أنت ابن مسلتح البطاح و لم تطرق عليك الحنى و الولج (١).

و قال بعض الطالبين و أنا ابن معتلج البطاح إذا غدا غيرى و راح على متون ظواهر

ص: ١٨٢

١- ١) قبل فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، و كان من أخواله الحنى: ما انخفض من الأرض، و الولج: ما اتسع من الأودية؛ أى لم تكن بينهما فيختفى حسبك، و البيت فى معجم البلدان ٢: ٢١٤.

يفتر عنى ركنها و حطيمها

وَ مِنْهَا:

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بَطْبُهُ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمَى وَ آذَانٍ صُمٌّ وَ أَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُسْتَبَعٍ
بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْعُقْلَةِ وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ .

إنما قال دوار بطبه لأن الطبيب الدوار أكثر تجربه أو يكون عنى به أنه يدور على من يعالجه لأن الصالحين يدورون على مرضى
القلوب فيعالجونهم و

١٤٣٩

يُقَالُ إِنَّ الْمَسِيحَ رُئِيَ خَارِجًا مِنْ بَيْتِ مُومِسَه فَقِيلَ لَهُ يَا سَيِّدَنَا أَمْثَلُكَ يَكُونُ هَاهُنَا فَقَالَ إِنَّمَا يَأْتِي الطَّبِيبُ الْمَرْضَى .

و المراهم الأدوية المركبه للجراحات و القروح و المواسم حدائد يوسم بها الخيل و غيرها .

ثم ذكر أنه إنما يعالج بذلك من يحتاج إليه و هم أولو القلوب العمى و الأذان الصم و الألسنه البكم أى الخرس و هذا تقسيم
صحيح حاصر لأن الضلال و مخالفه

ص: ١٨٣

الحق يكون بثلاثة أمور إما بجهل القلب أو بعدم سماع المواعظ و الحجج أو بالإمساك عن شهاده التوحيد و تلاوه الذكر فهذه أصول الضلال و أما أفعال المعاصى ففروع عليها

فصل فى التقسيم و ما ورد فيه من الكلام

و صحه التقسيم باب من أبواب علم البيان و منه قوله سبحانه ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ (١).

و هذه قسمه صحيحه لأن المكلفين إمّا كافر أو مؤمن أو ذو المنزله بين المنزلتين هكذا قسم أصحابنا الآية على مذهبههم فى الوعيد.

و غيرهم يقول العباد إمّا عاص ظالم لنفسه أو مطيع مبادر إلى الخير أو مقتصد بينهما.

و من التقسيم أيضا قوله وَ كُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (٢) و مثل ذلك.

و قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا (٣) لأن الناس عند رؤيه البرق بين خائف و طامع.

١٤٤٠

وَ وَقَفَ سَائِلٌ عَلَى مَجْلِسِ الْحَسَنِ الْبَصِيرِيِّ فَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَى مِنْ سَعَةٍ أَوْ وَاسَى مِنْ كَفَافٍ أَوْ آثَرَ مِنْ قَلِّهِ فَقَالَ الْحَسَنُ لَمْ تَتْرُكْ لِأَحَدٍ عُذْرًا.

ص: ١٨٤

١-١) سورة فاطر ٣٢.

٢-٢) سورة الواقعة ٧-١٠.

٣-٣) سورة الرعد ١٢.

و من التقسيمات الفاسده فى الشعر قول البحترى ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا فالتقسيم فى البيت الأول صحيح و فى الثانى غير صحيح لأن المشوق يكون حزينا و المسعد يكون معينا فكذلك يكون عاذرا و يكون مشوقا و يكون حزينا.

و قد وقع المتنبى فى مثل ذلك فقال فافخر فإن الناس فيك ثلاثة مستعظم أو حاسد أو جاهل (١) فإن المستعظم يكون حاسدا و الحاسد يكون مستعظما.

و من الأبيات التى ليس تقسيمها بصحيح ما ورد فى شعر الحماسه و أنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا و ذلك لأن الخيانه أخص من الإثم و الإثم شامل لها لأنه أعم منها فقد دخل أحد القسمين فى الآخر و يمكن أن يعتذر له فيقال عنى بالإثم الكذب نفسه و كذلك هو المعنى أيضا بقوله قولاً بلا علم كأنه قال له إما أن أكون أفشيت سرى إليك فختنتى أو لم أفش فكذبت على فأنت فيما أتيت بين أن تكون خائناً أو كاذباً.

و ممّا جاء من ذلك فى النثر قول بعضهم من جريح مضرج بدمائه أو هارب لا يلتفت إلى ورائه و ذلك أن الجريح قد يكون هاربا و الهارب قد يكون جريحا.

و قد أجاد البحترى لما قسم هذا المعنى و قال

ص: ١٨٥

١-١) ديوانه ٢١٠:٢.

غادرتهم أيدي المنيه صباحا

و من ذلك قول بعض الأعراب النعم ثلاث نعمه فى حال كونها و نعمه ترجى مستقبله و نعمه تأتي غير محتسبه فأبقى الله عليك ما أنت فيه و حقق ظنك فيما ترتجيه و تفضل عليك بما لم تحتسبه و ذلك أنه أغفل النعمه الماضيه و أيضا فإن النعمه التى تأتي غير محتسبه داخله فى قسم النعمه المستقبله.

و قد صحح القسمه أبو تمام فقال جمعت لنا فرق الأمانى منكم

فإن قلت فإن ما عنيت به فساد التقسيم على البحترى و المتنبى يلزمك مثله فيما شرحته لأن الأعمى القلب قد يكون أبكم اللسان أصم السمع.

قلت إن الشاعرين ذكرا التقسيم بأو و أمير المؤمنين ع قسم بالواو و الواو للجمع فغير منكر أن تجتمع الأقسام الواحد أو أن تعطى معنى الانفراد فقط فافترق الموضوعان

ص: ١٨٦

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّقِيهِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدْ أَنْجَابَتِ السَّرَائِرُ
لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ وَ وَضَحَتْ مَحَجَّهُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَ أَشْفَرَتِ السَّاعَةَ عَنْ وَجْهِهَا وَ ظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا
أَرْوَاحٍ وَ أَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ وَ نَسَاكَأَ بِلَا صِلَاحٍ وَ تَجَارًا بِلَا أَرْبَاحٍ وَ أَيْقَاطًا نَوْمًا وَ شُهُودًا غَيْبًا وَ نَاطِرَةً عَمِيَاءَ وَ سَامِعَةً صَمَاءَ وَ نَاطِقَةً
بِكَمَاءَ .

انجابت

انكشفت و المحججه الطريق و الخابط السائر على غير سبيل واضحه و أسفرت الساعه أضاءت و أشرقت و عن متعلقه بمحذوف و
تقديره كاشفه عن وجهها .

و المتوسم المتفرس أشباها بلا أرواح أى أشخاصا لا أرواح لها و لا عقول و أرواحا بلا أشباح يمكن أن يريد به الخفه و الطيش
تشبيها بروح بلا جسد و يمكن أن يعنى به نقصهم لأن الروح غير ذات الجسد ناقصه عن الاعتمال و التحريك اللذين كانا من
فعلها حيث كانت تدير الجسد .

و نساكا بلا صلاح

نسبهم إلى النفاق و تجارا بلا أرباح نسبهم إلى الرياء و إيقاع الأعمال على غير وجهها .

ثم وصفهم بالأمور المتضاده ظاهرا و هى مجتمعه فى الحقيقه فقال أيقاظا نوما

لأنهم أولو يقظه و هم غفول عن الحق كالنيام و كذلك باقيها قال تعالى فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (١) رَأْيُهُ ضَالٌّ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَ تَفَرَّقَتْ بِشُعْبَيْهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَ تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا نُفَالَهُ كُنْفَالَهُ الْقَدْرُ أَوْ نُفَاضَهُ كُنْفَاضَهُ الْعِجْمُ تَعْرُكُكُمْ عَزَكُ الْأَدِيمِ وَ تَدُوسُكُمْ دُوسَ الْحَصِيدِ وَ تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبُطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ.

هذا كلام منقطع عما قبله لأن الشريف الرضى رحمه الله كان يلتقط الفصول التي في الطبقة العليا من الفصاحة من كلام أمير المؤمنين ع فيذكرها و يتخطى ما قبلها و ما بعدها و هو ع يذكرها هنا ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفيناني و غيره .

و القطب في قوله ع قامت على قطبها الرئيس الذى عليه يدور أمر الجيش و الشعب القبيلة العظيمة و ليس التفرق للرايه نفسها بل لنصارها و أصحابها فحذف المضاف و معنى تفرقهم أنهم يدعون إلى تلك الدعوه المخصوصه فى بلاد متفرقه أى تفرق ذلك الجمع العظيم فى الأقطار داعين إلى أمر واحد و يروى بشعبها جمع شعبه

ص: ١٨٨

و تقدير تكييلكم بصاعها تكييل لكم فحذف اللام كما فى قوله تعالى وَ إِذَا كَالُواْ هُمْ أَوْ وَزَنُواْ هُمْ (١) أى كالوا لهم أو وزنوا لهم و المعنى تحملكم على دينها و دعوتها و تعاملكم بما يعامل به من استجاب لها و يجوز أن يريد بقوله تكييلكم بصاعها يقهركم أربابها على الدخول فى أمرهم و يتلاعبون بكم و يرفعونكم و يضعونكم كما يفعل كيال البر به إذا كاله بصاعه .

و تخبطكم بباعها

تظلمكم و تعسفكم قائدها ليس على مله الإسلام بل مقيم على الضلاله يقال ضله لك و إنه ليومنى ضله إذا لم يوفق للرشاد فى عدله .

و الثفاله ما ثفل فى القدر من الطيخ و النفاضه ما سقط من الشىء المنفوض .

و العكم العدل و العكم أيضا نمط تجعل فيه المرأه ذخيرتها .

و عركت الشىء دلكته بقوه و الحصيد الزرع المحصود .

و معنى استخلاص الفتنة المؤمن أنها تخصه بنكايتها و أذاها كما قيل المؤمن ملقى و الكافر موقى

١٦٤١

وَ فى الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ آفَاتُ الدُّنْيَا أَسْرَعُ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ فى بَيْسِ الْعَرْفَجِ .

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَدَاهِبُ وَ تَتِيهُ بِكُمْ الْغَيَاهِبُ وَ تَخْدَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ وَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ فَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَ لِكُلِّ غَيْبٍ إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّائِكُمْ وَ أَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ وَ اسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ

ص: ١٨٩

وَلْيُصَدِّقْ رَائِدُ أَهْلِهِ وَ لِيُجْمَعَ شَمْلُهُ وَ لِيُحْضَرَ ذِهْنُهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزَهَ وَ قَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ .

الغياهب

الظلمات الواحد غيهب و تتيه بكم تجعلكم تائهين عدى الفعل اللازم بحرف الجر كما تقول فى ذهب ذهبته به و التائه المتحير .

و الكواذب ها هنا الأمانى فحذف الموصوف و أبقى الصفه كقوله إلا بكفى كان من أرمى البشر أى بكفى غلام هذه صفته .

و قوله و لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ أَظْنَهُ مَنقَطَعًا أَيضًا عَنِ الْأَوَّلِ مِثْلَ الْفَصْلِ الَّذِي تَقْدِمُ وَ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ وَ يَلْتَمُّ مَعَهُ لَا مَحَالَةَ وَ يُمْكِنُ عَلَيَّ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا بِمَا هُوَ مَذْكُورٌ هَاهُنَا .

و قوله و لكل غيبه إياب قد قاله عبيد بن الأبرص و استثنى من العموم الموت فقال و كل ذى غيبه يئوب و غائب الموت لا يئوب (١) و هو رأى زنادقه العرب فأما أمير المؤمنين و هو ثانى صاحب الشريعة التى جاءت بعود الموتى فإنه لا يستثنى و يحتمق عبيدا فى استثنائه .

و الربانى الذى أمرهم بالاستماع منه إنما يعنى به نفسه ع و يقال رجل

ص : ١٩٠

١- وَ فِي وَصْفِ الْحَسَنِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع كَانَ وَاللَّهِ رَبَّانِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ ذَا فَضْلِيهَا وَ ذَا قَرَابَتِيهَا وَ ذَا سَابِقَتِيهَا .

ثم قال و أحضروه قلوبكم أى اجعلوا قلوبكم حاضره عنده أى لا- تقنعوا لأنفسكم بحضور الأجساد و غيبه القلوب فإنكم لا تنتفعون بذلك و هتف بكم صاح و الرائد الذى يتقدم المنتجعين لينظر لهم الماء و الكأ و فى المثل الرائد لا يكذب أهله .

و قوله و ليجمع شمله أى و ليجمع عزائمه و أفكاره لينظر فقد فلق هذا الرباني لكم الأمر أى شق ما كان مبهما و فتح ما كان مغلقا كما تفلق الخرز فيعرف باطنها .

و قرفه

أى قشره كما تقشر الصمغ عن عود الشجره و تفلح فعند ذلك أخذ الباطل ماخذه و ركب الجهل مراكبه و عظمت الطاغية و قلت الداعية و صال الدهر صيال السبع العقور و هدر فنيق الباطل بعد كظوم و تواخى الناس على الفجور و تهاجروا على الدين و تحابوا على الكذب و تباغضوا على الصدق فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً و المطر قيظاً و تفيض اللئام فيضاً و تغيض الكرام غيظاً و كان أهل ذلك الزمان ذئاباً و سلاطينه سباعاً و أوساطه أكالا [أكالا]

و ففراؤه أمواتاً و غار الصدق و فاض الكذب و استعملت المودة باللسان و تشاجر الناس بالقلوب و صار الفسوق نسيباً و العفاف عجباً و لبس الإسلام لبس القرو مقلوباً .

تقول أخذ الباطل مأخذه كما تقول عمل عمله أى قوى سلطانه وقهر و مثله ركب الجهل مراكبه .

و عظمت الطاغيه

أى الطغيان فاعله بمعنى المصدر كقوله تعالى لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (١) أى تكذيب و يجوز أن تكون الطاغيه هاهنا صفة فاعل محذوف أى عظمت الفئه الطاغيه و قلت الداعيه مثله أى الفرقة الداعيه .

و صال

حمل و وثب صولا- و صوله يقال ربّ قول أشدّ من صول و الصيال و المصاوله هى المواثبه صايله صيالا و صياله و الفحلان يتصاولان أى يتواثبان .

و الفتيق فحل الإبل و هدر ردد صوته فى حنجرته و إبل هوادر و كذلك هدر بالتشديد تهديرا و فى المثل هو كالمهدر فى العنه يضرب للرجل يصيح و يجلب و ليس وراء ذلك شىء كالبعير الذى يحبس فى العنه و هى الحظيره و يمنع من الضراب و هو يهدر و قال الوليد بن عقبه لمعاويه قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر فى دمشق و لا تريم (٢) .

و الكظوم الإمساك و السكوت كظم البعير يكظم كظوما إذا أمسك الجره و هو كاظم و إبل كظوم لا تجتر و قوم كظم ساكتون .

و تواخى الناس

صاروا إخوه و الأصل تآخى الناس فأبدلت الهمزه واوا كآزرتة أى أعتته و وازرتة.

يقول اصطلاحوا على الفجور و تهاجروا على الدين أى تعادوا و تقاطعوا.

فإن قلت فإن من شعار الصالحين أن يهجروا فى الدين و يعادوا فيه

ص: ١٩٢

(١-١) سورة الواقعة ٢.

(٢-٢) اللسان ١٧٦: ١٥، وقال: «السدم الذى يرغب عن فحلته، فيحال بينه و بين ألافه، و يقيد إذا هاج، فيرعى حوالى الدار».

قلت لم يذهب أمير المؤمنين حيث ظننت و إنما أراد أن صاحب الدين مهجور عندهم لأن صاحب الدين مهجور و صاحب الفجور جار عندهم مجرى الأخ فى الحنو عليه و الحب له لأنه صاحب فجور .

ثم قال كان الولد غيظا أى لكثرة عقوق الأبناء للآباء و صار المطر قيظا يقال إنه من علامات الساعة و أشراتها .

و أوساطه أكالا

أى طعاما يقال ما ذقت أكالا- و فى هذا الموضع إشكال لأنه لم ينقل هذا الحرف إلا فى الجحد خاصه كقولهم ما بها صافر فالأجود الروايه الأخرى و هى أكالا بمد الهمزه على أفعال جمع أكل و هو ما أكل كقفل و أقفال و قد روى أكالا بضم الهمزه على فعال و قالوا إنه جمع أكل للمأكول كعرق و عراق و ظئر و ظؤار إلا- أنه شاذ عن القياس و وزن واحدهما مخالف لوزن واحد أكال لو كان جمعا يقول صار أوساط الناس طعمه للولاه و أصحاب السلاطين و كالفريسه للأسد .

و غار الماء سفلى لنقصه و فاض سال .

و تشاجر الناس

تنازعوا و هى المشاجره و شجر بين القوم إذا اختلف الأمر بينهم و اشتجروا مثل تشاجروا .

و صار الفسوق نسبا

يصير الفاسق صديق الفاسق حتى يكون ذلك كالنسب بينهم و حتى يعجب الناس من العفاف لقلته و عدمه .

و لبس الإسلام لبس الفرو و للعرب عادة بذلك و هى أن تجعل الخمل إلى الجسد و تظهر الجلد و المراد انعكاس الأحكام الإسلاميه فى ذلك الزمان

ص: ١٩٣

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غَنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَ عَزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُمُيُونَ فَتُخْبِرُ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحَشِهِ وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعِهِ وَ لَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَ لَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَحَدْتَ وَ لَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ وَ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ وَ لَا يَزِيدُ أَمْرَكَ مَنْ سَخَطَ قَضَاءَكَ وَ لَا يَسْتَعِينِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ وَ أَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ وَ أَنْتَ الْمَوْعَدُ فَلَا [مُنْجِي]

مُنْجِي مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ نَاصِيَةٌ كُلُّ دَابَّةٍ وَ إِلَيْكَ مَصِيرٌ كُلُّ نَسِيمَةٍ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ مَا أَضْيَعَرُ كُلِّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَ مَا أَهْوَلُ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَ مَا أَحْقَرُ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ وَ مَا أَسْبَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا وَ مَا أَضْعَرَهَا فِي نَعْمِ الْآخِرَةِ .

قال كل شيء خاضع لعظمه الله سبحانه و كل شيء قائم به و هذه هي صفته الخاصه اعني كونه غنيا عن كل شيء و لا شيء من الأشياء يغني عنه أصلا .

ثم قال غني كل فقير و عز كل ذليل و قوه كل ضعيف و مفرع كل ملهوف .

١٦٤٣

جاء في الأثر من اعتز بغير الله ذل و من تكثر بغير الله قل .

١٦٤٤

و كان يُقال ليس فقيرا من استغنى بالله .

١٦٤٥

و قال الحسن و اعجابا للوط نبي الله قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلي ركن شديد (١) أ تراه أراد ركننا أشد و أقوى من الله .

و استدلل العلماء على ثبوت الصانع سبحانه بما دل عليه فحوى قوله ع و مفرع كل ملهوف و ذلك أن النفوس ببدائها تفرع عند الشدائد و الخطوب الطارقه إلى الالتجاء إلى خالقها و بارئها أ لا- ترى راكبي السفينه عند تلاطم الأمواج كيف يجأرون إليه سبحانه اضطرارا لا اختيارا فدل ذلك على أن العلم به مركز في النفس قال سبحانه و إذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه (٢) .

ثم قال ع من تكلم سمع نطقه و من سكت علم سره يعني أنه يعلم ما ظهر و ما بطن .

ثم قال و من عاش فعليه رزقه و من مات فإليه منقلبه أي هو مدير الدنيا و الآخرة و الحاكم فيهما .

ثم انتقل عن الغيبه إلى الخطاب فقال لم ترك العيون

ص: ١٩٥

١-١) سورة هود ٨٠.

٢-٢) سورة الإسراء ٦٧.

واعلم أن باب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان و أكثر ما يقع ذلك إذا اشتدت عنايه المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه كقوله سبحانه أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ فَأَخْبِرَ عَنْ غَائِبٍ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى خُطَابِ الْحَاضِرِ فَقَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالُوا لِأَن مَنزِلَهُ الْحَمْدُ دُونَ مَنزِلِهِ الْعِبَادَةُ فَإِنَّكَ تَحْمَدُ نَظِيرَكَ وَ لَا تَعْبُدُهُ فَجَعَلَ الْحَمْدَ لِلْغَائِبِ وَ جَعَلَ الْعِبَادَةَ لِحَاضِرٍ يَخَاطَبُ بِالْكَافِ لِأَن كَافَ الْخُطَابِ أَشَدَّ تَصْرِيحًا بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ الْأَخْبَارِ بَلْفِظِ الْغَيْبَةِ قَالُوا وَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فَأَسْنَدَ النِّعْمَةَ إِلَى مَخَاطَبِ حَاضِرٍ وَ قَالَ فِي الْغَضَبِ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فَأَسْنَدَهُ إِلَى فَاعِلٍ غَيْرِ مَسْمُومٍ وَ لَا مَعِينٍ وَ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَالَ لَمْ تَغْضَبْ عَلَيْهِمْ وَ فِي النِّعْمَةِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

و من هذا الباب قوله تعالى وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا فَأَخْبِرَ بِقَالُوا عَنْ غَائِبِينَ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (١) فَأَتَى بَلْفِظِ الْخُطَابِ اسْتِعْظَامًا لِلأَمْرِ كَالْمَنْكَرِ عَلَى قَوْمِ حَاضِرِينَ عِنْدَهُ.

و من الانتقال عن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ... (٢) الْآيَةَ.

ص: ١٩٦

١-١) سورة مريم ٨٨، ٨٩.

٢-٢) سورة يونس ٢٢.

و فائده ذلك أنه صرف الكلام من خطاب الحاضرين إلى أخبار قوم آخرين بحالهم كأنه يعدد على أولئك ذنوبهم و يشرح لهؤلاء بغيهم و عنادهم الحق و يقبح عندهم ما فعلوه و يقول ألا- تعجبون من حالهم كيف دعونا فلما رحمناهم و استجبنا دعاءهم عادوا إلى بغيهم و هذه الفائدة لو كانت الآيه كلها على صيغه خطاب الحاضر مفقوده قال ع ما رأيتك العيون فتخبر عنك كما يخبر الإنسان عما شاهده بل أنت أزلّي قديم موجود قبل الواصفين لك .

فإن قلت فأى منافاه بين هذين الأمرين أ ليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له و مع ذلك يدرك بالأبصار إذا خلق خلقه ثم يصفونه رأى عين قلت بل هاهنا منافاه ظاهره و ذلك لأنه إذا كان قديما لم يكن جسما و لا عرضا و ما ليس بجسم و لا عرض تستحيل رؤيته فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهده .

ثم ذكر ع أنه لم يخلق الخلق لاستيحاشه و تفرده و لا استعملهم بالعباده لنفعه و قد تقدم شرح هذا .

ثم قال لا تطلب أحدا فيسبقك أى يفوتك و لا يفلتك من أخذته .

فإن قلت أى فائده فى قوله و لا يفلتك من أخذته لأن عدم الإفلات هو الأخذ فكأنه قال لا يفلتك من لم يفلتك قلت المراد أن من أخذت لا يستطيع أن يفلت كما يستطيع المأخوذون مع ملوك الدنيا أن يفلتوا بحيله من الحيل .

فإن قلت أفلت فعل لازم فما باله عداه .

قلت تقدير الكلام لا يفلت منك فحذف حرف الجر كما قالوا استجبتك أى استجبت لك قال

فلم يستجبه عند ذاك مجيب (١).

وقالوا استغفرت الله الذنوب أى من الذنوب وقال الشاعر أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل قوله ع و لا- يرد أمرك من سخط قضاءك و لا- يستغنى عنك من تولى عن أمرك تحته سر عظيم و هو قول أصحابنا فى جواب قول المجبره لو وقع منا ما لا يريد لاقضى ذلك نقصه إنّه لا نقص فى ذلك لأنّه لا يريد الطاعات منا إرادته قهر و إلقاء و لو أرادها إرادته قهر لوقعت و غلبت إرادته إرادتنا و لكنه تعالى أراد منا أن نفعل نحن الطاعة اختيارا فلا يدلّ عدم وقوعها منا على نقصه و ضعفه كما لا يدلّ بالاتفاق بيننا و بينكم عدم وقوع ما أمر به على ضعفه و نقصه .

ثمّ قال ع كل سر عندك علانيه أى لا يختلف الحال عليه فى الإحاطه بالجهر و السر لأنّه عالم لذاته و نسبه ذاته إلى كل الأمور واحده .

ثمّ قال أنت الأبد فلا أمد لك هذا كلام علوى شريف لا يفهمه إلاّ الراسخون فى العلم و فيه سمه من

١٦٤٦

قَوْلُ النَّبِيِّ ص لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ.

و فى مناجاه الحكماء لمحّه منه أيضا و هو قولهم أنت الأزل السرمد و أنت الأبد الذى لا ينفد بل قولهم أنت الأبد الذى لا ينفد هو قوله أنت الأبد فلا أمد لك بعينه و نحن نشرحه هاهنا على موضوع هذا الكتاب فإنّه كتاب أدب لا كتاب نظر فنقول إن له فى العريه محملين أحدهما أن المراد به أنت ذو الأبد كما قالوا رجل خال أى ذو خال و الخال الخيلاء و رجل داء أى به داء و رجل

ص: ١٩٨

١- ١) صدره: * و داع دعا يا من يجيب إلى الندى * أمالى الفالى ٢: ١٥١، من قصيده لكعب بن سعد الغنوى يرثى بها أبا المغوار.

مال أى ذو مال و المحمل الثانى أنه لما كان الأزل و الأبد لا ينفكان عن وجوده سبحانه جعله ع كأنه أحدهما بعينه كقولهم أنت الطلاق لما أراد المبالغه فى الينونه جعلها كأنها الطلاق نفسه و مثله قول الشاعر فإن المندى رحله فركوب (١) و قال أبو الفتح فى الدمشقيات استدل أبو على على صرف منى للموضع المخصوص بأنه مصدر منى يمنى قال فقلت له أ تستدل بهذا على أنه مذكر لأن المصدر إلى التذكير فقال نعم فقلت فما تنكر ألا يكون فيه دلالة عليه لأنه لا ينكر أن يكون مذكر سمي به البقعه المؤنثه فلا ينصرف كما مرأه سميتها بحجر و جبل و شيع و معى فقال إنما ذهبت إلى ذلك لأنه جعل كأنه المصدر بعينه لكثره ما يعانى فيه ذلك فقلت الآن نعم.

و من هذا الباب قوله فإنما هى إقبال و إدبار (٢).

و قوله و هن من الإخلاف قبلك و المطل .

و قوله فلا- منجى منك إلا- إليك قد أخذه الفرزدق فقال لمعاويه إليك فررت منك و من زياد و لم أحسب دمي لكما حالالا (٣) ثم استعظم و استهول خلقه الذى يراه و ملكوته الذى يشاهده و استصغر و استحققر

ص: ١٩٩

١- ١) لعلقمه و صدره: *تراد على دمن الحياض فإن تعف*

٢- ٢) للخساء، ديوانها ٧٨، و صدره: *ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت*

٣- ٣) ديوانه ٦٠٨: ٢.

ذلك بالإضافة إلى قدرته تعالى و إلى ما غاب عنا من سلطانه ثم تعجب من سبوغ نعمه تعالى فى الدنيا و استصغر ذلك بالنسبه إلى نعم الآخره و هذا حق لأنه لا نسبه للمتناهى إلى غير المتناهى منها:

مِنْ مَلَائِكِهِ أَسْكَنَتْهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَ أَخَوْفُهُمْ لَكَ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَ لَحْمٌ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ وَ لَحْمٌ يُخْلَقُوا مِنْ مِيَاءٍ مَهِينٍ وَ لَمْ يَتَشَعْجَهُمْ رَبُّبِ الْمُنُونِ وَ إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ وَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَ اسْتِجْمَاعَ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ وَ كَثْرَةَ طَاعَتِهِمْ لَكَ وَ قَلِيلَهُ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لِحَقِّقُوا أَعْمَالَهُمْ وَ لَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَعَرَفُوا أَنََّّهُمْ لَمْ يَعْبُدُواكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَ لَمْ يُطِيعُواكَ حَقَّ طَاعَتِكَ سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَ مَعْبُودًا بِحَسَنِ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَارًا وَ جَعَلْتَ فِيهَا مَأْدِبَهُ مَشْرَبًا وَ مَطْعَمًا وَ أَرْوَاجًا وَ خَدَمًا وَ قُصُورًا وَ أَنْهَارًا وَ زُرُوعًا وَ ثِمَارًا ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَ لَا فِيهَا رَغَبَتْ رَغَبُوا وَ لَا إِلَى مَا شَوَّقَتْ إِلَيْهِ اسْتَأْقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جِيفِهِ قَدْ افْتَضَّحُوا بِأَكْلِهَا وَ اضْطَلَّحُوا عَلَى حُبِّهَا وَ مَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعَشَى بَصِيرَهُ وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ (١) يَنْظُرُ بَعِينٍ غَيْرِ صَاحِبِهِ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعِهِ قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَ أَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَ لِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَ حَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَا يَنْزِجُ مِنَ اللَّهِ بَرَّاجِرٍ وَ لَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ وَ هُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ

ص: ٢٠٠

(١ - ١) ساقطه من ب.

عَلَى الْغَرَّةِ حَيْثُ لَا- إِقَالَهَ لَهُمْ وَ لَا- رَجَعَهُ كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مِمَّا كَانُوا يَجْهَلُونَ وَ جَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ وَ قَدِمُوا مِنْ
الْآخِرَةِ عَلَى مِمَّا كَانُوا يُوعِدُونَ فَغَيَّرَ مَوْصُوفٍ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَيِّئَةُ الْمَوْتِ وَ حَسِيرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَّرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ وَ
تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَ لُوجًا فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصِيرِهِ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى
صِحِّهِ مِنْ عَقْلِهِ وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَفْنَى عُمْرِهِ وَ فِيهِمْ أَذْهَبَ دَهْرُهُ وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا- جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا وَ أَخَذَهَا مِنْ
مُصْرَحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا قَدْ لَزِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا تَبَقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ [يُنْعَمُونَ]

يُنْعَمُونَ فِيهَا وَ يَتَمَنَّوْنَ بِهَا فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَ الْعَبَاءُ عَلَى ظَهْرِهِ وَ الْمَرْءُ قَدْ غَلَقَتْ رُهُونُهُ بِهَا فَهُوَ يَعِضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ
لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ وَ يَزْهَدُ فِيهَا كَمَا كَانَ يَزْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَارَهَا دُونَهُ فَلَمْ
يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ فَصَادَرَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا- يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَ لَا- يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ يُرَدُّ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي
وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَ لَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ التَّيَاطُبَ بِهِ [فَقَبَضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبَضَ سَمْعَهُ]

فَقَبَضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبَضَ سَمْعَهُ وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ قَدْ [أَوْحَشُوا]

وَ حَشُوا مِنْ جَانِبِهِ وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ لَا- يُسْعِدُ بَاكِيًا وَ لَا- يُجِيبُ دَاعِيًا ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطِّ فِي الْأَرْضِ فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ وَ
تَفَطَّعُوا عَنْ زُورَتِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ الْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ وَ أَلْحَقَ آخِرَ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ
أَمَادَ السَّمَاءِ وَ فَطَرَهَا وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا وَ دَكَّ بَعْضَهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَ مَخُوفِ سَطَوَاتِهِ وَ أَخْرَجَ
مِنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ وَ جَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ

مَسِيئَاتِهِمْ عَنِ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ حَيْثُ لَا يَظَعْنَ النَّزَالَ وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحِيَالُ وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْرَاحُ وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسِيْقَامُ وَلَا تَغْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ وَلَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ وَالْبَسَهُمُ سَرَائِيلَ الْقَطْرَانِ وَمُقَطَّعَاتِ النَّيْرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَيَابٍ قَدِ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيْفٌ هَائِلٌ لَا يَظَعْنَ مُقِيمَهَا وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا لَا مَدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنِي وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى.

هذا موضع المثل في كل شجره نار و استمجد المرخ و العفار الخطب الوعظيه الحسان كثيره و لكن هذا حديث يأكل الأحاديث محاسن أصناف المغنين جمه و ما قصابات السبق إلا لمعبد.

من أراد أن يتعلم الفصاحة و البلاغه و يعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليأمل هذه الخطبه فإن نسبتها إلى كل فصيح من الكلام عدا كلام الله و رسوله نسبه الكواكب المنيره الفلكيه إلى الحجاره المظلمه الأرضيه ثم لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء و الجلاله و الرواء و الديقاجه و ما تحدثه من الروعه و الرهبه و المخافه و الخشيه حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على اعتقاد نفى البعث و النشور لهدت قواه و أرعبت قلبه و أضعفت على نفسه و زلزلت اعتقاده فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل

ما جرى به وليا من أوليائه فما أبلغ نصرته له تاره بيده و سيفه و تاره بلسانه و نطقه و تاره بقلبه و فكره إن قيل جهاد و حرب فهو سيد المجاهدين و المحاربين و إن قيل وعظ و تذكير فهو أبلغ الواعظين و المذكرين و إن قيل فقه و تفسير فهو رئيس الفقهاء و المفسرين و إن قيل عدل و توحيد فهو إمام أهل العدل و الموحدين ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد (١).

ثم نعود إلى الشرح فنقول قوله ع أسكنتهم سماواتك لا- يقتضى أن جميع الملائكة في السماوات فإنه قد ثبت أن الكرام الكاتبين في الأرض و إنما لم يقتض ذلك لأن قوله من ملائكة ليس من صيغ العموم فإنه نكره في سياق الإثبات و قد قيل أيضا إن ملائكة الأرض تعرج إلى السماء و مسكنها بها و يتناوبون على أهل الأرض .

قوله هم أعلم خلقك بك ليس يعنى به أنهم يعلمون من ماهيته تعالى ما لا يعلمه البشر أما على قول المتكلمين فلأن ذاته تعالى معلومه للبشر و العلم لا- يقبل الأشد و الأضعف و أمّا على قول الحكماء فلأن ذاته تعالى غير معلومه للبشر و لا- للملائكة و يستحيل أن تكون معلومه لأحد منهم فلم يبق وجه يحمل عليه قوله ع هم أعلم خلقك بك إلا- أنهم يعلمون من تفاصيل مخلوقاته و تدبيراته ما لا- يعلمه غيرهم كما يقال وزير الملك أعلم بالملك من الرعيه ليس المراد أنه أعلم بذاته و ماهيته بل بأفعاله و تدبيره و مراده و غرضه .

قوله و أخوفهم لك لأن قوتى الشهوه و الغضب مرفوعتان عنهم و هما منبع

ص: ٢٠٣

الشر و بهما يقع الطمع و الإقدام على المعاصى و أيضا فإن منهم من يشاهد الجنه و النار عيانا فيكون أخوف لأنه ليس الخبر كالعيان .

قوله و أقربهم منك لا يريد القرب المكانى لأنه تعالى منزه عن المكان و الجبهه بل المراد كثره الثواب و زياده التعظيم و التبجيل و هذا يدل على صحه مذهب أصحابنا فى أن الملائكه أفضل من الأنبياء .

ثم نبه على مزيه لهم تقتضى أفضليه جنسهم على جنس البشر بمعنى الأشرفيه لا- بمعنى زياده الثواب و هو قوله لم يسكنوا الأصلاب و لم يضمّنوا الأرحام و لم يخلقوا من ماء مهين و لم يتشعبهم ريب المنون و هذه خصائص أربع فالأولى أنهم لم يسكنوا الأصلاب و البشر سكنوا الأصلاب و لا شبهه أن ما ارتفع عن مخالطه الصوره اللحميه و الدمويه أشرف ممّا خالطها و مازجها.

و الثانيه أنهم لم يضمّنوا الأرحام و لا شبهه أن من لم يخرج من ذلك الموضع المستقدر أشرف ممن خرج منه و كان أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن كامكاو بن يزدجرد بن شهريار يفخر على أبناء الملوك بأنه لم يخرج من بضع امرأه لأن أمه ماتت و هى حامل به فشق بطنها عنه و أخرج قال أبو الريحان البيرونى فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخاليه عن هذا الرجل أنه كان يتيه على الناس و إذا شتم أحدا قال ابن البضع قال أبو الريحان و أول من اتفق له ذلك الملك المعروف بأغسطس ملك الروم و هو أول من سمى فيهم قيصر لأن تفسير قيصر بلغتهم شق عنه و أيامه تاريخ كما أن أيام الإسكندر تاريخ لعظمه و جلالته عندهم.

و الثالثه أنهم لم يخلقوا من ماء مهين و قد نص القرآن العزيز على أنه مهين و كفى ذلك فى تحقيره و وضعته فهم لا- محاله أشرف ممن خلق منه لا سيما و قد ذهب كثير من العلماء إلى نجاسته.

و الرابعه أنهم لا- يتشعبهم المنيه و لا ريب أن من لا تتطرق إليه الأسقام و الأمراض و لا يموت أشرف ممن هو فى كل ساعه و لحظه بعرض سقام و بصدد موت و حمام.

و اعلم أن مسأله تفضيل الملائكه على الأنبياء لها صورتان إحداهما أن أفضل بمعنى كونهم أكثر ثوابا و الأخرى كونهم أفضل بمعنى أشرف كما تقول إن الفلك أفضل من الأرض أى إن الجواهر الذى منه جسميه الفلك أشرف من الجواهر الذى منه جسميه الأرض.

و هذه المزاي الأربع داله على تفضيل الملائكه بهذا الاعتبار الثانى.

قوله ع يتشعبهم ريب المنون أى يتقسمهم و الشعب التفريق و منه قيل للمنيه شعوب لأنها تفرق الجماعات و ريب المنون حوادث الدهر و أصل الريب ما راب الإنسان أى جاءه بما يكره و المنون الدهر نفسه و المنون أيضا المنيه لأنها تمن المده أى تقطعها و المن القطع و منه قوله تعالى لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (١).

و قال لبيد غبس كواسب لا يمن طعامها (٢). ثم ذكر أنهم كثره عبادتهم و إخلاصهم لو عاينوا كنه ما خفى عليهم من البارئ تعالى لحقروا أعمالهم و زروا على أنفسهم أى عابوها تقول زريت على فلان أى عبته و أزريت بفلان أى قصرت به.

ص: ٢٠٥

١-١) سورة فصلت ٨.

٢-٢) صدره: *لمعفر قهد تنازع شلوه* المعفر: الذى سحب فى العفر؛ و هو التراب. و القهد: الأبيض. و العبس: الذئاب، و العبسه لون فيه شبيه بالغيره، و كواسب: تكسب الصيد. و قوله: «ما يمن طعامها»، أى ما ينقص. (المعلقات بشرح التبريزى ١٤٥).

فإن قلت ما هذا الكنه الذى خفى عن الملائكة حتى قال لو عاينوه لحقروا عبادتهم و لعلموا أنهم قد قصرُوا فيها قلت إن علوم الملائكة بالبارئ تعالى نظريه كعلوم البشر و العلوم النظرية دون العلوم الضرورية فى الجلاء و الوضوح فأمر المؤمنين ع يقول لو كانت علومهم بك و بصفاتك إثباتيه و السليبه و الإضافيه ضروريه عوض علومهم هذه المتحققه الآن التى هى نظريه و لا نكشف لهم ما ليس الآن على حدّ ذلك الكشف و الوضوح و لا شبهه أن العباده و الخدمه على قدر المعرفه بالمعبود فكُلما كان العابد به أعرف كانت عبادته له أعظم و لا شبهه أن العظيم عند الأعظم حقير .

فإن قلت فما معنى قوله و استجماع أهوائهم فيك و هل للملائكة هوى و هل تستعمل الأهواء إلا فى الباطل قلت الهوى الحب و ميل النفس و قد يكون فى باطل و حقّ و إنما يحمل على أحدهما بالقرينه و الأهواء تستعمل فيهما و معنى استجماع أهوائهم فيه أن دواعيهم إلى طاعته و خدمته لا تنازعها الصوارف و كانت مجتمعه مائله إلى شق واحد .

فإن قلت الباء فى قوله بحسن بلائك بما ذا تتعلق قلت الباء هاهنا للتعليل بمعنى اللام كقوله تعالى ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ (١) أى لأنهم فتكون متعلقه بما فى سبحانك من معنى الفعل أى أسبحك لحسن بلائك و يجوز أن تتعلق بمعبود أى يعبد لذلك .

ثم قال خلقت دارا يعنى الجنه و المأدبه و المأدبه بفتح الدال و ضمها الطعام الذى يدعى الإنسان إليه أدب زيد القوم يأدبهم بالكسر أى دعاهم إلى طعامه و الآدب الداعى إلى طعامه قال طرفه

ص: ٢٠٦

نحن فى المشتاه ندعو الجفلى

لا ترى الآدب فىنا ينتقر (١)

و فى هذا الكلام دلالة على أن الجنة الآن مخلوقه و هو مذهب أكثر أصحابنا .

و معنى قوله و زروعا أى و غروسا من الشجر يقال زرت الشجر كما يقال زرت البر و الشعير و يجوز أن يقال الزروع جمع زرع و هو الإنبات يقال زرعه الله أى أنبتة و منه قوله تعالى أَفَرَأَيْتُمْ مِمَّا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٢) و لو قال قائل إن فى الجنة زروعا من البر و القطنيه (٣) لم يبعد .

قوله ثم أرسلت داعيا يعنى الأنبياء و أقبلوا على جيفه يعنى الدنيا و من كلام الحسن رضى الله عنه إنما يتهارشون على جيفه .

و إلى قوله و من عشق شيئا أعشى بصره نظر الشاعر فقال و عين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدى المساويا (٤) و قيل لحكيم ما بال الناس لا يرون عيب أنفسهم كما يرون عيب غيرهم قال إن الإنسان عاشق لنفسه و العاشق لا يرى عيوب المعشوق .

قد خرقت الشهوات عقله

أى أفسدته كما تخرق الثوب فيفسد .

و إلى قوله فهو عبد لها و لمن فى يديه شىء منها نظر ابن دريد فقال عبيد ذى المال و إن لم يطمعوا

ص: ٢٠٧

١- ١) ديوانه ٦٨.المشتاه: يريد الشتاء و البرد، و الجفلى: أن يعم بدعوته إلى طعام و لا يخص أحدا و الانتقار، أن يدعو النقرى، و هى أن يخصهم و لا يعمهم.

٢- ٢) سوره الواقعه ٦٤، ٦٣.

٣- ٣) القطنيه: ما سوى الحنطه و الشعير و الزبيب و التمر. القاموس.

٤- ٤) لعبد الله بن معاويه، زهر الآداب ٨٥.

و إلى قوله حيثما زالت زال إليها و حيثما أقبلت أقبل عليها نظر الشاعر فقال ما الناس إلا مع الدنيا و صاحبها

و الغره الاغترار و الغفله و الغار الغافل و قد اغتررت بالرجل و اغتره زيد أى أتاه على غره منه و يجوز أن يعنى بقوله المأخوذين على الغره الحداثه و الشيبه يقول كان ذلك فى غرارتى و غرتى أى فى حداثتى و صبأى .

قوله سكره الموت و حسره الفوت أى الحسره على ما فاتهم من الدنيا و لذتها و الحسره على ما فاتهم من التوبه و الندم و استدراك فارط المعاصى .

و الولوج الدخول و لج يلج .

قوله و بقاء من لبه أى لبه باق لم يعدم و يروى و نقاء بالنون و النقاء النظافه أى لبه غير مغمور .

أغمض فى مطالبها

أى تساهل فى دينه فى اكتسابه إياها أى كان يفنى نفسه بتأويلات ضعيفه فى استحلال تلك المطالب و المكاسب فذاك هو الإغماض قال تعالى وَ لَسِيْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ (١) و يمكن أن يحمل على وجه آخر و هو أنه قد كان يحتال بحيل غامضه دقيقه فى تلك المطالب حتى حصلها و اكتسبها .

قوله ع و أخذها من مصرحاتها و مشتبهاتها أى من وجوه مباحه و ذوات شبهه و هذا يؤكد المحمل الأول فى أغمض .

و التبعات الآثام الواحده تبعه و مثلها التباعه قال

ص: ٢٠٨

لم يحذروا من ربهم

سوء العواقب و التباعه (١) .

و المهناً المصدر من هنئ الطعام و هنؤ بالكسر و الضم مثل فقه و فقه فإن كسرت قلت يهنأ و إن ضممت قلت يهنؤ و المصدر هناه و مهناً أى صار هنيئاً و هنأنى الطعام يهنؤنى و يهنئنى و لا نظير له فى المهموز هنأ و هناه و هنئت الطعام أى تهنأت به و منه قوله تعالى فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٢) .

و العبء الحمل و الجمع أعباء .

و غلق الرهن أى استحققه المرتهن و ذلك إذا لم يفتكك فى الوقت المشروط قال زهير و فارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا (٣) .

فإن قلت فما معنى قوله ع قد غلقت رهونه بها فى هذا الموضع قلت لما كان قد شارف الرحيل و أشفى على الفراق و صارت تلك الأموال التى جمعها مستحقه لغيره و لم يبق له فيها تصرف أشبهت الرهن الذى غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقاً له و صار مستحقاً لغيره و هو المرتهن .

و أصحرا انكشف و أصله الخروج إلى الصحراء و البروز من المكنن .

رجع كلامهم ما يتراجعونه بينهم (٤) من الكلام ازداد الموت التياطا به أى التصاقاً قد أوحشوا أى جعلوا مستوحشين و المستوحش المهموم الفزع و يروى أوحشوا من جانبه أى خلوا منه و أففروا تقول قد أوحش المنزل من أهله أى أففروا .

و خلا إلى مخط فى الأرض أى إلى خطّ سماه مخطاً أو خطاً لدقته يعنى اللحد

ص: ٢٠٩

١- (١) اللسان ٢٨٥:٩، و قبله: أكلت حنيفه ربّها زمن التّفحّم و المجاعه.

٢- (٢) سورة النساء ٤.

٣- (٣) ديوانه ٣٣.

٤- (٤) ساقطه من ب.

و يروى إلى محط بالحاء المهمله و هو المنزل و حط القوم أى نزلوا .

و ألحق آخر الخلق بأوله

أى تساوى الكل فى شمول الموت و الفناء لهم فالتحق الآخر بالأول .

أما السماء

حركها و يروى أمار و الموران الحركه و فطرها شقها و أرج الأرض زلزلها تقول رجت الأرض و أرجها الله و يجوز رجاها و قد روى رج الأرض بغير همزه و هو الأصح و عليه ورد القرآن إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (١) .

أرجفها

جعلها راجفه أى مرتعده متزلزله رجفت الأرض ترجف و الرجفان الاضطراب الشديد و سمى البحر رجافا لاضطرابه قال الشاعر حتى تغيب الشمس فى الرجاف (٢) .

و نسفها

قلعها من أصولها و دك بعضها بعضا صدمه و دقه حتى يكسره و يسويه بالأرض و منه قوله سبحانه وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (٣) .

ميزهم

أى فصل بينهم فجعلهم فريقين سعداء و أشقياء و منه قوله تعالى وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٤) أى انفصلوا من أهل الطاعة .

يظعن

يرحل تنوبهم الأفرع تعاودهم و تعرض لهم الأخطار جمع خطر و هو ما يشرف به على الهلكه.

ص: ٢١٠

١- (١) سورة الواقعة ٤.

٢- (٢) لمطروود بن كعب الخزاعى، من أبيات يرثى فيها عبد المطلب؛ أوردها صاحب اللسان ١١:١٢ و ابن هشام ١:١١٧ (على هامش الروض الأنف) و صدره: *المطعمون اللحم كلّ عشيه*

٣- (٣) سورة الحاقه ١٤.

٤- (٤) سورة يس ٥٩.

و تشخصهم الأسفار تخرجهم من منزل إلى منزل شخص الرجل و أشخصه غيره و غل الأيدي جعلها فى الأغلال جمع غل بالضم و هو القيد و القطران الهناء قطرت البعير أى طليته بالقطران قال كما قطر المهنوء الرجل الطالى (١) و بعير مقطور و هذا من الألفاظ القرآنيه قال تعالى سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَ تَغَشَّىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ (٢) و المعنى أن النار إلى القطران سريعه جدا .

و مقطعات النيران

أى ثياب من النيران قد قطعت و فصلت لهم و قيل المقطعات قصار الثياب و الكلب الشده و الجلب و اللجب الصوت و القصيف الصوت الشديد .

لا يقصم كبولها

لا يكسر قيودها الواحد كبل .

ثم ذكر أن عذابهم سرمدى و أنه لا نهايه له نعوذ بالله من عذاب ساعه واحده فكيف من العذاب الأبدى

موازنه بين كلام الإمام على و خطب ابن نباته

و نحن نذكر فى هذا الموضوع فصولا من خطب الخطيب الفاضل عبد الرحيم بن نباته رحمه الله و هو الفائز بقصبات السبق من الخطباء و للناس غرام عظيم بخطبه و كلامه ليتأمل الناظر كلام أمير المؤمنين ع فى خطبه و مواعظه و كلام هذا الخطيب المتأخر

ص: ٢١١

١-١) لامرئ القيس، ديوانه ٣٣، و صدره: *أ يقتلنى و قد شغفت فؤادها*

٢-٢) سورة إبراهيم ٥٠.

الذى قد وقع الإجماع على خطابه و حسنها و أن مواعظه هى الغايه التى ليس بعدها غايه فمن ذلك قوله أيها الناس تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل و ابرزوا فقد قربت لكم نوق التحويل و دعوا التمسك بخدع الأباطيل و الركون إلى التسوية و التعليل فقد سمعتم ما كرر الله عليكم من قصص أبناء القرى و ما وعظكم به من مصارع من سلف من الورى مما لا يعترض لذوى البصائر فيه شك و لا مرا و أنتم معرضون عنه إعراضكم عما يختلق و يفترى حتى كان ما تعلمون منه أضغاث أحلام الكرى و أيدي المنايا قد فصمت من أعماركم أوثق العرى و هجمت بكم على هول مطلع كرية القرى فالقهقرى رحمكم الله عن حبال العطب القهقرى و اقطعوا مفاوز الهلكات بمواصله السرى و قفوا على أحداث المنزلين من شناخيب الذرى المنجلين بوازع أم حيوكرى المشغولين بما عليهم من الموت جرى و اكشفوا عن الوجوه المنعمه أطباق الثرى تجدوا ما بقى منها عبره لمن يرى فرحم الله امرأ رحم نفسه فبكاها و جعل منها إليها مشتكاها قبل أن تعلق به خطاطيف المنون و تصدق فيه أراجيف الظنون و تشرق عليه بمائها مقل العيون و يلحق بمن دثر من القرون قبل أن يبدوا على المناكب محمولا و يغدو إلى محل المصائب منقولا و يكون عن الواجب مسئولا و بالقدوم على الطالب الغالب مشغولا هناك يرفع الحجاب و يوضع الكتاب و تقطع الأسباب و تذهب الأحساب و يمنع الإعتاب و يجمع من حقّ عليه العقاب و من وجب له الثواب فيضرب بينهم بسور له بابٌ باطنه فيه الرّحمه و ظاهره من قبلة العذاب .

فلينظر المنصف هذا الكلام و ما عليه من أثر التوليد أولا بالنسبه إلى ذلك الكلام العربى المحض ثم لينظر فيما عليه من الكسل و الرخاوه و الفتور و البلاده حتى كأن ذلك

الكلام لعامر بن الطفيل (١) مستلثما شكته (٢) راكبا جواده و هذا الكلام للدلال المديني (٣) المخنث آخذا زمارته متأبطا دفة.

و المح ما فى بوق الرحيل من السفسفه و اللفظ العامى الغث و اعلم أنهم كلهم عابوا على أبى الطيب قوله فإن كان بعض الناس سيفا لدوله ففى الناس بوقات لها و طول (٤) و قالوا لا تدخل لفظه بوق فى كلام يفلح أبدا.

و المح ما على قوله القهقرى القهقرى متكرره من الهجنه و أهجن منها أم حبوكرى (٥) و أين هذا اللفظ الحوشى الذى تفوح منه روائح الشيخ و القيصوم و كآئه من أعرابى قح قد قدم من نجد لا يفهم محاوره أهل الحضر و لا أهل الحضر يفهمون حوارهم من هذه الخطبه اللينه الألفاظ التى تكاد أن تتثنى من لينها و تتساقط من ضعفها ثم المح هذه الفقر و السجعات التى أولها القرى ثم المر ثم يفتري ثم الكرى إلى قوله عبره لمن يرى هل ترى تحت هذا الكلام معنى لطيفا أو مقصدا رشيقا أو هل تجد اللفظ نفسه لفظا جزلا فصيحاً أو عذبا معسولا و إنما هى ألفاظ قد ضم بعضها إلى بعض و الطائل تحتها قليل جدا و تأمل لفظه مرا فإنها ممدوده فى اللغة فإن كان قصرها فقد ركب ضروره مستهجنه و إن أراد جمع مريه فقد خرج

ص: ٢١٣

١-١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى، ابن عم لييد؛ أحد فرسان العرب و فتاكهم. و انظر أخباره فى خزانه الأدب ١:٤٧٣.

٢-٢) الشكه بالكسر: السلاح.

٣-٣) الدلال المديني، و اسمه ناقد، و كنيته أبو زيد، كان من أهل المدينه، و أحد ظرفاء ثلاثه كانوا بها: طويس، و الدلال، و هنب، كان هنب أقدمهم، و الدلال أصغرهم؛ و انظر أخباره فى الأغاني ٤: ٢٦٩-٣٠١.

٤-٤) ديوانه ٣: ١٠٨.

٥-٥) أم حبوكرى: من أسماء الداهيه عندهم.

عن الصنائه لأنه يكون قد عطف الجمع المفرد فيصير مثل قول القائل ما أخذت منه ديناراً ولا دراهم في أنه ليس بالمستحسن في فن البيان.

و من ذلك قوله أيها الناس حصص الحق فما من الحق مناص و أشخص الخلق فما لأحد من الخلق خلاص و أنتم على ما يباعدكم من الله حراص و لكم على موارد الهلكه اغتصاص و فيكم عن مقاصد البركه انتكاص كأنّ ليس أمامكم جزاء و لا قصاص و لجوارح الموت في وحش نفوسكم اقتناص ليس بها عليها تأب و لا اعتياص.

فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحه و البيان هذا الكلام بعين الإنصاف يعلموا أن سطرًا واحدًا من كلام نهج البلاغه يساوى ألف سطر منه بل يزيد و يربى على ذلك فإن هذا الكلام ملزق عليه آثار كلفه و هجته ظاهره يعرفها العامي فضلًا عن العالم.

و من هذه الخطبه فاهجروا رحمكم الله و ثير المراقد و ادخروا طيب المكتسب تخلصوا من انتقاد الناقد و اغتنموا فسحة المهل قبل انسداد المقاصد و اقتحموا سبل الآخرة على قله المرافق و المساعد.

فهل يجد متصفح الكلام لهذا الفصل عذوبه أو معنى يمدح الكلام لأجله و هل هو إلا ألفاظ مضموم بعضها إلى بعض ليس لها حاصل كما قيل في شعر ذى الرمه بعر ظباء و نقط عروس (١) و من ذلك قوله فيا له من واقع في كرب الحشارج مصارع لسكرات الموت معالج حتى درج على تلك المدارج و قدم بصحيفته على ذى المعارج.

ص: ٢١٤

١-١) من كلام جرير في وصف شعر ذى الرمه، و انظر الموشح للمرزباني ١٧١.

و غير خاف ما فى هذا الكلام من التكلف.

و من ذلك قوله فكأنكم بمنادى الرحيل قد نادى فى أهل الإقامه فاقترحوا بالصغار محجه القيامه يتلو الأوائل منهم الأواخر و يتبع الأكاير منهم الأصاغر و يلتحق الغوامر من ديارهم بالغوامر حتى تبتلع جميعهم الحفر و المقابر.

فإن هذا الكلام ركيك جدا لو قاله خطيب من خطباء قرى السواد لم يستحسن منه بل ترك و استرذل.

و لعلّ عائبا يعيب علينا فيقول شرعتم فى المقايسه و الموازنه بين كلام أمير المؤمنين ع و بين كلام ابن نباته و هل هذا إلا بمنزله قول من يقول السيف أمضى من العصا و فى هذه غضاظه على السيف فنقول إنه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسه بين كلام الله تعالى و بين كلام البشر لبيّنوا فضل القرآن و زياده فصاحته على فصاحه كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعالى وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ (١) و بين قول القائل القتل أنفى للقتل و نحو مقايستهم بين قوله تعالى خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (٢) و بين قول الشاعر فإن عرضوا بالشر فاصفح تكرما و إن كتموا عنك الحديث فلا تسل.

و نحو إيرادهم كلام مسيلمه و أحمد بن سليمان المعرى و عبد الله بن المقفع فصلا فصلا و الموازنه و المقايسه بين ذلك و بين القرآن المجيد و إيضاح أنه لا يبلغ ذلك إلى درجه

ص: ٢١٥

١-١) سورة البقره ١٧٩.

٢-٢) سورة الأعراف ١٩٩.

القرآن العزيز و لا يقاربها فليس بمستنكر منا أن نذكر كلام ابن نباته فى معرض إيرادنا كلام أمير المؤمنين ع لتظهر فضيله كلامه ع بالنسبه إلى هذا الخطيب الفاضل الذى قد اتفق الناس على أنه أوحده عصره فى فنه.

و اعلم أنا لا- ننكر فضل ابن نباته و حسن أكثر خطبه و لكن قوما من أهل العصبية و العناد يزعمون أن كلامه يساوى كلام أمير المؤمنين ع و يماثله و قد ناظر بعضهم فى ذلك فأحبت أن أبين للناس فى هذا الكتاب أنه لا نسبه لكلامه إلى كلام أمير المؤمنين ع و أنه بمنزله شعر الأبله و ابن المعلم بالإضافه إلى زهير و النابغه . و اعلم أن معرفه الفصيح و الأفضح و الرشيق و الأرشق و الحلو و الأ-حلى و العالى و الأ-على من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق و لا يمكن إقامه الدلاله المنطقيه عليه و هو بمنزله جاريتين إحداهما بيضاء مشربه حمرة دقيقه الشفتين نقيه الثغر كحلاء العينين أسيله الخد دقيقه الأنف معتدله القامه و الأ-خرى دونها فى هذه الصفات و المحاسن لكنها أحلى فى العيون و القلوب منها و أليق و أصلح و لا يدري لأى سبب كان ذلك و لكنه بالذوق و المشاهده يعرف و لا- يمكن تعليله و هكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه و ملاحظتها و تفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحه و أما الكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق و ليس كل من اشتغل بالنحو و اللغه أو بالفقه كان من أهل الذوق و ممن يصلح لانتقاد الكلام و إنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان و راضوا أنفسهم بالرسائل و الخطب و الكتابه و الشعر و صارت لهم

بذلك دربه و ملكه تامه فيالى اولئك ينبغي أن ترجع في معرفه الكلام و فضل بعضه على بعض إن كنت عادما لذلك من نفسك منها في ذكر النبي ص :

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا وَ أَهْوَنَ بِهَا وَ هَوَّنَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً وَ بَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَاراً فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا [مِنْ]

عَنْ نَفْسِهِ وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا وَ دَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا وَ خَوْفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا .

فعل مشدد للتكثير قتلت أكثر من قتلت فيقتضى قوله ع قد حقر الدنيا زياده تحقير النبي ص لها و ذلك أبلغ في الثناء عليه و تقریظه.

قوله و صغرها أى و صغرها عند غيره ليكون قوله و أهون بها و هونها مطابقا له أى أهون هو بها و هونها عند غيره .

و زواها قبضها

١٦٤٧

قَالَ عُ زُوِيْتُ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَ مَعَارِبَهَا.

و قوله اختيارا أى قبض الدنيا عنه باختيار و رضا من النبي ص بذلك و علم بما فيه من رفعه قدره و منزلته فى الآخرة .

ص: ٢١٧

و الرياش و الريش بمعنى و هو اللباس الفاخر كالحرم و الحرام و اللبس و اللباس و قرئ و ريشا و لِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ (١) و يقال الريش و الرياش المال و الخصب و المعاش و ارتاش فلان حسنت حاله و معذرا أى مبالغا أعذر فلان فى الأمر أى بالغ فيه نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبِيِّ وَ مَحِطُّ الرَّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعَايِدُنُ الْعِلْمِ وَ يَنْبَائِعُ الْحُكْمِ نَاصِرَةٌ نَا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَ عِدُّونَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

هذا الكلام غير ملتصق بالأول كل الالتصاق و هو من النمط الذى ذكرناه مرارا لأن الرضى رحمه الله يقتضب فصولا من خطبه طويله فيوردها إيرادا واحدا و بعضها منقطع عن البعض .

قوله ع نحن شجره النبوه كأنه جعل النبوه كثمره أخرجتها شجره بنى هاشم و محط الرساله منزلها و مختلف الملائكه موضع اختلافها فى صعودها و نزولها و إلى هذا المعنى نظر بعض الطالبين فقال يفتخر على بنى عم له ليسوا بفاطميين هل كان يقتعد البراق أبوكم

ص: ٢١٨

١-١) سورة الأعراف ٢٦ و هى قراءه عاصم، وانظر تفسير القرطبي ٧:١٨٤.

وقال آخر يمدح قوما فاطمين و يطرقه الوحي وهنا و أنتم ضجيجان بين يدى جبرئيلآ يعنى حسناع و حسناع .و اعلم أنه إن أراد بقوله نحن مختلف الملائكة جماعه من جملتها رسول الله ص فلا ريب فى صحه القضيّه و صدقها و إن أراد بها نفسه و ١٢ابنيه فهى أيضا صحيحه و لكن مدلوله مستنبط

١٦٤٨

فَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحِهِ أَنَّهُ قَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنَّهُ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ فَقَالَ جِبْرِيلُ وَ أَنَا مِنْكُمْ.

و

١٦٤٩

رَوَى أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ مَرْفُوعًا لَقَدْ صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَ عَلَيَّ عَلَيَّ سَبْعَ سِنِينَ لَمْ تُصَلِّ عَلَيَّ تَالِثَ لَنَا.

و ذلك قبل أن يظهر أمر الإسلام و يتسامع الناس به.

و

١٦٥٠

٢٠١١٤- فى خُطْبِهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ع لَمَّا قُبِضَ أَبُوهُ لَقَدْ فَارَقَكُمْ فى هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الْأَوْلُونَ وَ لَا يُدْرِكُهُ الْآخِرُونَ كَانَ يَبْعَثُهُ رَسُولُ اللَّهِ ص لِلْحَرْبِ وَ جِبْرِيلُ عَنِ يَمِينِهِ وَ مِيكَائِيلُ عَنِ يَسَارِهِ .

و

١٦٥١

جَاءَ فى الْحَدِيثِ أَنَّهُ سُمِعَ يَوْمَ أُحُدٍ صَوْتُ مِنَ الْهَوَاءِ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ يَقُولُ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَ لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ وَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ هَذَا صَوْتُ جِبْرِيلِ .

فأما قوله و معادن العلم و ينابيع الحكم يعنى الحكمه أو الحكم الشرعى فإنه و إن عنى بها نفسه و ذريته فإن الأمر فيها ظاهر جدا

١٦٥٢

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ.

و

١٦٥٣

قَالَ أَقْضَاكُمْ عَلَيَّ .

و القضاء أمر يستلزم علوما كثيرة.

و

١٦٥٤

١٤,١- جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ كُفُوهٌ وَ ذُؤُؤُ أَسْنَانٍ

ص: ٢١٩

وَ أَنَا فَتَى وَ رَبِّمَا لَمْ أَصِبْ فِيْمَا أَحْكَمُ بِهِ بَيْنَهُمْ فَقَالَ لَهُ اذْهَبْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَبِّتُ قَلْبَكَ وَ يَهْدِي لِسَانَكَ

١٦٥٥

١٤,١- وَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ تَعَبَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١) سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ فَفَعَلَ .

١٦٥٦

١- وَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٢) أَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي عَلِيٍّ ع وَ مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ .

١٦٥٧

وَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى أَمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ (٣) أَنَّ الشَّاهِدَ عَلِيٌّ ع .

و

١٦٥٨

رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَنَّهُ قَالَ لِفَاطِمَةَ زَوْجَتِكَ أَقْدَمَهُمْ سِلْمًا وَ أَعْظَمَهُمْ حِلْمًا وَ أَعْلَمَهُمْ عِلْمًا .

و

١٦٥٩

رَوَى الْمُحَدِّثُونَ أَيْضًا عَنْهُ ع أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ نُوحٍ فِي عَزْمِهِ وَ مُوسَىٰ فِي عِلْمِهِ وَ عِيسَىٰ فِي وَرَعِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ .

و بالجمله فحال العلم في العلم حال رفيه جدا لم يلحقه أحد فيها و لا قاربه و حق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم و ينابيع الحكم فلا أحد أحق بها منه بعد رسول الله ص .

فإن قلت كيف قال عدونا و مبغضنا ينتظر السطوه و نحن نشاهد أعداءه و مبغضيه لا- ينتظرونها قلت لما كانت منتظره لهم و معلوما بيقين حلولها بهم صاروا كالمنتظرين لها و أيضا فإنهم ينتظرون الموت لا محاله الذي كل إنسان ينتظره و لما كان الموت مقدّمه العقاب و طريقا إليه جعل انتظاره انتظارا ما يكون بعده

ص: ٢٢٠

١-١) سورة الحاقه ١٢.

٢-٢) سورة النساء ٥٤.

٣-٣) سورة هود ١٧.

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَ إِبْتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَ حَجُّ الْبَيْتِ وَ اعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفَعَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْحَمَانِ الذَّنْبَ وَ صِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ وَ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ وَ صِدْقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَ صِدْقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَ صِنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ وَ ارْغَبُوا فِي مَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ وَ اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ وَ اسْتَتُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ وَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَ اسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَ أَحْسَنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَ الْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمٌ .

ذكر ع ثمانيه أشياء كل منها واجب.

أولها الإيمان بالله و برسوله و يعنى بالإيمان هاهنا مجرد التصديق بالقلب مع قطع النظر عما عدا ذلك من التلفظ بالشهادة و من الأعمال الواجبه و ترك القبائح و قد ذهب إلى أن ماهيه الإيمان هو مجرد التصديق القلبي جماعه من المتكلمين و هو و إن لم يكن مذهب أصحابنا فإن لهم أن يقولوا إن أمير المؤمنين ع جاء بهذا اللفظ على أصل الوضع اللغوى لأن الإيمان فى أصل اللغه هو التصديق قال سبحانه و تعالى **وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١)** أى لست بمصدق لنا لا إن كنا صادقين و لا إن كنا كاذبين و مجيئه ع به على أصل الوضع اللغوى لا يبطل مذهبنا فى مسمى الإيمان لأننا نذهب إلى أن الشرع استجد لهذه اللفظه مسمى ثانيا كما نذهب إليه فى الصلاه و الزكاه و غيرهما فلا منافاه إذا بين مذهبنا و بين ما أطلقه ع .

و ثانيها الجهاد فى سبيل الله و إنما قدمه على التلفظ بكلمتى الشهاده لأنه من باب دفع الضرر عن النفس و دفع الضرر عن النفس مقدم على سائر الأعمال المتعلقة بالجوارح و التلفظ بكلمتى الشهاده من أعمال الجوارح و إنما أخره عن الإيمان لأن الإيمان من أفعال القلوب فهو خارج عما يتقدم عليه و دفع الضرر من الأفعال المختصة بالجوارح و أيضا فإن الإيمان أصل الجهاد لأنه ما لم يعلم الإنسان على ما ذا يجاهد لا يجاهد و إنما جعله ذروه الإسلام أى أعلاه لأنه ما لم تتحصن دار الإسلام بالجهاد لا يتمكن المسلمون من القيام بوظائف الإسلام فكان إذا من الإسلام بمنزله الرأس من البدن .

و ثالثها كلمه الإخلاص يعنى شهاده أن لا إله إلا الله و شهاده أن محمدا رسول الله قال فإنها الفطره يعنى هى **الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** و الأصل الكلمه الأولى لأنها التوحيد و عليها فطر البشر كلهم و الكلمه الثانيه تبع لها فأجريت مجراها و إنما أخرجت

ص: ٢٢٢

هذه الخصلة عن الجهاد لأن الجهاد كان هو السبب في إظهار الناس لها و نطقهم بها فصار كالأصل بالنسبة إليها .

و رابعها إقام الصلاة أى إدامتها و الأصل أقام إقواما فحذفوا عين الفعل و تاره يعوضون عن العين المفتوحة هاء فيقولون إقامه قال فإنها المله و هذا مثل

١٦٦٠

قَوْلَ النَّبِيِّ ص الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ .

و خامسها إيتاء الزكاه و إنما أخرها عن الصلاة لأن الصلاة آكد افتراضا منها و إنما قال فى الزكاه فإنها فريضة واجبه لأن الفريضة لفظ يطلق على الجزء المعين المقدر فى السائمه باعتبار غير الاعتبار الذى يطلق به على صلاة الظهر لفظ الفريضة و الاعتبار الأول من القطع و الثانى من الوجوب و قال فإنها فريضة واجبه مثل أن يقول فإنها شىء مقتطع من المال موصوف بالوجوب .

و سادسها صوم شهر رمضان و هو أضعف وجوبا من الزكاه و جعله جنه من العقاب أى ستره .

و سابعها الحجّ و العمره و هما دون فريضة الصوم و قال إنهما ينفيان الفقر و يرحضان الذنب أى يغسلانه رحضت الثوب و ثوب رحيض و هذا الكلام يدلّ على وجوب العمره و قد ذهب إليه كثير من الفقهاء العلماء .

و ثامنها صله الرحم و هى واجبه و قطيعه الرحم محرمة قال فإنها مثراه فى المال أى تثريه و تكثره .

و منسأه فى الأجل

أى تنسؤه و تؤخره و يقال نسأ الله فى أجلك و يجوز أنسأه بالهمزه.

فإن قلت فما الحجبه على تقديم وجوب الصلاة ثم الزكاه ثم الصوم ثم الحجّ

ص: ٢٢٣

قلت أما الصلاة فلأن تاركها يقتل و إن لم يجحد وجوبها و غيرها ليس كذلك و إنما قدمت الزكاه على الصوم لأن الله تعالى قرنهما بالصلاه فى كثير من الكتاب العزيز و لم يذكر صوم شهر رمضان إلا فى موضع واحد و كثره تأكيد الشىء و ذكره دليل على أنه أهم و إنما قدم الصوم على الحجّ لأنّه يتكرر وجوبه و الحجّ لا يجب فى العمر إلا مره واحده فدل على أنه أهم عند الشارع من الحجّ .

ثمّ قال ع و صدقه السر فخرج من الواجبات إلى النوافل قال فإنها تكفر الخطيئه و التكفير هو إسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أو توبه و أصله فى اللغه الستر و التغطية و منه الكافر لأنّه يغطى الحق وسمى البحر كافرا لتغطيته ما تحته وسمى الفلاح كافرا لأنّه يغطى الحب فى الأرض المحروثه .

ثمّ قال و صدقه العلانيه فإنها تدفع ميتة السوء كالغرق و الهدم و غيرها .

قال و صنائع المعروف فإنها تقمى مصارع الهوان كأسر الروم للمسلم أو كأخذ الظلمه لغير المستحق للأخذ.

ثمّ شرع فى وصايا آخر عددها و الهدى السيره و

١٦٦١

فى الْحَدِيثِ وَ اهْدُوا هَدَى عَمَّارٍ .

يقال هدى فلان هدى فلان أى سار سيرته .

و سمي القرآن حديثا اتباعا لقول الله تعالى نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا (١) و استدلل أصحابنا بالآيه على أنه محدث لأنه لا فرق بين حديث و محدث فى اللغه فإن قالوا إنما أراد أحسن الكلام قلنا لعمري إنه كذلك و لكنه لا يطلق على الكلام القديم لفظه حديث لأنه إنما سمي الكلام و المحاوره و المخاطبه حديثا لأنه أمر يتجدد حالا فحالا و القديم ليس كذلك.

ص: ٢٢٤

ثم قال تفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب من هذا أخذ ابن عباس قوله إذا قرأت ألم حم وقعت في روضات دمثات.

ثم قال فإنه شفاء الصدور و هذا من الألفاظ القرآنية (١).

ثم سماه قصصا اتباعا لما ورد في القرآن من قوله نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ (٢).

ثم ذكر أن العالم الذي لا يعمل بعلمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله .

ثم قال بل الحجبه عليه أعظم لأنه يعلم الحق و لا يعمل به فالحجبه عليه أعظم من الحجبه على الجاهل و إن كانا جميعا محجوجين أما أحدهما فبعلمه و أما الآخر فبتمكنه من أن يعلم.

ثم قال و الحسره له ألزم لأنه عند الموت يتأسف ألا يكون عمل بما علم و الجاهل لا يأسف ذلك الأسف.

ثم قال و هو عند الله ألوم أى أحق أن يلام لأن المتمكن عالم بالقوه و هذا عالم بالفعل فاستحقاقه اللوم و العقاب أشد

ص: ٢٢٥

١- ١) و هو قوله تعالى فى سورة يونس ٥٧: قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ .

٢- ٢) سورة يوسف ٣.

أَمَّا بَعْدُ فَبِإِنِّي أُحِذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوهُ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعِاجِلِهِ وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَ تَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ وَ تَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا وَ لَا تُؤْمَنُ فَجَعَلَتْهَا عَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِذَةٌ بَائِذَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمَّتِيهِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَ الرِّضَاءِ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَلَّمَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ لَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (١) لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا - أَعْقَبْتُهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ وَ لَمْ يَلْقَ مِنْ سِرَّائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحْتُهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا وَ لَمْ تَطْلُهُ فِيهَا دِيمَةً رَخَاءً إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُزْنَهُ بَلَاءٍ وَ حَرِيٌّ إِذَا أَصِيبَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تُمَسِّيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ وَ إِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْدُوذِبَ وَ اخْلُولِي أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبِي لَا يَبَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا إِلَّا أَرْهَقْتُهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا وَ لَا يُمَسِّيَ مِنْهَا فِي جَنَاحٍ أَمِنَ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفِ غَرَّارَةٍ عُرُورٍ مَا فِيهَا فَايَةٌ فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى

ص: ٢٢٦

مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَيْتَكَّرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ وَ مِنْ اسْتَيْتَكَّرَ مِنْهَا اسْتَيْتَكَّرَ مِمَّا يُؤْبَقُهُ وَ زَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعْتُهُ وَ ذِي طُمَأْنِينِهِ
قَدْ صَرَعْتُهُ وَ ذِي أَبْهَةٍ قَدْ جَعَلْتُهُ حَقِيرًا وَ ذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا سُلْطَانَهَا دَوْلٌ وَ عَيْشَهَا [رَنْقٌ]

رَنْقٌ وَ عَيْدُهَا أُجَاجٌ وَ حُلُوهَا صَبْرٌ وَ عَيْدَاؤُهَا سَمَامٌ وَ أَسْبَابُهَا رِمَامٌ حَيْثُهَا بَعْرَضٍ مَوْتٍ وَ صَيْحِيحُهَا بَعْرَضٍ سَيْقَمٍ مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ وَ
عَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَ مَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ وَ جَارُهَا مَحْرُوبٌ أَلَسَيْتُمْ فِي مَسَاكِنٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا وَ أَبْقَى آثَارًا وَ أَبْعَدَ آمَالًا وَ
أَعْيَدَ عَدِيدًا وَ أَكْتَفَ جُنُودًا تَعَبَدُوا لِلدُّنْيَا أَى تَعَبَدُوا وَ آتَرُوْهَا أَى إِيْتَارُوا ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَ لَا ظَهَرَ قَاطِعٍ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ
الدُّنْيَا سِيَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَيْتَ لَهُمْ صِيْحَبَةً بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ وَ أَوْهَقْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ وَ ضَعَضَ عَنْهُمْ
بِالنَّوَابِ وَ عَفَّرْتَهُمْ لِلْمَنَاحِرِ وَ وَطِنْتَهُمْ بِالْمَنَاسِمِ وَ أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمُنُونِ فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَ آثَرَهَا وَ أَخْلَدَ إِلَيْهَا
حِينَ طَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَيْدِ وَ هِيلَ زَوَدْتَهُمْ إِلَّا السَّعْبَ أَوْ أَحَلَّتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرْتَ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ أَوْ أَعَقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ أ
فَهَيْدِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ فَبَسَّتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجِلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا وَ أَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوْهَا وَ ظَاعِنُونَ عَنْهَا وَ اتَّعَطُوا فِيهَا بِالذِّينِ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (١) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا- يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا وَ
أُنزِلُوا

ص: ٢٢٧

١- (١) سورة فصلت ١٥.

الْأَجِدَاتِ فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَ لَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا وَ لَا يُبَالُونَ مَنْدَبَهُ إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَ إِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا جَمِيعٌ وَ هُمْ آحَادٌ وَ جِيرَةٌ وَ هُمْ أَبْعَادٌ مُتَدَانُونَ لَا يَتَرَاوَرُونَ وَ قَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ وَ جَهْلَاءٌ قَدْ مَيَّاتَتْ أَحْقَادُهُمْ لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ وَ لَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ اسْتَبَدُّوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا وَ بِالسَّعَةِ ضَيْقًا وَ بِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَ بِالنُّورِ ظُلْمَةً فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاهُ عُرَاهُ قَدْ طَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَ عَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ .

(١)

خضره

أى ناضره و هذه اللفظه من الألفاظ النبويه

١٦٦٢

قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ وَ إِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاطِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .

و حفت بالشهوات كان الشهوات مستديره حولها كما يحف اليهودج بالثياب و حفوا حوله يحفون حفا أطفوا به قال الله تعالى وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (٢) .

قوله و تحببت بالعاجله أى تحببت إلى الناس بكونها لذه عاجله و النفوس مغرمه مولعه بحب العاجل فحذف الجار و المجرور القائم مقام المفعول .

قوله و رقت بالقليل أى أعجبت أهلها و إنما أعجبتهم بأمر قليل ليس بدائم.

ص: ٢٢٨

١-١) سورة الأنبياء ١٠٤.

٢-٢) سورة الزمر ٧٥.

قوله و تحلت بالآمال من الحليه أى تزينت عند أهلها بما يؤملون منها .

قوله و تزينت بالغرور أى تزينت عند الناس بغرور لا حقيقه له .

و الحبره السرور و حائله متغيره و نافده فانيه و بائده منقضيه و أكاله قتاله و غواله مهلكه و الغول ما غال أى أهلك و منه المثل الغضب غول الحلم .

ثم قال إنها إذا تناهت إلى أمنيته ذوى الرغبات فيها لا تتجاوز أن تكون كما وصفها الله تعالى به و هو قوله وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا .

فاختلط

أى فالتف نبات الأرض و تكاثف به أى بسبب ذلك الماء و بنزوله عليه و يجوز أن يكون تقديره فاختلط نبات الأرض لأنه لما غذاه و أنماه فقد صار مختلطا به و لما كان كل واحد من المختلطين مشاركا لصاحبه فى مسمى الاختلاط جاز فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ كما يجوز فاختلط هو نبات الأرض .

و الهشيم ما تهشم و تحطم الواحده هشيمه و تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ تطيره و كان الله على ما يشاء من الإنشاء و الإفناء مقتدرا .

قوله من يلق من سرائها بطنا إنما خص السراء بالطن و الضراء بالظهر لأن الملقى لك بالطن ملاق بالوجه فهو مقبل عليك و المعطيك ظهره مدبر عنك .

و قيل لأن الترس بطنه إليك و ظهره إلى عدوك و قيل لأن المشى فى بطون الأودية أسهل من السير على الظراب و الآكام .

و طله السحاب يطله إذا أمطره مطرا قليلا- يقول إذا أعطت قليلا- من الخير أعقبت ذلك بكثير من الشر لأن التهتان الكثير المطر هتن يهتن بالكسر هتنا و هتونا و تهتانا .

ص: ٢٢٩

قوله و حرى أى جدير و خليق يقال بالحرى أن يكون هذا الأمر كذا و هذا الأمر محراه لذلك أى مقمنه مثل محجاه و ما أحره مثل ما أحجاه و أحر به مثل أحج به و تقول هو حرى أن يفعل ذلك بالفتح أى جدير و قمين لا يثنى و لا يجمع قال الشاعر و هن حرى ألا- يثبنك نقره و أنت حرى بالنار حين تثيب (١) فإذا قلت هو حر بكسر الراء و حرى بتشديدها على فاعيل ثنيت و جمعت فقلت هما حريان و حريان و حرون مثل عمون و أحرء أيضا و فى المشدد حريون و أحرىء و هى حريه و حريه و هن حريات و حريات و حرايا.

فإن قلت فهلا قال و حريه إذا أصبحت لأنه يخبر عن الدنيا قلت أراد شأنها فذكر أى و شأنها خليق أن يفعل كذا .

و اعذوذب صار عذبا و احلولى صار حلوا و من هاهنا أخذ الشاعر قوله ألا إنّما الدنيا غضاره أيكه

و ارتفع جانب المذكور بعد إن لأنه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر أى و إن اعذوذب جانب منها لأن إن تقتضى الفعل و تطلبه فهى كإذا فى قوله تعالى إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (٢) .

و أمر الشىء أى صار مرا و أوبى صار ويا و لين الهمز لأجل السجع .

و الرغب مصدر رغبت فى الأمر رغبه و رغبأ أى أردته.

يقول لا ينال الإنسان منها إرادته إلا أرهقته تعباً يقال أرهقه إثمأ أى حملة و كلفه.

ص : ٢٣٠

١- (١) البيت فى اللسان ١٨٨:١٨، من غير نسبه.

٢- (٢) سورة الانشقاق ١.

فإن قلت لم خص الأمن بالجنح و الخوف بالقوادم قلت لأن القوادم مقادير الريش و الراكب عليها بعرض خطر عظيم و سقوط قريب و الجنح يستر و يقى البرد و الأذى قال أبو نواس تغطيت من دهرى بظل جناحه و الهاء فى جناحه ترجع إلى الممدوح (١) بهذا الشعر .

و توبقه تهلكه و الأببه الكبر و الرنق بفتح النون مصدر رنق الماء أى تكدر و بالكسر الكدر و قد روى هاهنا بالفتح و الكسر فالكسر ظاهر و الفتح على تقدير حذف المضاف أى ذو رنق .

و ماء أجاج قد جمع المراره و الملوحة أجاج الماء يؤج أجاجا و الصبر بكسر الباء هذا النبات المر نفسه ثم سمي كل مر صبورا و السمام جمع سم لهذا القاتل يقال سم و سم بالفتح و الضم و الجمع سموم و سموم .

و رمام باليه و أسبابها حبالها و موفورها و ذو الوفرة و الثروه منها و المحروب المسلوب أى لا تحمى جارا و لا تمنعه .

ثم أخذ قوله تعالى وَ سَيَكُونُ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٢) فقال أ لستم فى مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا نصب أطول بأنه خبر كان و قد دلنا الكتاب الصادق على أنهم كانوا أطول

ص: ٢٣١

١- (١) ديوانه ٩٧.

٢- (٢) هو محمد بن الفضل بن الربيع.

أعماراً بقوله فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سِنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ لِحَاماً (١) و ثبت بالعيان أنهم أبقى آثاراً فإن من آثارهم الأهرام و الإيوان و مناره الإسكندريه و غير ذلك و أما بعد الآمال فمرتب على طول الأعمار فكلما كانت أطول كانت الآمال أبعد و إن عنى به علو الهمم فلا-ريب أنهم كانوا أعلى همما من أهل هذا الزمان و قد كان فيهم من ملك معموره الأرض كلها و كذلك القول في أعد عديدا و أكثف جنودا و العديد العدو الكثير و أعد منهم أى أكثر .

قوله و لا ظهر قاطع أى قاطع لمسافه الطريق .

و الفوادح المثقلات فدحه الدين أثقله و يروى بالقوادح بالقاف و هى آفه تظهر فى الشجر و صدوع تظهر فى الأسنان .

و أوهقتهم

جعلتهم فى الوهق بفتح الهاء و هو جبل كالطول (٢) و يجوز التسكين مثل نهر و نهر .

و القوارع المحن و الدواهى و سميت القيامة قارعه فى الكتاب العزيز من هذا المعنى و ضععتهم أذلتهم قال أبو ذؤيب أنى لريب الدهر لا أتضعضع (٣) و ضععت البناء أهدمته .

و عفرتهم للمناخر

ألصقت أنوفهم بالعفر و هو التراب و المناسم جمع منسم بكسر السين و هو خف البعير .

ص: ٢٣٢

١-١) سورة العنكبوت ١٤ .

٢-٢) الطولى، أو الطيل: جبل طويل يشد به قائمه الدابّه.

٣-٣) ديوان الهذليين ٣: ١؛ و صدره: *و تجلدى للشامتين أريهم* .

و دان لها أطاعها و دان لها أيضا ذل و أخلد إليها مال قال تعالى وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ (١).

و السغب الجوع يقول إنَّما زودتهم الجوع و هذا مثل كما قال و مدحته فأجازنى الحرمانا و معنى قوله أو نورت لهم إلا الظلمه أى بالظلمه و هذا كقوله هل زودتهم إلا- السغب و هو من باب إقامه الضد مقام الضد أى لم تسمح لهم بالنور بل بالظلمه و الضنك الضيق .

ثم قال فبئست الدار و حذف الضمير العائد إليها و تقديره هى كما قال تعالى نِعَمَ الْعَبْدُ (٢) و تقديره هو.

و من لم يتهمها من لم يسؤ ظنا بها و الصفيح الحجاره و الأجنان القبور الواحد جنن و المجنون المقبور و منه قول الأعرابي لله درك من مجنون فى جنن و الأكنان جمع كن و هو الستر قال تعالى وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا (٣).

و الرفات العظام الباليه و المندبه الندب على الميت لا يبالون بذلك لا يكثرثون به و جيدوا مطروا و قحطوا انقطع المطر عنهم فأصابهم القحط و هو الجذب و إلى معنى قوله ع فهم جيره لا يجييون داعيا و لا يمنعون ضيما جميع و هم آحاد و جيره و هم أبعاد متدانون لا يتزاورون و قرييون لا يتقاربون نظر البحرى فقال

ص: ٢٣٣

١- ١) سورة الأعراف ١٧٦.

٢- ٢) سورة ص ٣٠.

٣- ٣) سورة النحل ٨١.

بنا أنت من مجفوه لم تؤنب

وقد قال الشعراء و الخطباء فى هذا المعنى كثيرا فمن ذلك قول الرضى أبى الحسن رحمه الله فى مرثيه لأبى إسحاق الصابى
أعزز على بأن نزلت بمنزل فقوله بادون فى صور الجمع.. البيت هو قوله ع جمع و هم آحاد بعينه و قال الرضى رحمه الله تعالى
أيضا متوسدين على الخدود كأنما

ص: ٢٣٤

قوله قربت ضرائحهم.. البيت هو معنى قوله ع و جيره و هم أبعاد بعينه.

و من هذا المعنى قول بعض الأعراب (١) لكل أناس مقبر في ديارهم (٢).

و من كلام ابن نباته وحيدا على كثره الجيران بعيدا على قرب المكان.

و منه قوله أسير وحشه الانفراد فقير إلى اليسير من الزاد جار من لا يجير و ضيف من لا يميم حملوا و لا يرون ركباننا و انزلوا و لا يدعون ضيفانا و اجتمعوا و لا يسمون جيرانا و احتشدوا و لا يعدون أعوانا و هذا كلام أمير المؤمنين ع بعينه المذكور في هذه الخطبه و قد أخذه مصالته.

و منه قوله طحتتهم طحن الحصيد و غيبتهم تحت الصعيد فبطون الأرض لهم أوطان و هم في خرابها قطان عمروا فأخربوا و اقتربوا فاغتربوا و اصطحبوا و ما اصطحبوا.

و منه قوله غيبا كأشهاد عصبا كآحاد همودا في ظلم الإلحاد إلى يوم التناد.

ص: ٢٣٥

١-١) لعبد الله بن ثعلبه الحنفى؛ حماسه أبى تمام- بشرح المرزوقى ٨٩١.

٢-٢) الحماسه: *لكل أناس مقبر بفنائهم*

و اعلم أن هذه الخطبه ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان و التبيين (١) و رواها القطرى بن الفجاءه و الناس يروونها لأمير المؤمنين ع و قد رأيتها في كتاب المونق لأبى عبيد الله المرزبانى مرويه لأمير المؤمنين ع و هى بكلام أمير المؤمنين أشبه و ليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين ع فإن الخوارج كانوا أصحابه و أنصاره و قد لقي قطرى أكثرهم

ص: ٢٣٦

١ - ١) البيان و التبيين ١:٢٦-٢:١٢٩؛ و هى أيضا بنسبتها إلى قطرى فى العقد ١:١٤١، و صبح الأعشى ١:٢٢٣، و عيون الأخبار ٢:٢٥٠، و نهايه الأرب ٧:٢٥٠.

هَلْ تُحِسُّ [يُحَسُّ]

به إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَيْلَاحُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَيَاكُنُ مَعَهُ فِي أَحْسَانِهَا كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ. أما مذهب جمهور أصحابنا و هم النافون للنفس الناطقه فعندهم أن الروح جسم لطيف بخارى يتكون من أطف أجزاء الأغذيه ينفذ فى العروق الضوارب و الحياه عرض قائم بالروح و حال فيها فللدماغ روح دماغيه و حياه حاله فيها و كذلك للقلب و كذلك للكبد و عندهم أن لملك الموت أعوانا تقبض الأرواح بحكم النيابه عنه لو لا ذلك لتعذر عليه و هو جسم أن يقبض روحين فى وقت واحد فى المشرق و المغرب لأن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد قال أصحابنا و لا يبعد أن يكون الحفظه الكاتبون هم القابضين للأرواح عند انقضاء الأجل قالوا و كيفيه القبض ولوج الملك من الفم إلى القلب لأنه جسم لطيف هوائى لا يتعذر عليه النفوذ فى المخارق الضيقه فيخالط الروح

التي هي كالشبيهه به لأنها جسم لطيف بخارى ثم يخرج من حيث دخل و هي معه و إنما يكون ذلك في الوقت الذي يأذن الله تعالى له فيه و هو حضور الأجل فألزموا على ذلك أن يغوص الملك في الماء مع الغريق ليقبض روحه تحت الماء فالترموا ذلك وقالوا ليس بمستحيل أن يتخلل الملك الماء في مسام الماء فإن فيه مسام و منافذ و في كل جسم على قاعدتهم في إثبات الماء في الأجسام.

قالوا و لو فرضنا أنه لا مسام فيه لم يبعد أن يلججه الملك فيوسع لنفسه مكانا كما يلججه الحجر و السمك و غيرهما و كالريح الشديده التي تفرع ظاهر البحر فتقعره و تحفره و قوه الملك أشد من قوه الريح .

ثم نعود إلى الشرح فنقول الملك أصله مألوك بالهمز و وزنه مفعول و الميم زائده لأنه من الألوكه و الألوك و هي الرساله ثم قلبت الكلمه و قدمت اللام فقليل ملاك قال الشاعر فلست لإنسى و لكن لملاك تنزل من جو السماء يصبوب (١).

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقليل ملك فلما جمع ردت الهمزه إليه فقالوا ملائكه و ملائكك قال أميه بن أبي الصلت و كأن برقع و الملائك حولها سدر تواكله القوائم أجرد (٢).

و التوفى الإمامته و قبض الأرواح قال الله تعالى [□]اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا [□] (٣).

و التقسيم الذي قسمه في وفاه الجنين حاصر لأنه مع فرضنا إياه جسما يقبض الأرواح التي في الأجسام إما أن يكون مع الجنين في جوف أمه فيقبض روحه عند حضور أجله

ص: ٢٣٨

١-١ (١) اللسان ١٢:٢٧٤ من غير نسبه.

١-٢ (٢) اللسان ٦:٣٠.

١-٣ (٣) سورة الزمر ٤٢.

أو خارجا عنها و القسم الثاني ينقسم قسمين أحدهما أن يلج جوف أمه لقبض روحه فيقبضها و الثاني أن يقبضها من غير حاجه إلى الولوج إلى جوفها و ذلك بأن تطيعه الروح و تكون مسخره إذا أراد قبضها امتدت إليه فقبضها و هذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها و لو قسمها واضع المنطق لما زاد .

ثم خرج إلى أمر آخر أعظم و أشرف ممّا ابتدأ به فقال كيف يصف إلهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله و إلى هذا الغرض كان يترامى و إياه كان يقصد و إنّما مهد حديث الملك و الجنين توطئه لهذا المعنى الشريف و السر الدقيق

فصل فى التخلص و سياق كلام للشعراء فيه

و هذا الفن يسميه أرباب علم البيان التخلص و أكثر ما يقع فى الشعر كقول أبى نواس تقول التى من بيتها خف مركبى
و من ذلك قول أبى تمام يقول فى قومس صحبى و قد أخذت

و منه قول البحتري هل الشباب ملم بي فراجعه

و منه قول المتنبي و هو يتغزل بأعرابه و يصف بخلها و جنبها و قله مطعمها و هذه كلها من الصفات الممدوحه فى النساء خاصه
(١) فى مقلتي رشأ تديرهما

و هذا من لطيف التخلص و رشيقة و التخلص مذهب الشعراء و المتأخرون يستعملونه كثيرا و يتفاخرون فيه و يتناضلون فأما
التخلص فى الكلام المنثور فلا- يكاد يظهر لمتصفح الرساله أو الخطبه إلا بعد تأمل شديد و قد وردت منه مواضع فى القرآن
العزیز فمن

ص: ٢٤٠

١-١) المثل السائر ٢٦٥:٢.

أبينها و أظهرها أنه تعالى ذكر في سورة الأعراف الأمم الخالية و الأنبياء الماضين من لدن آدم ع إلى أن انتهى إلى قصه موسى فقال في آخرها بعد أن شرحها و أوضحها و اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل و إني أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء و تهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا و ارحمنا و أنت خير الغافرين و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة و في الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بإيماننا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عندهم في التوراه و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١).

و هذا من التخلصات اللطيفة المستحسنه

فصل في الاستطراد و إيراد شواهد للشعراء فيه

و اعلم أن من أنواع علم البيان نوعاً يسمى الاستطراد و قد يسمى الالتفات و هو من جنس التخلص و شبيه به إلا أن الاستطراد هو أن تخرج بعد أن تمهد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذي تروم ذكره فتذكره و كأنك غير قاصد لذكره بالذات بل قد حصل و وقع ذكره بالعرض عن غير قصد ثم تدعه و تتركه و تعود إلى الأمر الذي كنت في تمهيده كالمقبل عليه و كالملقى عما استطردت بذكره فمن ذلك قول البحتری و هو يصف فرسا

ص: ٢٤١

و أغر في الزمن البهيم محجل

ألا تراه كيف استطرد بذكر حمدويه الأحوال الكاتب و كأنه لم يقصد ذلك و لا أرادته و إنما جرت القافيه ثم ترك ذكره و عاد إلى وصف الفرس و لو أقسم إنسان أنه ما بنى القصيده منذ افتتاحها إلا على ذكره و لذلك أتى بها على روى اللام لكان صادقا فهذا هو الاستطراد.

و من الفرق بينه و بين التخلص أنك في التخلص متى شرعت في ذكر الممدوح

ص: ٢٤٢

أو المهجو تركت ما كنت فيه من قبل بالكليه و أقبلت على ما تخلصت إليه من المديح و الهجاء بيتا بعد بيت حتى تنقضى القصيده و فى الاستطراد تمر على ذكر الأمر الذى استطردت به مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه و تنسأه و تعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصد قصد ذاك و إنما عرض عروضاً و إذا فهمت الفرق فاعلم أن الآيات التى تلونها إذا حققت و أمعنت النظر من باب الاستطراد لا من باب التخلص و ذلك لأنه تعالى قال بعد قوله وَ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعدِلُونَ وَ قَطَعْنَا هَمَّ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَمًا وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَمْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَ السَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١) فعاد إلى ما كان فيه أولاً ثم مر فى هذه القصة و فى أحوال موسى و بنى إسرائيل حتى قارب الفراغ من السوره.

و من لطيف التخلص الذى يكاد يكون استطرادا لو لا أنه أفسده بالخروج إلى المدح قول أبى تمام فى قصيدته التى يمدح بها محمد بن الهيثم التى أولها أسقى طولهم أجش هزيم

ص: ٢٤٣

لا و الذى هو عالم إن النوى

فلو أتم متغزلا لكان مستطرادا لا محاله و لكنه نقض الاستطراد و غمس يده فى المدح فقال بعد هذا البيت لمحمد بن الهيثم بن شبانه و مضى على ذلك إلى آخرها.

و من الاستطراد أن يحتال الشاعر لذكر ما يروم ذكره بوصف أمر ليس من غرضه و يدمج الغرض الأصلي فى ضمن ذلك و فى غضونه و أحسن ما يكون ذلك إذا صرح بأنه قد استطراد و نص فى شعره على ذلك كما قال أبو إسحاق الصابى فى أبيات كتبها إلى أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدوله كتبها إليه إلى شيراز و أبو إسحاق فى بغداد و كانت أخبار فتوح عضد الدوله بفارس و كرمان و ما والاها متواصله مترادفه إلى العراق و كتب عبد العزيز واصله بها إلى عز الدوله بختيار و الصابى يجيب عنها يا راكب الجسر العيرانه الأجد

ص: ٢٤٤

و ما ذممت ابتدائي في مكاتبه

و لقد ظرف و ملح أبو إسحاق في هذه الأبيات و متى خلا أو عرى عن الظرف و الملاحه و لقد كان ظرفا و لباقة كله.

و ليس من الاستطراد ما زعم ابن الأثير الموصلي في كتابه المسمى بالمثل (١) السائر أنه استطراد و هو قول بعض شعراء الموصل يمدح قرواش بن المقلد و قد أمره أن يعث بهجاء وزيره سليمان بن فهد و حاجبه أبي جابر و مغنيه المعروف بالبرقعيدى في ليله من ليالى الشتاء و أراد بذلك الدعابه و الولع بهم و هم فى مجلس فى شراب و أنس فقال و أحسن فيما قال و ليل كوجه البرقعيدى ظلمه و ذلك لأن الشاعر قصد إلى هجاء كل واحد منهم و وضع الأبيات لذلك و أمره قرواش رئيسهم و أميرهم بذلك فهجاهم و مدحه و لم يستطرد و هذه الأبيات تشبهات كلها مقصود بها الهجاء لم يأت بالعرض فى الشعر كما يأتى الاستطراد.

و هذا غلط من مصنف الكتاب

ص: ٢٤٥

١- (١) المثل السائر ٢٧١:٢.

وَأَحَدٌ دُرُّكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعِهِ وَ لَيْسَتْ بِدَارٍ نُجِعَهُ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَ عَزَّتْ بِزِينَتِهَا دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا
وَ خَيْرُهَا بِشَرِّهَا وَ حَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا وَ حُلُوهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَ لَمْ يَضِنَّ بِهَا [عَنْ]

عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَ شَرُّهَا عَتِيدٌ وَ جَمْعُهَا يَنْفَدُ وَ مُلْكُهَا يُسْلَبُ وَ عَامِرُهَا يَخْرُبُ فَمَا خَيْرٌ دَارٍ تُنْفَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ وَ عُمُرُ يَفْنَى
فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ وَ مَدَّهُ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ [طَلَبَتِكُمْ]

طَلَبَتِكُمْ وَ اسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ [كَمَا]

مَا سَأَلْتُمْ وَ اسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبَكَى قُلُوبُهُمْ وَ إِنْ ضَحِكُوا وَ يَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَ
إِنْ فَرِحُوا وَ يَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسِهِمْ وَ إِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْأَجَالِ وَ حَضَرَ تَكْمُ كَوَاذِبِ الْأَمَالِ فَصَارَتْ
الدُّنْيَا أَمْلَكَكُمْ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَ الْعَاجِلُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلِ وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَزَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ وَ
سُوءَ الضَّمَائِرِ فَلَا تَوَازُونَ وَ لَا تَنَاصِيحُونَ وَ لَا تَبَاذُلُونَ وَ لَا تَوَادُّونَ مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَ لَا يَحْزَنُكُمْ
الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحَرِّمُونَهُ وَ يُقْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَيَّنَ ذَلِكَ فِي

وَجُوهِكُمْ وَقَلْبِهِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ كَأَنَّهَا دَارُ مَقَامِكُمْ وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ وَ مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا
يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا- مَخَافَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ قَدْ تَصَيَّفْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْأَجْلِ وَ حُبِّ الْعَاجِلِ وَ صَارَ دَيْنُ أَحَدِكُمْ لِعَقَبِهِ عَلَى لِسَانِهِ
صَنِيعَ مَنْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَ أَحْرَزَ [رِضًا]

رِضَى سَيِّدِهِ .

قوله ع فإنها منزل قلعه بضم القاف و سکون اللام أى ليست بمستوطنه و يقال هذا مجلس قلعه إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن
يقوم مره بعد مره و يقال هم على قلعه أى على رحله و من هذا الباب قولهم فلان قلعه إذا كان ينقلع عن سرجه و لا يثبت فى
البطش و الصراع و القلعه أيضا المال العاريه و

١٦٦٣

فِي الْحَدِيثِ بِئْسَ الْمَالُ الْقُلْعَةُ .

و النجعه طلب الكلا فى موضعه و فلان ينتجع الكلا و منه انتجعت فلانا إذا أتيته تطلب معروفه .

ثم وصف هوان الدنيا على الله تعالى فقال من هوانها أنه خلط حلالها بحرامها...الكلام مراده تفضيل الدار الآتية على هذه
الحاضرة فإن تلك صفو كلها و خير كلها و هذه مشوبه و الكدر و الشر فيها أغلب من الصفو و الخير

١٦٦٤

وَ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا- يُعْصَى إِلَّا فِيهَا وَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا. و يروى و لم يضمن بها
على أعدائه و الروايه المشهوره عن أعدائه و كلاهما مستعمل .

ص: ٢٤٧

ثم أمرهم بأن يجعلوا الفرائض الواجبه عليهم من جمله مطلوباتهم و أن يسألوا الله من الإعانه و التوفيق على القيام بحقوقه الواجبه كما سألهم أى كما ألزمهم و افترض عليهم فسمى ذلك سؤالاً لأجل المقابله بين اللفظين كما قال سبحانه وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا (١) و كما

١٦٦٥

قَالَ النَّبِيُّ ص فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا.

و كما قال الشاعر ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٢) .

ثم أمرهم أن يسمعوا أنفسهم دعوه الموت قبل أن يحضر الموت فيحل بهم و مثل قوله تبكى قلوبهم و إن ضحكوا قول الشاعر و إن لم يكن هذا المقصد بعينه قصد كم فاقه مستوره بمروءه

و المقت البغض و اغتبطوا فرحوا .

و قوله أملك بكم مثل أولى بكم و قوله و العاجله أذهب بكم من الآجله أى ذهبت العاجله بكم و استولت عليكم أكثر ممّا ذهبت بكم الآخره و استولت عليكم .

ثم ذكر أن الناس كلهم مخلوقون على فطره واحده و هى دين الله و توحيده و إنّما اختلفوا و تفرقوا باعتبار أمر خارجى عن ذلك و هو خبث سرائرهم و سوء ضمائرهم فصاروا إلى حال لا يتوازرون أى لا يتعاونون و الأصل الهمز آزرته ثم تقلب الهمزه واوا و أصل قوله فلا- توازرون فلا- تتوازرون فحذفت إحدى التاءين كقوله تعالى مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٣) أى لا تتناصرون و التبادل أن وجود بعضهم على بعض بماله و يبذله له.

ص: ٢٤٨

١-١) سورة الشورى ٤٠.

٢-٢) لعمر بن كلثوم، من المعلقات بشرح التبريزى ٢٣٨.

٣-٣) سورة الصافات ٢٥.

و مثل قوله ع ما بالكم تفرحون بكذا و لا تحزنون لكذا و يقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم من هذا قول الرضى رحمه الله نقص
الجديدين من عمرى يزيد على

و الضمير فى يخاف راجع إلى الأخ لا إلى المستقبل له أى ما يخافه الأخ من مواجهته بعينه .

قوله و صار دين أحدكم لعقه على لسانه

١٤٤٤

٣- أَخَذَهُ الْفَرَزْدُقُ فَقَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ع وَ قَدْ لَقِيَهُ قَادِمًا إِلَى الْعِرَاقِ وَ سَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ أَمَّا قُلُوبُهُمْ فَمَعَكَ وَ أَمَّا سِيُوفُهُمْ فَعَلَيْكَ
وَ الدِّينُ لُعَقَهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فَإِذَا امْتَحَصُوا قَلَّ الدِّيَانُونَ

و اللفظه مجاز و أصل اللعقه شىء قليل يؤخذ بالملعقه من الإناء يصف دينهم بالنزاره و القله كتلك اللعقه و لم يقنع بأن جعله
لعقه حتى جعله على ألسنتهم فقط أى ليس فى قلوبهم

ص: ٢٤٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمِيدِ بِالنَّعْمِ وَالنُّعْمِ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آيَاتِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا
 أَمَرَتْ بِهِ السَّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيتْ عَنْهُ وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُعَادِرٍ وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا
 مِنْ عَائِنِ الْغُيُوبِ وَ وَقَفَ عَلَى الْمُؤْعُودِ إِيمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشُّرَكَ وَ يَقِينُهُ الشُّكَّ وَ نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ
 أَنَّ مُحَمَّدًا ص عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ شَهَادَتَيْنِ تَضَعِدَانِ الْقَوْلَ وَ تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ لَا يَخْفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ وَ لَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تَرْفَعَانِ [مِنْهُ]

عَنْهُ أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَ بِهَا الْمَعَادُ زَادٌ مُبْلَغٌ وَ مَعَادٌ مُنْجِحٌ دَعَا إِلَيْهَا أَسْمِعْ دَاعٍ وَ وَعَاهَا خَيْرٌ وَاعٍ فَاسْمِعْ
 دَاعِيَهَا وَ فَازَ وَاعِيَهَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ وَ أَلَزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسِيَهَرَتْ لَيْالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ
 هَوَاجِرَهُمْ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصْبِ وَ الرِّىَ بِالظَّمِّ وَ اسْتَتَفَرُّوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوْا الْأَجَلَ ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ
 فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غَيْرٍ وَ عَبْرٍ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتَرٌ (١) قَوْسُهُ لَا تُحْطِئُ سَهَامُهُ وَ لَا تُؤَسِّي جِرَاحُهُ يَزُمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَ الصَّحِيحَ
 بِالسَّقَمِ وَ النَّاجِيَ بِالْعَطْبِ آكِلٌ لَا يَشْبَعُ وَ شَارِبٌ لَا يَنْفَعُ وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ

ص : ٢٥٠

مَا لَآ- يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَآ- يَسِيكُنُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَآ- مَا لَآ- حَمَلَ وَلَا بِنَاءً نَقَلَ وَ مِنْ غَيْرِهَا أَنْكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ وَ بُؤْسًا نَزَلَ وَ مِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا وَ أَظْمَأَ رِيَّهَا وَ أَضْحَى فَيْئَهَا لَا جَاءَ يُرَدُّ وَ لَا مَاضٍ يَزِيدُ فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِقِ بِهِ وَ أَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبْرُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَادَ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَ زَادَ فِي الدُّنْيَا فَكُمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَاحٍ وَ مَزِيدٍ خَاسِرٍ إِنَّ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ وَ مَا أَحَلَّ لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فَادْرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ قَدْ تَكْفَلْ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَ أَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ فَلَا- يَكُونَنَّ الْمُضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ اغْتَرَضَ الشُّكَّ وَ [دَخَلَ]

دَخَلَ الْيَقِينُ حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ وَ كَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ [وَضِعَ]

وَضِعَ عَنْكُمْ فَيَادِرُوا الْعَمَلَ وَ خَافُوا بَعْتَهُ الْأَجَلَ فَإِنَّهُ لَآ- يُرْجَى مِنْ رَجَعِهِ الْعُمْرُ مَا يُرْجَى مِنْ رَجَعِهِ الرِّزْقُ مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجَى غَدًا زِيَادَتُهُ وَ مَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ

رَجَعْتُهُ الرَّجَاءَ مَعَ الْجَائِي وَالْيَأْسَ مَعَ الْمَاضِي فَ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

لقائل أن يقول أما كونه واصل الحمد له من عباده بالنعم منه عليهم فمعلوم فكيف قال إنه يصل النعم المذكوره بالشكر والشكر من أفعال العباد وليس من أفعاله ليكون واصلا للنعم به و جواب هذا القائل هو أنه لما وفق العباد للشكر بعد أن جعل وجوبه في عقولهم مقررًا و بعد أن أقدرهم عليه صار كأنه الفاعل له فأضافه إلى نفسه توسعا كما يقال أقام الأمير الحدّ و قتل الوالى اللصّ فأما حمده سبحانه على البلاء كحمده على الآلاء فقد تقدم القول فيه و من الكلام المشهور سبحانه من لا يحمد على المكروه سواه و السر فيه أنه تعالى إنما يفعل المكروه بنا لمصالحنا فإذا حمدناه عليه فإنما حمدناه على نعمه أنعم بها و إن كانت في الظاهر بليه و ألما.

فإن قلت فقد كان الأحسن في البيان أن يقول نحمده على بلائه كما نحمده على آلائه قلت إنما عكس لأنه جاء باللفظين في معرض ذكر النعم و الشكر عليها فاستهجن أن يلقبها بلفظه الحمد على البلاء للمنافره التي تكون بينهما فقال نحمده على هذه الآلاء التي أشرنا إليها التي هي آلاء في الحقيقة و هذا ترتيب صحيح منتظم .

ثم سأل الله أن يعينه على النفس البطيئه عن الأمور به السريعه إلى المنهى عنه

١٦٦٧

وَمِنْ دُعَاءِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا بَيْنَ جَنْبَيْ قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ .

و فسر قوم من أهل الطريقة و الحقيقة قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا

ص: ٢٥٢

الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَهُ

(١)

قالوا أراد مجاهدته النفوس و

١٦٦٨

مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَبَتِ الْأَنْفُسِ إِلَّا حُبَّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ وَإِنَّ حُبَّهُمَا لَأَذْهَبُ بِعِدِّينِ أَحَدِكُمْ مِنْ ذُنُوبِنِ ضَارِيَيْنِ بَاتَا فِي زُرِّيْبِهِ
عَنَّمِ إِلَى الصَّبَاحِ فَمَا ذَا يَبْقَيَانِ مِنْهَا .

ثم شرع في استغفار الله سبحانه من كل ذنب و عبر عن ذلك بقوله مما أحاط به علمه و أحصاه كتابه لأنه تعالى عالم بكل شيء
و محيط بكل شيء و قد أوضح ذلك بقوله علم غير قاصر و كتاب غير مغادر أى غير مبق شيئاً لا يحصيه قال تعالى مَا لَهُ ذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا (٢) .

ثم قال و تؤمن به إيمان من عاين و شاهد لأن إيمان العيان أخلص و أوثق من إيمان الخبر فإنه ليس الخبر كالعيان و هذا إشاره
إلى إيمان العارفين الذين هوع سيدهم و رئيسهم و لذلك

١٦٦٩

قَالَ

لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا .

و قوله تصعدان القول إشاره إلى قوله تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (٣) و روى تصعدان القول بالسین أى
هما شهادتان بالقلب يعاضدان الشهادة باللسان و يسعدانها .

ثم ذكر أنهما شهادتان لا يخف ميزان هما فيه و لا يثقل ميزان رفعا عنه .

أما أنه لا- يثقل ميزان رفعا عنه فهذا لا- كلام فيه و إنما الشأن فى القضية الأولى لأن ظاهر هذا القول يشعر بمذهب المرجئه
الخلص و هم أصحاب مقاتل بن سليمان القائلون إنه لا يضر مع الشهادتين معصيه أصلا و إنه لا يدخل النار من فى قلبه ذره من
الإيمان

ص: ٢٥٣

١-١ (١) سورة التوبة ١٢٣.

٢-٢ (٢) سورة الكهف ٤٩.

و لهم على ذلك احتجاج قد ذكرناه فى كتبنا الكلاميه فنقول فى تأويل ذلك إنه لم يحكم بهذا على مجرد الشهادتين وإنما حكم بهذا على شهادتين مقيدتين قد وصفهما بأنهما يصعدان القول و يرفعان العمل و تانك الشهادتان المقيدتان بذلك القيد إنما هو الشهادتان اللتان يقارنهما فعل الواجب و تجنب القبيح لأنه إن لم يقارنهما ذلك لم يرفعا العمل و إذا كان حكمه ع بعد خفه ميزان هما فيه إنما هو على شهادتين مقيدتين لا مطلقتين فقد بطل قول من يجعل هذا الكلام حجه للمرجئه . ثم أخذ فى الوصاه بالتقوى و قال إنما الزاد فى الدنيا الذى يزود منه لسفر الآخره و بها المعاذ مصدر من عذت بكذا أى لجأت إليه و اعتصمت به .

ثم وصفهما أعنى الزاد و المعاذ فقال زاد مبلغ أى يبلغك المقصد و الغايه التى تسافر إليها و و معاذ منجح أى يصادف عنده النجاح .

دعا إليها أسمع داع

يعنى البارئ سبحانه لأنه أشد الأحياء أسماعا لما يدعوهم إليه و بناء أفعل هاهنا من الرباعى كما جاء ما أعطاه للمال و ما أولاه للمعروف و أنت أكرم لى من زيد أى أشد إكراما و هذا المكان أفقر من غيره أى أشد إفقارا و فى المثل أفلس من ابن المذلق (١) و روى دعا إليها أحسن داع أى أحسن داع دعا و لا- بدّ من تقرير هذا المميز لأنه تعالى لا- توصف ذاته بالحسن و إنما يوصف بالحسن أفعاله .

و وعاهها خير واع

أى من وعاهها عنه تعالى و عقلها و أجاب تلك الدعوه فهو خير واع.

و قيل عنى بقوله أسمع داع رسول الله ص و عنى بقوله خير واع نفسه لأنه أنزل فيه وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (٢) و الأول أظهر.

ص: ٢٥٤

١- ١) فى القاموس: «و ابن المذاق من عبد شمس لم يكن يجد بيت ليله، و لا أبوه و لا أجداده، فقيل: «أفلس من ابن المذاق».

٢- ٢) سوره الحاقه ١٢.

ثم قال فأسمع داعيها أى لم يبق أحدا من المكلفين إلا وقد أسمعته تلك الدعوه و فاز واعيها أفلح من فهمها و أجاب إليها لا بد من تقدير هذا و إلا فأى فوز يحصل لمن فهم و لم يجب و التقوى خشيه الله سبحانه و مراقبته فى السر و العلن و الخشيه أصل الطاعات و إليها وقعت الإشاره بقوله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (١) و قوله سبحانه وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (٢).

قوله حتى أسهرت لياليهم و أظمأت هواجرهم من قول العرب نهارة صائم و ليله قائم نقلوا الفعل إلى الظرف و هو من باب الاتساع الذى يجرون فيه الظروف مجرى المفعول به فيقولون الذى سرت يوم الجمعة أى سرت فيه و قال و يوم شهدناه سليما و عامرا (٣) أى شهدنا فيه سليما و قد اتسعوا فأضافوا إلى الظروف فقالوا يا سارق الليله أهل الدار (٤) و قال تعالى بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ (٥) فأخرجوهما بالإضافه عن الظرفيه .

قوله ع فأخذوا الراحة النصب يروى فاستبدلوا الراحة و النصب التعب و استقربوا الأجل رأوه قريبا.

فإن قلت لما ذا كرر لفظه الأجل و فى تكرارها مخالفه لفن البيان قلت إنه استعملها فى الموضوعين بمعنيين مختلفين فقوله استقربوا الأجل يعنى المده و قوله فلاحظوا الأجل يعنى الموت نفسه.

ص: ٢٥٥

١-١) سورة الحجرات ١٣.

٢-٢) سورة الطلاق ٢.

٣-٣) الكتاب ٩: ١، و نسبه لبعض بنى عامر، و بقيته: *قليل سوى طعن النهال نوافله*

٤-٤) الكتاب لسيبويه ٨٩: ١، و نسبه إلى بعض الرجاز.

٥-٥) سورة سبأ ٣٣.

و يروى موتر و موتر بالتشديد و لا تؤسى جراحه لا تطب و لا تصلح أسوت الجرح أى أصلحته و لا ينقع لا يروى شرب حتى
نقع أى شف عليه و ماء نافع و هو كالناجع و ما رأيت شربه انقع منها .

و إلى قوله ع يجمع ما لا يأكل و يبني ما لا يسكن نظر الشاعر فقال أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنيها.

و قال آخر ألم تر حوشبا أمسى يبني قوله و من غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا و المغبوط مرحوما أى يصير الفقير غنيا و
الغنى فقيرا و قد فسره قوم فقالوا أراد أنك ترى من هو فى باطن الأمر مرحوم مغبوطا و ترى من هو فى باطن الأمر مغبوط
مرحوما أى تحسب ذاك و تتخيله و هذا التأويل غير صحيح لأن قوله بعده ليس ذلك إلا- نعيما زل و بؤسا نزل و يكذبه و
يصدق التفسير الأول .

و أضحى فيئها من أضحى الرجل إذا برز للشمس ثم قال لا جاء يرد و لا ماض يرتد أى يسترد و يسترجع أخذه أبو العتاهيه فقال
فلا أنا راجع ما قد مضى لى و لا أنا دافع ما سوف يأتى .

و إلى قوله ما أقرب الحى من الميت للحاقه به و ما أبعد الميت من الحى لانقطاعه عنه نظر الشاعر فقال يا بعيدا عنى و ليس بعيدا
من لحاقى به سميع قريب

صرت بين الورى غريبا كما أنك تحت الثرى وحيد غريب فإن قلت ما وجه تقسيمه ع الأمور التى عددها إلى الفناء و العناء و الغير و العبر قلت لقد أصاب الثغره و طبق المفصل أ لا تراه ذكر فى الفناء رمى الدهر الإنسان عن قوس الردى و فى العناء جمع ما لا يأكل و بناء ما لا يسكن و فى الغير الفقر بعد الغنى و الغنى بعد الفقر و فى العبر اقتطاع الأجل الأمل فقد ناط بكل لفظه ما يناسبها .

و قد نظر بعض الشعراء إلى قوله ع ليس شىء بشر من الشر إلاّ- عقابه و ليس شىء بخير من الخير إلاّ ثوابه فقال خير البضائع للإنسان مكرمه

إلاّ أن أمير المؤمنين ع استثنى العقاب و الثواب و الشاعر جعل مكانهما فاعل الخير و الشر .

ثمّ ذكر أن كل شىء من أمور الدنيا المرغبه و المرهبه سماعه أعظم من عيانه و الآخره بالعكس و هذا حقّ أما القضيّه الأولى فظاهره و قد قال القائل اهتر عند تمنى وصلها طربا و ربّ أمنيه أحلى من الظفر.

و لهذا يحرص الواحد منا على الأمر فإذا بلغه برد و فتر و لم يجده كما كان يظن فى اللذه و يوصف لنا البلد البعيد عنا بالخصب و الأمن و العدل و سماح أهله و حسن نسائه و ظرف رجاله فإذا سافرنا إليه لم نجده كما وصف بل ربما وجدنا القليل من ذلك و يوصف لنا الإنسان الفاضل بالعلم بفنون من الآداب و الحكم و يبالغ الواصفون فى ذلك فإذا اختبرناه وجدناه دون ما وصف و كذلك قد يخاف الإنسان حبسا أو ضربا أو نحوهما فإذا

وقع فيهما هان ما كان يتخوفه و وجد الأمر دون ذلك و كذلك القتل و الموت فإن ما يستعظمه الناس منهما دون أمرهما في الحقيقة و قد قال أبو الطيب و هو حكيم الشعراء كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهل فيها إذا هو كانا (١).

و يقال في المثل ليج الخوف تأمن و أما أحوال الآخرة فلا ريب أن الأمر فيها بالضد من ذلك لأن الذي يتصوره الناس من الجنة أنها أشجار و أنهار و مأكول و مشروب و جماع و أمرها في الحقيقة أعظم من هذا و أشرف لأن ملاذها الروحانية المقارنه لهذه الملاذ المضاده لها أعظم من هذه الملاذ بطبقات عظيمه و كذلك أكثر الناس يتوهمون أن عذاب النار يكون أياما و ينقضى كما يذهب إليه المرجئه أو أنه لا عذاب بالنار لمسلم أصلا كما هو قول الخالص من المرجئه و أن أهل النار يألفون عذابها فلا يستضرون به إذا تناول الأمد عليهم و أمر العذاب أصعب ممّا يظنون خصوصا على مذهبنا في الوعيد و لو لم يكن إلا آلام النفوس باستشعارها سخط الله تعالى عليها فإن ذلك أعظم من ملاقاته جرم النار لبدن الحى.

و فى هذا الموضوع أبحاث شريفه دقيقه ليس هذا الكتاب موضوعا لها .

ثم أمرهم بأن يكتفوا من عيان الآخرة و غيبها بالسمع و الخبر لأنه لا سبيل و نحن فى هذه الدار إلى أكثر من ذلك .

و إلى قوله ما نقص من الدنيا و زاد فى الآخرة خيرا ممّا نقص من الآخرة و زاد فى الدنيا نظر أبو الطيب فقال إلا أنه أخرجه فى مخرج آخر بلاد ما اشتهيت رأيت فيها فليس يفوتها إلا كرام (٢).

ص: ٢٥٨

١-١) ديوانه ٢٤١:٤.

٢-٢) ديوانه ٧٣:٤.

فهلا كان نقص الأهل فيها

و كان لأهلها منها التمام

ثم قال فكم من منقوص فى دنياه و هو رابح فى آخرته و كم من مزيد فى دنياه و هو خاسر فى آخرته ثم قال إن الذى أمرتم به أوسع من الذى نهيتم عنه و ما أحل لكم أكثر ممّا حرم عليكم الجملة الأولى هى الجملة الثانية بعينها و إنّما أتى بالثانية تأكيدا للأولى و إيضاحا لها و لأن فن الخطاب و الكتابه هكذا هو و ينتظم كلتا الجملتين معنى واحد و هو أن فيما أحل الله غنى عما حرم بل الحلال أوسع ألا ترى أن المباح من المآكل و المشارب أكثر عددا و أجناسا من المحرمات فإن المحرم ليس إلا الكلب و الخنزير و أشياء قليلة غيرهما و المحرم من المشروب الخمر و نحوها من المسكر و ما عدا ذلك حلال أكله و شربه و كذلك القول فى النكاح و التسرى فإنهما طريقان مهيعان إلى قضاء الوطر و السفاح طريق واحد و الطريقان أكثر من الطريق الواحد.

فإن قلت فكيف قال إن الذى أمرتم به فسمى المباح مأمورا به قلت سمي كثير من الأصوليين المباح مأمورا به و ذلك لاشتراكه مع المأمور به فى أنه لا حرج فى فعله فأطلق عليه اسمه و أيضا فإنه لما كان كثير من الأمور التى عددناها مندوبا أطلق عليه لفظ الأمر لأن المندوب مأمور به و ذلك كالنكاح و التسرى و أكل اللحوم التى هى سبب قوه البدن و شرب ما يصلح المزاج من الأشربة التى لا حرج فى استعمالها و قال بعض العقلاء لبنيه يا بنى إنه ليس كل شىء من اللذنه ناله أهل الخساره بخسارتهم إلا ناله أهل المروده و الصيانه بمرودتهم و صيانتهم فاستتروا بستر الله

١٦٧٠

٨- وَ دَخَلَ إِنْشَاءً عَلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى الرِّضَاعِ وَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مُزْتَفَعَةٌ الْقَيْمَةِ فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَ تَلْبَسُ مِثْلَ هَذَا فَقَالَ لَهُ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

ص: ٢٥٩

ثم أمر بالعمل والعبادة ونهى عن الحرص على طلب الرزق فقال إنكم أمرتم بالأول وضمن لكم الثانى فلا تجعلوا المضمون حصوله لكم هو المخصوص بالحرص والاجتهاد بل ينبغى أن يكون الحرص والاجتهاد فيما أمرتم بعمله وهو العبادة وقد يتوهم قوم أنه ارتفع طلبه بالمضنون كقولك المضروب أخوه وهذا غلط لأنه لم يضمن طلبه وإنما ضمن حصوله ولكنه ارتفع لأنه مبتدأ وخبره أولى وهذا المبتدأ والخبر فى موضع نصب لأنه خبر يكونن أو ارتفع لأنه بدل من المضنون وهذا أحسن وأولى من الوجه الأوّل وهو بدل الاشتمال .

ثم ذكر أن رجعه العمر غير مرجوه ورجعه الرزق مرجوه أوضح ذلك بأن الإنسان قد يذهب منه اليوم درهم فيستعيضه أى يكتسب عوضه فى الغد ديناراً وأما أمس نفسه فمستحيل أن يعود ولا مثله لأن الغد وبعد الغد محسوب من عمره وليس عوضاً من الأمس الذاهب وهذا الكلام يقتضى أن العمر مقدور وأن المكاسب والأرزاق إنما هى بالاجتهاد وليست محصوره مقدره وهذا يناقض فى الظاهر ما تقدم من قوله إن الرزق مضمون فلا تحرصوا عليه فاحتاج الكلام إلى تأويل وهو أن العمر هو الظرف الذى يوقع المكلف فيه الأعمال الموجهه له السعاده العظمى المخلصه له من الشقاوه العظمى وليس له ظرف يوقعها فيه إلا هو خاصه فكل جزء منه إذا فات من غير عمل لما بعد الموت فقد فات على الإنسان بفواته ما لا سبيل له إلى استدراكه بعينه ولا اغترام مثله لأن المثل الذى له إنما هو زمان آخر وليس ذلك فى مقدور الإنسان والزمان المستقبل الذى يعيش فيه الإنسان لم يكتسبه هو لينسب إليه فيقال إنه حصله عوضاً مما انقضى وذهب من عمره وإنما هو فعل غيره ومع ذلك فهو معد ومهيأ لأفعال من العباده توقع فيه كما كان الجزء الماضى معداً لأفعال

توقع فيه فليس أحدهما عوضاً عن الآخر ولا - قائماً مقامه و أما المنافع الدنيوية كالمآكل و المشارب و الأموال فإن الإنسان إذا فاته شيء منها قدر على ارتجاعه بعينه إن كانت عينه باقيه و ما لا تبقى عينه يقدر على اكتساب مثله و الرزق و إن كان مضموناً من الله إلا أن للحركة فيه نصيباً إما أن يكون شرطاً أو أن يكون هو بذاته من أثر قدره الإنسان كحركته و اعتماده و سائر أفعاله و يكون الأمر بالتوكل و النهي عن الاجتهاد فى طلب الرزق على هذا القول إنما هو نهى عن الحرص و الجشع و التهاكك فى الطلب فإن ذلك قبيح يدل على دناءه الهمه و سقوطها.

ثم هذه الأغراض الدنيوية إذا حصلت أمثالها بعد ذهابها قامت مقام الذاهب لأن الأمر الذى يراد الذاهب له يمكن حصوله بهذا المكتسب و ليس كذلك الزمان الذاهب من العمر لأن العبادات و الأعمال التى كان أمس متعينا لها لا يمكن حصولها اليوم على حد حصولها أمس فافترق البابان باب الأعمال و باب الأرزاق .

و قوله الرجاء مع الجائى و اليأس مع الماضى كلام يجرى مجرى المثل و هو تأكيد للمعنى الأول و جعل الجائى مرجوا لأنه لا يعلم غيبه قال الشاعر ما مضى فات و المقدر غيب و لك الساعة التى أنت فيها و قوله حَقَّ تَقَاتِهِ أَي حَقَّ تَقِيَّتِهِ أَي خَوْفُهُ اتَّقَى يَتَّقَى تَقِيَةً وَ تَقَاهُ وَ وَزَنَهَا فَعَلَهُ وَ أَصْلُهَا الْيَأْسُ وَ مِثْلُهَا اتَّخَمَ تَخْمُهُ وَ اتَّهَمَ تَهْمُهُ

اللَّهُمَّ قَدْ انْصَحَتْ جِبَالُنَا وَ اغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَ هَامَتْ دَوَابُّنَا وَ تَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الشَّكَايِ عَلَى أَوْلَادِهَا وَ مَلَّتِ التَّرْدُدَ فِي مَرَاتِعِهَا وَ الْحَيْنِ إِلَى مَوَارِدِهَا اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْنَ الْآنَ وَ حَيْنَ الْحَائَةِ اللَّهُمَّ فَارْحَمْ خَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَ أَيْنَهَا فِي مَوَالِجِهَا اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اغْتَكَّرَتْ عَلَيْنَا حُدَايِيرُ السِّنِينَ وَ أَخْلَفْتَنَا مَخَايِلُ الْجُودِ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَسِسِ وَ الْبَلَغَ لِلْمُلْتَمِسِ نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ وَ مُنِعَ الْعَمَامُ وَ هَلَكَ السَّوَامُ أَلَّا تُوَاحِدَنَا بِأَعْمَالِنَا وَ لَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا وَ انْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُسْبِقِ وَ الرَّبِيعِ الْمُعْدِقِ وَ النَّبَاتِ الْمُوقِ سَيْحًا وَابِلًا تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَهُ مُرْوِيَهُ تَامَهُ عَامَهُ طَيِّبَهُ مُبَارَكَهُ هَنِئَهُ [مَرِيئَهُ]

مَرِيئَهُ زَاكِيًا نَبْتُهَا ثَامِرًا فَوْعُهَا نَاصِرًا وَرَقُهَا تُعْشُ بِهَا الضَّعِيفُ مِنْ عِبَادِكَ وَ تُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا وَ تَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا وَ يُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا وَ تُقْبَلُ بِهَا ثَمَارُنَا وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا وَ تَنْدِي بِهَا أَقَاصِينَا وَ تَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ وَ عَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُزْمَلَةِ وَ وَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ وَ أَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِئَةً مَدْرَارًا هَاطِلَةً يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ وَ يَخْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا

الْقَطْرُ غَيْرَ خُلْبٍ بَرَقَهَا وَلَا جَهَامٍ عَارِضٌ هَا وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا وَلَا شَفَانَ ذَهَابُهَا حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُحْدَبُونَ وَيَحْيَا بَبْرَكَتِهَا
الْمُسْتَبُونَ فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ .

قال الشريف الرضى رحمه الله تعالى قوله ع انصاحت جبالنا أى تشققت من المحول يقال انصاح الثوب إذا انشق و يقال أيضا انصاح النبات و صاح و صوح إذا جف و يبس كله بمعنى.

و قوله و هامت دوابنا أى عطشت و الهيام العطش.

و قوله حدابير السنين جمع حدبار و هى الناقه التى أنصاها السير فشبه بها السنه التى فشا فيها الجذب قال ذو الرمه حدابير ما تنفك إلا مناخه على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا (1) و قوله و لا قزع ربابها القزع القطع الصغار المتفرقه من السحاب.

و قوله و لا شفان ذهابها فإن تقديره و لا ذات شفان ذهابها و الشفان الريح الباردة و الذهاب الأمطار اللينه فحذف ذات لعلم السامع به

ص: ٢٤٣

(١ - ١) ديوانه ١٧٣، و روايته: «حراجيج ما تنفك».

يجوز أن يريد بقوله و هامت دوابنا معنى غير ما فسره الشريف الرضى رحمه الله به و هو ندودها و ذهابها على وجوهها لشده المحل يقول هام على وجهه يهيم هيمًا و هيمانًا .

و المرابض مبارك الغنم و هى لها كالمواطن للإبل واحدها مريض بكسر الباء مثل مجلس و عجت صرخت و يحتمل الضمير فى أولادها أن يرجع إلى الثكالى أى كعجيج الثكالى على أولادهن و يحتمل أن يرجع إلى الدواب أى و عجت على أولادها كعجيج الثكالى و إنما وصفها بالتحير فى مراضها لأنها لشده المحل تتحير فى مباركها و لا تدرى ما ذا تصنع إن نهضت لترعى لم تجد رعيًا و إن أقامت كانت إلى انقطاع المادة أقرب قوله و ملت التردد فى مراتعها و الحنين إلى مواردها و ذلك لأنها أكثرت من التردد فى الأماكن التى كانت تعهد مراتعها فيها فلم تجد مرتعا فملت التردد إليها و كذلك ملت الحنين إلى الغدران و الموارد التى كانت تعتادها للشرب فإنها حنت إليها لما فقدتها حتى ضجرت و يئست فملت ممًا لا فائده لها فيه .

و الآنه و الحانه الشاه و الناقه و يقال ما له حانه و لا آنه و أصل الأنين صوت المريض و شكواه من الوصب يقال أن يئن أنينا و أنانا و تأنانا .

و الموالح المداخل و إنما ابتدأع بذكر الأنعام و ما أصابها من الجذب اقتفاء بسنه رسول الله ص و لعاده العرب أما سنه رسول الله ص

١٦٧١

فَإِنَّهُ قَالَ لَوْ لَا الْبَهَائِمُ الرَّثَعُ وَ الصَّبِيَانُ الرَّضَعُ وَ الشُّيُوخُ الرَّكْعُ لَصَبَّ

ص: ٢٦٤

و قد ذهب كثير من الفقهاء إلى استحباب إخراج البهائم في صلاه الاستسقاء و تقدير دعائه ع اللّهم إن كنت حرمتنا الغيث لسوء أعمالنا فارحم هذه الحيوانات التي لا ذنب لها و لا تؤاخذها بذنوبنا و أما عاده العرب فإنهم كانوا إذا أصابهم المحل استسقوا بالبهائم و دعوا الله بها و استرحموه لها و منهم من كان يجعل في أذنان البقر السلع و العشر (١) و يصعد بها في الجبال و التلاع العاليه و كانوا يسقون بذلك و قال الشاعر أ جاعل أنت بيقورا مسلعه ذريعه لك بين الله و المطر (٢) فاعتكرت ردف بعضها بعضا و أصل عكر عطف و العكره الكره و

١٦٧٢

١٤- فِي الْحَدِيثِ قَالَ لَهُ قَوْمٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الْفَرَّارُونَ فَقَالَ بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَارُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(٣)

و البيت الذى ذكره الرضى رحمه الله لذى الرمه لا أعرفه إلا حراجيج و هكذا رأيت بنخط ابن الخشاب رحمه الله و الحرجوج الناقه الضامرہ فى طول.

و فيه مسأله نحويه و هى أنه كيف نقض النفى من ما تنفك و هو غير جائز كما لا يجوز ما زال زيد إلا قائما و جوابها أن تنفك هاهنا تامه أى ما تنفصل و مناخه منصوب على الحال .

قوله و أخلفتنا مخايل الجود أى كلما شمنا برقا و اختلنا سحابا أخلفنا و لم يمطر.

و الجود المطر الغزير و يروى مخايل الجود بالضم.

ص: ٢٦٥

١- (١) السلع: نبات، و قيل: شجر مَرّ. و العشر: شجر من العضاء، و له صمغ حلو.

٢- (٢) اللسان ٢٥: ١٠، و نسبه إلى الورك الطائى.

٣- (٣) النهايه لابن الأثير ١٢٠: ٣؛ قال فى شرحه: «أى الكرارون إلى الحرب، و العطاфон نحوها؛ يقال للرجل الذى يولى عن الحرب ثم يكر راجعا إليها: عكر و اعتكر».

و المبتس ذو البؤس و البلاغ للمتمس أى الكفايه للطالب .

و تقول قنط فلان بالفتح يقنط و يقنط بالكسر و الضم فهو قانط و فيه لغه أخرى قنط بالكسر يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعباً و قنطه أيضا فهو قنط و قرئ ^قفلا ^قتكن من القانطين (١) .

و إنما قال و منع الغمام فبنى الفعل للمفعول به لأنه كره أن يضيف المنع إلى الله تعالى و هو منبع النعم فاقضى حسن الأدب أنه لم يسم الفاعل و روى منع الغمام أى و منع الغمام القطر فحذف المفعول و السوام المال الراعى .

فإن قلت ما الفرق تؤاخذنا و بين تأخذنا .

قلت المؤاخذة دون الأخذ لأن الأخذ الاستئصال و المؤاخذة عقوبه و إن قلت .

و السحاب المنبعق المتبعج بالمطر و مثله المتبعق و مثله البعاق و الربيع المغدق الكثير و النبات المونق المعجب .

و انتصب سحا على المصدر و الوابل المطر الشديد .

ثم قال تحيى به ما قد مات أى يكاد يتلف بها من الزرع و ترد به ما قد فات أى يستدرك به الناس ما فاتهم من الزرع و الحرث .

و السقيا مؤنثه و هى الاسم من سقى و المريعه الخصبه .

و ثامرا فرعها ذو ثمر كما قالوا لابن و تامر ذو لبن و تمر .

و تنعش ترفع و النجاد جمع نجد و هو ما ارتفع من الأرض و الوهاد جمع وهد و هو المطمئن منها و روى نجادنا بالنصب على أنه مفعول .

ص: ٢٦٦

قوله و تندى بها أقاصينا أى الأبعاد منا و يندى بها ينتفع نديت بكذا أى انتفعت .

و الضواحي النواحي القريبه من المدينه العظمى و المرملة الفقيره أرمل افتقر و نفد زاده و وحشك المهمله التى لا راعى لها و لا صاحب و لا مشفق .

و سماء مخضله تخضل النبات أى تبله و روى مخضله أى ذات نبات و زروع مخضله يقال اخضل النبات اخضلالا أى ابتل و إنما أنت السماء و هو المطر و هو مذكر لأنه أراد الأمطار و الودق المطر و يحفز يدفع بشده و إذا دفع القطر القطر كان أعظم و أغزر له .

و برق خلب لا مطر معه و سحاب جهام لا ماء فيه و المجذبون أهل الجذب و المستنون الذين أصابتهم السنه و هى المحل و القحط الشديد

صلاه الاستسقاء و آدابها

و اعلم أن صلاه الاستسقاء عند أكثر الفقهاء سنه.

و قال أبو حنيفه لا صلاه للاستسقاء قال أصحابه يعنى ليست سنه فى جماعه و إنما يجوز أن يصلى الناس وحدانا قالوا و إنما الاستسقاء هو الدعاء و الاستغفار.

و قال باقى الفقهاء كالشافعى و أبى يوسف و محمد و غيرهم بخلاف ذلك قالوا و

١٤٧٣

١٤- قَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص صَلَّى بِالنَّاسِ جَمَاعَةً فِي الْإِسْتِسْقَاءِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ جَهْرًا بِالْقِرَاءَةِ فِيهِمَا وَ حَوْلَ رِدَاءِهِ وَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَ اسْتَسْقَى .

قالوا و السنه أن يكون فى المصلى و إذا أراد الإمام الخروج لذلك وعظ الناس و أمرهم بالخروج من المظالم و التوبه من المعاصى لأن ذلك يمنع القطر.

ص: ٢٦٧

قَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ إِذَا بُخِسَ الْمِكْيَالُ حُبِسَ الْقَطْرُ.

□
وَ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١) قَالَ دَوَابُّ الْأَرْضِ تَلْعَنُهُمْ يَقُولُونَ مَنَعَنَا الْقَطْرَ بِخَطَايَاهُمْ.

قالوا و يأمر الإمام الناس بصوم ثلاثة أيام قبل الخروج ثم يخرج في اليوم الرابع و هم صيام و يأمرهم بالصدقة و يستسقى بالصالحين من أهل بيت رسول الله ص كما فعل عمر و يحضر معه أهل الصلاح و الخير و يستسقى بالشيخ و الصبيان.

و اختلفوا في إخراج البهائم فمنهم من استحب ذلك و منهم من كرهه و يكره إخراج أهل الذمة فإن حضروا من عند أنفسهم لم يمنعوا و الغسل و السواك في صلاة الاستسقاء عندهم مسنونان و لا يستحب فيهما التطيب لأن الحال لا يقتضيه.

و ينبغي أن يكون الخروج بتواضع و خشوع و إخبارات كما خرج رسول الله ص للاستسقاء.

قالوا و لا يؤذن لهذه الصلاة و لا يقام و إنما ينادى لها الصلاة جامعته و هي ركعتان كصلاة العيد يكبر في الأولى سبع تكبيرات و في الثانية خمس تكبيرات.

قالوا و يخطب بعد الصلاة خطبتين و يكون دعاء الاستسقاء في الخطبة الأولى.

قالوا فيقول اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا طبقا سحا دائما اللهم اسقنا الغيث و لا تجعلنا من القانطين اللهم إن بالعباد و البلاد من اللأواء و الضنك و الجهد ما لا نشكوه إلا إليك اللهم أنبت لنا الزرع و أدر لنا الضرع و اسقنا من بركات السماء اللهم اكشف عنا الجهد و الجوع و العرى و اكشف عنا ما لا يكشفه غيرك اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا .

١٤- قَالُوا وَيُسَيِّحُ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فِي أَثْنَاءِ الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ وَيُحَوِّلُ رِدَاءَهُ فَيَجْعَلُ مَا عَلَى الْأَيْمَنِ عَلَى الْأَيْسَرِ وَمَا عَلَى الْأَيْسَرِ عَلَى الْأَيْمَنِ تَفَاؤُلًا- بِتَحْوِيلِ الْحَالِ وَكَذَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص فَعَلَ . وَ يَسْتَحِبُّ لِلنَّاسِ أَنْ يَحْوِلُوا أَرْدِيَتَهُمْ مِثْلَهُ وَيَتْرَكُوهَا كَمَا هِيَ وَلَا يَعِيدُوهَا إِلَى حَالِهَا الْأُولَى إِلَّا إِذَا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ.

و يستحب أن يدعو في الخطبة الثانية سرا فيجمع بين الجهر والسر كما قال سبحانه و تعالى إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (١) و كقوله تعالى وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ (٢) قالوا و يستحب رفع اليد في هذا الدعاء و أن يكثروا من الاستغفار لقوله تعالى اِسْتِغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (٣) فإن صلوا و استسقوا فلم يسقوا عادوا من الغد و صلوا و استسقوا و إن سقوا قبل الصلاة صلوا شكرا و طلبا للزيادة.

قالوا و يستحب أن يقفوا تحت المطر حتى يصيبهم و أن يحسروا له عن رءوسهم و

١٤- قَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حَسَرَ عَنْ رَأْسِهِ حَتَّى أَصَابَهُ مَطَرٌ الْإِسْتِسْقَاءِ .

و يستحب إذا سال الوادي أن يغتسلوا فيه و يتوضؤوا منه.

و قد استحب قوم من الفقهاء أن يخرج الناس للاستسقاء حفاه حاسرين و الأكثرون على خلاف ذلك.

فأما مذهب الشيعة في هذه المسألة فإن يستقبل الإمام القبلة بعد صلاة الركعتين فيكبر الله مائه تكبيره و يرفع بها صوته و يكبر من حضر معه ثم يلتفت عن يمينه فيسبح الله مائه تسيحه يرفع بها صوته و يسبح معه من حضر ثم يلتفت عن يساره فيهلل الله

ص: ٢٦٩

١-١) سورة نوح ٩.

٢-٢) سورة الأنعام ٦٣.

٣-٣) سورة نوح ١١، ١٠.

مائة مره يرفع بها صوته و يقول من حضر مثل ذلك ثم يستقبل الناس بوجهه فيحمد الله مائه مره يرفع بها صوته و يقول معه من حضر مثل ذلك ثم يخطب بهذه الخطبه المرويّه عن أمير المؤمنين ع في الاستسقاء فإن لم يتمكن منها اقتصر على الدعاء

أخبار و أحاديث في الاستسقاء

١٤٧٨

١٤- و حياء في الأخبار الصحيحه رؤيا رقيقه في الجاهليه و هي رقيقه بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف (١) قالت رقيقه تتابع على قریش سينون أقحلت (٢) الصرع و أرقب العظم فبينما أنا راقده (٣) اللهم أو مهوومه (٤) و معي صينوى (٥) إذا أنا بهاتف صيت (٦) يصرخ بصوت صحل (٧) يا معشر قریش إن هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه و هذا إبان نجومه (٨) فحيهلاً (٩) بالخضب و الحيا (١٠) ألا فانظروا رجلاً منكم عظماً جساماً (١١) أبيض بضاً أوطف الأهداب (١٢)

ص: ٢٧٠

- ١- (١) و كانت لده عبد المطلب بن هاشم.
- ٢- (٢) أقحلت، من قحل قحولا، و قحل قحلا إذا يس.
- ٣- (٣) الرقود: النوم بالليل المستحکم الممتد؛ و منه قولهم: طريق مرقد؛ إذا كان بينا ممتدا.
- ٤- (٤) هوموا و تهوموا؛ إذا هزوا هامهم من النعاس.
- ٥- (٥) من الفائق.
- ٦- (٦) الصيت: فيعمل، من صات يصوت و يصات كالصيت من مات، و يقال في معناه: صائت و صات و مصوات.
- ٧- (٧) الصحل: الذي في صوته ما يذهب بجدهته؛ و هو مستلذ في السمع.
- ٨- (٨) إبان نجومه: وقت ظهوره، و هو فعلا، من أب الشىء إذا تهيأ.
- ٩- (٩) فحيهلاً، بألف مزیده، و يجوز التنوين و التنكير، أى عجل.
- ١٠- (١٠) الحيا: المطر؛ لأنه حياه الأرض.
- ١١- (١١) الفائق: «طوالا».
- ١٢- (١٢) أوطف الأهداب: طويها.

سَهْلَ الْخَدَيْنِ أَشَمَّ الْعَرِينِ لَهُ سِنَّةٌ (١) تُهَيِّدِي إِلَيْهِ أَلَا فَلْيَخْلُصْ (٢) هُوَ وَوَلَدُهُ وَلِيُدْلِفَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ أَلَا فَلْيَسْتُنُوا (٣)
عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاءِ وَلِيَمْسُوا مِنَ الطَّيِّبِ وَلِيُطَوُّوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَلِيَكُنْ فِيهِمُ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لِإِدَاتِهِ (٤) فَلْيَسْتَقِ الرَّجُلُ وَلِيُؤْمِنِ الْقَوْمُ أَلَا
فَعِثْتُمْ (٥) إِذَا مَا سِئْتُمْ.

قَالَتْ فَأَصْبَحْتُ عَلِمَ اللَّهُ مَذْعُورَةً قَدْ (٦) قَفَّ جِلْدِي وَوَلَهُ عَقْلِي فَأَقْتَصِي صُتٌ رُؤْيَايَ عَلَى النَّاسِ فَذَهَبْتُ فِي شِعَابِ مَكَّةَ فَوَ الْحُرْمَةَ
وَ الْحَرَمَ إِنْ بَقِيَ أَبْطِحِي إِلَّا وَقَالَ هَذَا شَيْبَةُ الْحَمْدِ (٧). فَتَتَامَتْ (٨) رِجَالُ قُرَيْشٍ وَ انْقَضَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ فَسَنُوا عَلَيْهِمْ مَاءً
وَ مَسُوا طَيِّبًا وَ اسْتَلَمُوا وَ اطَّوَّفُوا ثُمَّ ارْتَقَوْا أَبَا قُبَيْسٍ وَ طَفِقَ الْقَوْمُ يَدْفُونَ حَوْلَ (٩) عَبْدِ الْمُطَلِّبِ مَا إِنْ يُدْرِكُ سَعْيُهُمْ مَهْلَهُ (١٠)
حَتَّى اسْتَقَرُّوا بِدُرُوهِ الْجَبَلِ وَ اسْتَكْفُوا (١١) جَانِبِيهِ.

فَقَامَ فَأَعْتَصَدَ ابْنُ ابْنِهِ مُحَمَّدًا ص فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ

ص: ٢٧١

١- (١) الفائق: «له فخر».

٢- (٢) فليخلص: فليتميز هو و ولده من الناس.

٣- (٣) شن الماء: صبه على رأسه.

٤- (٤) زياده من الفائق؛ قال في شرحه: «يعنى أن مولده و موالد من مضي من آبائه كلها موصوف بالطهر و الزكاه، أو يراد أترابه، و
ذكر الأتراب أسلوب من أساليبهم في تثبيت الصفه و تمكينها».

٥- (٥) غثتم: مطرتم.

٦- (٦) قف شعري: تقبض.

٧- (٧) قال الزمخشري: اسم عبد المطلب عامر؛ و إنما قيل له شيبه الحمد لشيبه كانت في رأسه؛ و عبد المطلب، لأن هاشما تزوج
سلمى بنت زيد النجاريه، فولدته، فلما توفي هاشم و شب الغلام انتزعه المطلب عمه من أمه، و أردفه على راحلته، و قدم به
مكّه. فقال الناس: أردف المطلب عبده.

٨- (٨) التتام: التوافر.

٩- (٩) الدفيف: المر السريع.

١٠- (١٠) المهل، بالإسكان: التؤده؛ أي لا يدرك إسراعهم إبطاءه.

١١- (١١) استكفوا: أحذقوا؛ من الكفه و هي ما استدار.

قَدْ أَيْفَعَ أَوْ كَرَبَ (١) ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةِ وَكَاشَفَ الْكَرْبَةَ أَنْتَ عَالِمٌ غَيْرُ مُعَلِّمٍ وَ مَسْئُولٌ غَيْرُ مُبْخَلٍ وَ هَيْدِهِ عِبَادَاؤُكَ (٢) وَ إِمَاؤُكَ بِعَذْرَاتٍ (٣) حَزَمِكَ يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَيِّئَتَهُمُ الَّتِي أَذْهَبْتَ الْخُفَّ وَ الظِّلْفَ فَاسْمَعَنَّ اللَّهُمَّ وَ أَمْطِرَنَّ عَلَيْنَا غَيْثًا مُغْدِقًا مَرِيحًا سَحًا طَبَقًا دِرَاكًا .

قَالَتْ فَو رَبِّ الْكَعْبَةِ مَا رَامُوا حَتَّى انْفَجَرَتْ السَّمَاءُ بِمَائِهَا وَ اكْتَنَزَ الْوَادِي بِشَجِيحِهِ (٤) وَ انْصَرَفَ النَّاسُ يَقُولُونَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ هَيْثًا لَكَ سَيِّدَ الْبَطْحَاءِ .

وَ فِي رِوَايَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى قَالَ فَسَجَعْنَا شَيْخَانَ (٥) قُرَيْشٍ وَ جُلَّتْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جُرْدَعَانَ وَ حَزَبَ بْنَ أُمَيَّةَ وَ هِشَامَ بْنَ الْمُغِيرَةَ يَقُولُونَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ هَيْثًا لَكَ أبا الْبَطْحَاءِ (٦) وَ فِي ذَلِكَ قَالَ شَاعِرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَ قَدْ رَوَى هَذَا الشُّعْرَ لِرُقَيْقَةَ بِشَيْبَةَ الْحَمْدِ أَسْقَى اللَّهُ بِلَدَّتْنَا

(٧)

و

١٦٧٩

١٤- فِي الْحَدِيثِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَصَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَحْطٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَ هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الشَّاءُ هَلْكَ الزَّرْعُ (٨) ادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَشْقِينَا فَمَدَّ ع يَدَهُ وَ دَعَا وَ اسْتَسْقَى

ص: ٢٧٢

١- ١) كرب، أى قرب من الإيقاع.

٢- ٢) العبداء و العبدى: العبيد.

٣- ٣) العذرات: جمع العذرة؛ و هى الفناء.

٤- ٤) الشجيج: المشجوج، أى المصبوب.

٥- ٥) الشيخان: جمع شيخ، كالضيفان فى جمع ضيف.

٦- ٦) الخبر فى الفائق ٣١٤: ٢-٣١٧.

٧- ٧) اجلوذ المطر، أى امتد وقت تأخره و انقطاعه.

٨- ٨) سبل: أى مطر جود هاطل.

وَإِنَّ السَّمَاءَ كَمَثَلِ الرُّجَاحِ فَمَا جِئَ رِيحٌ ثُمَّ أُنشِأتْ سَيَّحَابًا ثُمَّ اجْتَمَعَ ثُمَّ أُرْسِلَتْ عَزَّالِيهَا (١) فَخَرَجْنَا نَحْوُصُ المِيَاءِ حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا وَدَامَ القَطْرُ فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَتِ اليُبُوتُ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يَحْبِسَهُ عَنَّا فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ص ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا قَالَ أَنَسٌ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى السَّحَابِ وَإِنَّهُ لَقَدْ انْجَابَ حَوْلَ المَدِينَةِ كَأَلْيَكَلِيلٍ

(٢)

١٤٨٠

١٤- فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهُ عِ اسْتَشِيَقِي حِينَ يَدَا قَرْنِ الشَّمْسِ فَقَعِدَ عَلَيَّ المُنْبِرِ وَحَمِدَ اللَّهُ وَكَبَّرَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ حَيْدَبَ دِيَارِكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ فَاذْعُوهُ ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ العِنْيُ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ فَانزِلْ عَلَيْنَا العَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا تُنزِلُهُ عَلَيْنَا قُوَّةً لَنَا وَبَلَاغًا إِلَى حِينَ بَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ فَانْشَأَ اللَّهُ سَيَّحَابًا فَرَعِيدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ فَلَمَّ يَأْتِ عِ مَنْزِلُهُ حَيْثِي سَالَتِ السُّيُُولُ فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الكِنِّ ضَحِكَ حَتَّى يَدَتْ نَوَاجِدُهُ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٣)

١٤٨١

مِنْ دُعَائِهِ عِ فِي الإِسْتِشْقَاءِ وَقَدْ رَوَاهُ الفُقَهَاءُ وَغَيْرُهُمْ

اللَّهُمَّ اسْقِنَا وَأَعِثْنَا اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْثًا مُغِيثًا وَحِيًّا رَيْعًا وَجَدًّا (٤) طَبَقًا غَدَقًا مُغْدِقًا (٥) مُونِقًا (٦) عَامًّا

ص: ٢٧٣

١- (١) العزالي في الأصل: جمع عزلاء، وهو مصب الماء من الراويه، ويريد شدة وقع المطر. على التشبيه.

٢- (٢) الحديث في سنن أبي داود ٤١٦:١، مع اختلاف في الروايه.

٣- (٣) الحديث في سنن أبي داود ٤١٦:١، مع اختلاف الروايه أيضا.

٤-٤) من الفائق، و الجدا: و الطبق ماله.

٥-٥) المغدق: الكثير المطر.

٦-٦) مونقا: معجبا.

هَيْئًا مَرِيئًا مَرِيعًا مُرَبِعًا (١) مَرْتَعًا (٢) وَأَبَلًا سَابِلًا (٣) مَسِيلًا مُجَلَّلًا (٤) دِرًّا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ (٥) غَيْثًا اللَّهُمَّ تُحِيْبِي بِهِ الْعِيَادَ وَ تُغِيْثُ بِهِ الْبِلَادَ وَ تَجْعَلُهُ بَلَغًا لِلْحَاضِرِ مِنَّا وَ الْبَادِ اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِنَا زَيْتَتَهَا وَ أَنْزِلْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِنَا سَيِّكُنْهَا اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَاءً طَهُورًا فَأَحْيِ بِهِ بِلْدَهُ مَيِّتًا وَ اسْقِهِ مِمَّا خَلَقْتَ لَنَا أَنْعَامًا وَ أَنْاسِي كَثِيرًا

(٤)

١٤٨٢

وَ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ يَسْتَشْفِي بِالْعَبَّاسِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَ قَفِيئِهِ (٧) آبَائِهِ (٨) وَ كُبْرِ رَجَالِهِ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَ قَوْلُكَ الْحَقُّ وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ الْآيَةَ فَحَفِظْتُهُمَا لِصِدِّ لِحَابِهِمَا فَاحْفَظْ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ فِي عَمِّهِ فَقَدْ دَلُّوْنَا بِهِ إِلَيْكَ مُسْتَشْفِعِينَ وَ مُسْتَغْفِرِينَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَأَيْتُ الْعَبَّاسَ يَوْمَئِذٍ وَ قَدْ طَالَ عُمَرُ وَ عَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ وَ سَبَائِيهُ تَجُولُ عَلَى صَدْرِهِ وَ هُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي فَلَا تُهْمَلِ الضَّالَّةَ وَ لَا تَدَعِ الْكَبِيرَ بِجِدَارٍ مَضَى بَعْدَهُ فَصَدْرُ الصَّغِيرِ وَ رَقَّ الْكَبِيرُ وَ ارْتَفَعَتِ الشُّكُوى وَ أَنْتَ تَعْلَمُ السَّرَّ وَ أَخْفَى اللَّهُمَّ اغْثِهِمْ بِغِيَاثِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْنُطُوا فِيهِلِكُوا إِنَّهُ لَا يَنَاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٩) .

ص: ٢٧٤

١-١) المريع: ذو المراعه؛ و هي الخصب. و المريع: الذي يربعمهم عن الارتياد؛ من ربت بالمكان و أربعني.

٢-٢) المرتع: المنبت ما يرتع فيه.

٣-٣) السابل، من قولهم: سبل سابل؛ أى مطر ماطر.

٤-٤) المجلل: الذي يجلل الأرض بمائه أو بنباته.

٥-٥) الرائث: البطيء.

٦-٦) الفائق للزمخشري ٣١٨، ٣١٧: ١.

٧-٧) قفيه آبائه: تلوهم و تابعهم.

٨-٨) كبر قومه: أقعدهم فى النسب.

٩-٩) الخبر فى الفائق ٣٦٦: ٢.

قَالَ فَنَشَأْتُ طُرَيْرَهُ (١) مِنْ سَحَابٍ وَقَالَ النَّاسُ تَرُونَ تَرُونَ ثُمَّ تَلَاءَمَتْ وَاسْتَيْتَمَّتْ وَمَشَتْ فِيهَا رِيحٌ ثُمَّ هَدَّتْ (٢) وَدَرَّتْ فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا حَتَّى اعْتَلَقُوا الْأَحْدِيَةَ وَقَلَّصُوا الْمَآزِرَ وَطَفِقَ النَّاسُ يُلَوِّذُونَ بِالْعَبَّاسِ يَمْسِي حُونَ أَرْكَانَهُ وَيَقُولُونَ هَنِيئًا لَكَ سَاقِي الْحَرَمَيْنِ

(٣)

ص: ٢٧٥

١-١) الطريره: تصغير طره، وهى القطعه المستطيله من السحاب؛ شبهت بطره الثوب.

٢-٢) هدت من الهده؛ وهى صوت ما يقع من السماء.

٣-٣) قال الزمخشري: «سمى ساقى الحرمين بهذه السقيا».

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَ شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَاوَانَ وَ لَا مُقَصِّرٍ وَ جَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاِهِنٍ وَ لَا مُعَدِّرٍ إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى وَ بَصُرَ مَنِ اهْتَدَى .

قوله و شاهدا على الخلق أى يشهد على القوم الذين بعث إليهم و شهد لهم فيشهد على العاصي بالعصيان و الخلاف و يشهد للمطيع بالإطاعة و الإسلام و هذا من قوله سبحانه و تعالى فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (١) و من قوله تعالى وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ (٢) .

فإن قلت إذا كان الله تعالى عالما بكل شيء و مالكا لكل أحد فأى حاجه إلى الشهاده قلت ليس بمنكر أن يكون فى ذلك مصلحة للمكلفين فى أديانهم من حيث إنه قد تقرر فى عقول الناس أن من يقوم عليه شاهد بأمر منكر قد فعله فإنه يخزى

ص: ٢٧٦

١-١) سورة النساء ٤١.

٢-٢) سورة المائدة ١١٧.

و يخجل و تنقطع حجته فإذا طرق أسماعهم أن الأنبياء تشهد عليهم و الملائكة الحافظين تكتب أعمالهم كانوا عن مواقعهم القبيح أبعد .

و الوانى الفاتر الكال و الواهن الضعيف.

و المعذر الذى يعتذر عن تقصيره بغير عذر قال تعالى وَ لَجَّاءِ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ (١) مِنْهَا وَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ مِمَّا طُورَى عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَ تَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَ لَا خَالِفَ عَلَيْهَا وَ لَهَمَّتْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ لَّا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا وَ لَكِنَّكُمْ نَسِيْتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ وَ أَمِنْتُمْ مَا حُدِّرْتُمْ فَتَاهُ عَنْكُمْ رَأْيِكُمْ وَ تَشَبَّتْ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ وَ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ قَوْمٌ وَ اللَّهُ مَيَّامِينُ الرَّأْيِ مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ مَضُوءًا قَبْدَمَا عَلَى الطَّرِيقَةِ وَ أَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَ الْكِرَامَةِ الْبَارِدَةِ أَمَا وَ اللَّهُ لَيَسْلَطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ نَقِيفٌ الذِّيَالُ الْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَ يَذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيَّهٖ أَبَا وَ ذَحَه .

ص: ٢٧٧

(١ - ١) سورة التوبه ٩٠.

[قال الرضى رحمه الله تعالى الودحه الخنفساء و هذا القول يومئ به إلى الحجاج و له مع الودحه حديث ليس هذا موضع ذكره]

الصعيد التراب و يقال وجه الأرض و الجمع صعده و صعدهات كطريق و طرق و طرقات و الالتدام ضرب النساء صدورهن فى النياحه و لا خالف عليها لا مستخلف .

قوله و لهمت كل امرئ منكم نفسه أى أذابته و أنحلته هممت الشحم أى أذبته و يروى و لأهمت كل امرئ و هو أصح من الروايه الأولى أهمنى الأمر أى أحزننى .

و تاه عن فلان رأيه أى عزب و ضل .

ثم ذكر أنه يود و يتمنى أن يفرق الله بينه و بينهم و يلحقه بالنبي ص و بالصالحين من أصحابه كحمزه و جعفر ع و أمثالهما ممن كان أمير المؤمنين يثنى عليه و يحمد طريقته من الصحابه فمضوا قدما أى متقدمين غير معرجين و لا معردين (١) .

و أوجفوا

أسرعوا و يقال غنيمه بارده و كرامه بارده أى لم تؤخذ بحرب و لا- عسف و ذلك لأن المكتسب بالحرب جار فى المعنى لما يلاقى و يعانى فى حصوله من المشقه .

و غلام تقيف

المشار إليه هو الحجاج بن يوسف و الذيال التائه و أصله من ذال أى تبخرت و جر ذيله على الأرض و الميال الظالم .

و يأكل خضرتكم يستأصل أموالكم و يذيب شحمتكم مثله و كلتا اللفظتين استعاره.

ص: ٢٧٨

(١-١) يقال:عرد الرجل عن قرنه؛إذا أحجم و نكل.

ثم قال له كالمخاطب لإنسان حاضر بين يديه إيه أبا وذحه إيه كلمه يستزاد بها من الفعل تقديره زد و هات أيضا ما عندك و ضدها إيه أى كف و أمسك.

قال الرضى رحمه الله و الودحه الخنفساء و لم أسمع هذا من شيخ من أهل الأدب و لا وجدته فى كتاب من كتب اللغة و لا أدرى من أين نقل الرضى رحمه الله ذلك ثم إن المفسرين بعد الرضى رحمه الله قالوا فى قصه هذه الخنفساء و جوها منها أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده و حذف بها فقرصته قرصا و رمت يده منها و ربما كان فيه حتفه قالوا و ذلك لأن الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل عمرو بن كنعان بالبقره التى دخلت فى أنفه فكان فيها هلاكه.

و منها أن الحجاج كان إذا رأى خنفساء تدب قريبه منه يأمر غلمانه بإبعادها و يقول هذه وذحه من وذح الشيطان تشبيها لها بالبعره قالوا و كان مغرى بهذا القول و الودح ما يتعلق بأذنان الشاه من أبعادها فيجف.

و منها أن الحجاج قال و قد رأى خنفساوات مجتمعات و اعجبا لمن يقول إن الله خلق هذه قبيلا فمن خلقها أيها الأمير قال الشيطان إن ربكم لأعظم شأننا أن يخلق هذه الودح قالوا فجمعها على فعل كبذنه و بدن فنقل قوله هذا إلى الفقهاء فى عصره فأكفروه.

و منها أن الحجاج كان مثفارا (1) و كان يمسك الخنفساء حيه ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه قالوا و لا يكون صاحب هذا الداء إلا شائنا مبغضا لأهل البيت قالوا و لسنا نقول كل مبغض فيه هذا الداء و إنما قلنا كل من فيه هذا الداء فهو مبغض.

قالوا

١٤٨٣

وَ قَدْ رَوَى أَبُو عَمَرَ الزَّاهِدُ وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ رِجَالِ الشُّعْبَةِ فِي أَمَالِيهِ وَ أَحَادِيثِهِ عَنِ السَّيَّارِيِّ

ص: ٢٧٩

عَنْ أَبِي خُزَيْمَةَ الْكَاتِبِ قَالَ مَا فَتَّشْنَا أَحَدًا فِيهِ هَذَا الدَّاءُ إِلَّا وَجَدْنَاهُ نَاصِبِيًّا .

١٦٨٤

٦- قَالَ أَبُو عُمَرَ وَ أَخْبَرَنِي الْعَطَافِيُّ عَنْ رِجَالِهِ قَالُوا سُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ رَجِمَ مَنْكُوسُهُ يُوتَى وَ لَا يَأْتِي وَ مَا كَانَتْ هَذِهِ الْخِصْلَةُ فِي وَلِيِّ اللَّهِ تَعَالَى قَطُّ وَ لَا تَكُونُ أَبَدًا وَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْكُفَّارِ وَ الْفُسَّاقِ وَ النَّاصِبِ لِلطَّاهِرِينَ .

و كان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي من القوم و كان أشدّ الناس عداوه لرسول الله ص قالوا و لذلك قال له عتبه بن ربيعه يوم بدر يا مصفر استه (١) .

فهذا مجموع ما ذكره المفسرون و ما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضوع و يغلب على ظني أنه أراد معنى آخر و ذلك أن عادة العرب أن تكنى الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنه التعظيم كقولهم أبو الهول و أبو المقدم و أبو المغوار فإذا أرادت تحقيره و الغض منه كتنه بما يستحق و يستهان به كقولهم في كنيه يزيد بن معاوية أبو زنه يعنون القرد و كقولهم في كنيه سعيد بن حفص البخاري المحدث أبو الفأر و كقولهم للطفيلي أبو لقمه و كقولهم لعبد الملك أبو الذبان لبخره و كقول ابن بسام لبعض الرؤساء فأنت لعمرى أبو جعفر و لكننا نحذف الفاء منه.

و قال أيضا لئيم درن الثوب

فلما كان أمير المؤمنين ع يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي و الذنوب

ص : ٢٨٠

التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزله البعر الملتصق بشعر الشاء كناه أبو وذحه و يمكن أيضا أن يكنيه بذلك لدمامته في نفسه و حقاره منظره و تشويه خلقته فإنه كان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس فكناه بأحقر الأشياء و هو البعره.

و قد روى قوم هذه اللفظه بصيغه أخرى فقالوا إيه أبا ودجه قالوا واحده الأوداج كناه بذلك لأنه كان قتالا يقطع الأوداج بالسيف و رواه قوم أبا و حره و هي دويبه تشبه الحرباء قصيره الظهر شبهه بها.

و هذا و ما قبله ضعيف و ما ذكرناه نحن أقرب الصواب

ص: ٢٨١

فَلَا أَمْوَالَ يَبْدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ فَاعْتَبِرُوا
بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَالِ إِخْوَانِكُمْ .

انتصاب الأموال بفعل مقدر دل عليه بذلتموها و كذلك أنفس يقول لم تبدلوا أموالكم في رضا من رزقكم إياها و لم تخاطروا
بأنفسكم في رضا الخالق لها و الأولى بكم أن تبدلوا المال في رضا رازقه و النفس في رضا خالقها لأنه ليس أحد أحق منه
بالمال و النفس و بذلهما في رضا .

ثم قال من العجب أنكم تطلبون من عباد الله أن يكرمواكم و يطيعواكم لأجل الله و انتمائكم إلى طاعته ثم إنكم لا تكرمون الله
و لا تطيعونه في نفع عباده و الإحسان إليهم .

و محصول هذا القول كيف تسيمون الناس أن يطيعواكم لأجل الله ثم إنكم أنتم لا تطيعون الله الذي تكلفون الناس أن يطيعواكم
لأجله ثم أمرهم باعتبارهم بنزولهم منازل من كان قبلهم و هذا مأخوذ من قوله

تعالى وَ سَكَتْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (١).

و روى عن أصل إخوانكم و ذلك بموت الأب فإنه ينقطع أصل الأخ الواشج بينه و بين أخيه و الروايه الأولى أظهر

ص: ٢٨٣

١-١) سورة إبراهيم ٤٥.

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجَنُّ يَوْمَ الْيَأْسِ وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدَبِّرَ وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ
فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحِهِ خَلِيَّتِهِ مِنَ الْغَشِّ سَلِيمِهِ مِنَ الرَّيْبِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ .

الجنن

جمع جنه و هي ما يستر به و بطانه الرجل خواصه و خالصته الذين لا يطوى عنهم سره .

فإن قلت أما ضربه بهم المدبر فمعلوم يعنى الحرب فما معنى قوله ع و أرجو طاعه المقبل قلت لأن من ينضوى إليه من المخالفين
إذا رأى ما عليه شيعته و بطانته من الأخلاق الحميده و السيره الحسنه أطاعه بقلبه باطنا بعد أن كان انضوى إليه ظاهرا.

و اعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين ع للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل و قد ذكره المدائني و الواقدي في كتابيهما (١)

ص: ٢٨٤

(١- ١) كتاب الجمل للمدائني، ذكره ابن النديم في الفهرست ١٠، و كتاب الجمل للواقدي ذكره أيضا ابن النديم في ص ٩٩.

فقال ع ما يبالكم أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سِرَّتَ سِرِّنَا مَعَكَ فَقَالَ ع مَا بِالْكُمْ لَا سِيءُ دُتُّم لِرُشْدٍ وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصِيدٍ أَوْ فِي مِثْلِ هَذَا يَتَّبِعِي لِي أَنْ أَخْرُجَ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شَيْعَانِكُمْ وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ وَلَا يَتَّبِعِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَ الْمَصِيرَ وَ بَيْتَ الْمَالِ وَ جَبَابَةَ الْأَرْضِ وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبِهِ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلُّلُ تَقَلُّلَ الْقُدْحِ فِي الْجَنْفِ الْفَارِغِ وَ إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا وَ اضْطَرَبَ نِفَالُهَا هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ وَ اللَّهُ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعِدْوِ وَ لَوْ قَدْ حَمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَّصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ طَعَانِينَ عَيَّابِينَ حَيَّادِينَ رَوَّاعِينَ إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عِدَدِكُمْ مَعَ قَلِهِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ .

سكتوا مليا أى ساعه طويله و مضى ملى من النار كذلك قال الله تعالى وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا (١) و أقمت عند فلان ملاوه و ملاوه و ملاوه من الدهر بالحركات الثلاث أى حيناً و برهه و كذلك أقمت ملوه و ملوه و ملوه بالحركات الثلاث .

و قوله أ مخرسون أنتم اسم المفعول من أخرسه الله و خرس الرجل و الخرس المصدر .

و الكتيبه قطعه من الجيش و التقلقل الحركه فى اضطراب و القدح السهم و الجفير الكنانه و قيل وعاء للسهم أوسع من الكنانه .

و استحار مدارها اضطرب و المدار هاهنا مصدر و الثقال بكسر الثاء جلد يبسط و توضع الرحي فوقه فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق .

و حم أى قدر و الركاب الإبل و شخصت عنكم خرجت ثم وصفهم بعيب الناس و الطعن فيهم و أنهم يحدون عن الحق و عن الحرب أى ينحرفون و يروغون كما يروغ الثعلب .

ثم قال إنه لا غناء عندكم و إن اجتمعتم بالأبدان مع تفرقى القلوب و الغناء بالفتح و المد النفع.

و انتصب طعنين على الحال من الضمير المنصوب فى أطلبكم .

ص: ٢٨٦

و هذا كلام قاله أمير المؤمنين ع في بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بالعراق بعد انقضاء أمر صفين و النهروان و قد ذكرنا سببه و وقعته فيما تقدم .

فإن قلت كيف قال الطريق الواضح فذكره ثم قال لا- يهلك فيها فأنته قلت لأن الطريق يذكر و يؤنث تقول الطريق الأعظم و الطريق العظمى فاستعمل اللغتين معا

ص: ٢٨٧

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَ إِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَ تَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَ عِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَ ضِيَاءُ الْأَمْرِ أَلَا وَ إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَ سُبُلُهُ قَاصِدَةٌ مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ وَ غَنِمَ وَ مَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ أَعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخِرُ لَهُ الذَّخَائِرُ وَ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرٌ لَبِيهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ وَ غَائِبُهُ أَعْوَزُ وَ اتَّقُوا نَاراً حَرَّتْهَا شَدِيدٌ وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَلِيتُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ.

أَلَا وَ إِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

رواها قوم لقد علمت بالتخفيف و فتح العين و الروايه الأولى أحسن فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاه الرسول ص إلى المكلفين و فيه إشاره إلى قوله تعالى يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (١) و إلى

١٤٨٥

قَوْلُ النَّبِيِّ ص فِي قِصَّةِ بَرَاءَةَ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا وَ رَجُلٌ مِنِّي .

ص: ٢٨٨

و إتمام العادات إنجازها وفيه إشاره إلى قوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ (١) و إلى

١٤٨٦

قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى فِي حَقِّهِ عَ قَاضِي دِينِي وَ مُنْجِزُ مَوْعِدِي .

و تمام الكلمات تأويل القرآن وفيه إشاره إلى قوله تعالى وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا (٢) و إلى

١٤٨٧

قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى فِي حَقِّهِ عَ اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَ ثَبِّتْ لِسَانَهُ.

و خلاصه هذا أنه أقسم بالله أنه قد علم أو علم على اختلاف الروايتين أداء الشرائع إلى المكلفين و الحكم بينهم بما أنزله الله و علم مواعيد رسول الله التي وعد بها فمناها ما هو وعد لواحد من الناس بأمر نحو أن يقول له سأعطيك كذا و منها ما هو وعد بأمر يحدث كأخبار الملاحم و الأمور المتجدده و علم تمام كلمات الله تعالى أى تأويلها و بيانها الذى يتم به لأن فى كلامه تعالى المجمل الذى لا يستغنى عن متمم و مبین يوضحه .

ثم كشف الغطاء و أوضح المراد فقال و عندنا أهل البيت أبواب الحكم يعنى الشرعيات و الفتاوى و ضياء الأمر يعنى العقليات و العقائد و هذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين أن يدعيه سواه ع و لو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب و كذبه الناس .
و أهل البيت منصوب على الاختصاص .

و سبله قاصده

أى قربه سهله و يقال بيننا و بين الماء ليله قاصده و رافهه أى هينه المسير لا تعب و لا بقاء .

و تبلى فيه السرائر

أى تختبر .

ثم قال من لا ينفعه لبه الحاضر و عقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر

ص: ٢٨٩

١-١) سورة الأحزاب ٢٣.

٢-٢) سورة الأنعام ١١٥.

ولا- موجود من العقل عنده أولى و أخرى أى من لم يكن له من نفسه و من ذاته وازع و زاجر عن القبيح فبعيد أن ينزجر و أن يرتدع بعقل غيره و موعظه غيره له كما قيل و زاجر من النفس خير من عتاب العواذل .

ثم ذكر النار فحذر منها .

و قوله حليتها حديد يعنى القيود و الأغلال .

ثم ذكر أن الذكر الطيب يخلفه الإنسان بين الناس خير له من مال يجمعه و يورثه من لا يحمده و

١٤٨٨

١- جاء فى البأثر أن أمير المؤمنين جاءه مخبر فأخبره أن مالا له قد انفجرت فيه عين خزاره يبشره بذلك فقال بشر الوارث بشر الوارث يكررها ثم وقف ذلك المال على الفقراء و كتب به كتابا فى تلك الساعه

ص : ٢٩٠

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا [فَمَا نَدَرِي]

فَلَمْ نَدْرِ أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدٌ فَصَبَّحْنَا عِزَّ يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ
[بِمَا أَمَرْتُكُمْ]

بِهِ حَمَلْتُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هِدَايَتِكُمْ وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوْمُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُمْ لَكَانَتْ
الْوُثْقَى وَلكِنْ بَمَنْ وَإِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشُّوْكَهِ بِالشُّوْكَهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ
أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيُّ وَكَلَّتِ [النَّزْعَةُ]

النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَاقْبَلُوهُ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَهَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَلَهُ اللَّفَاحُ
إِلَى أَوْلَادِهَا وَسَالَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادِهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْمَارِضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصِفًا صِفًا بَعْضُ هَلَكٍ وَبَعْضُ نَجَا لَا يُبَشِّرُونَ
بِالْأَحْيَاءِ وَلَا يُعَزِّوْنَ عَنِ الْمَوْتِ مُرَّةَ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ خُمُصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صَفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ أَوْلِيَّكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظِمَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَيِّنِي لَكُمْ
طُرُقَهُ وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً وَيُعْطِيَكُمْ

بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةِ وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ .

هذه شبهة من شبهات الخوارج و معناها أنك نهيت عن الحكومه أولا- ثم أمرت بها ثانيا فإن كانت قبيحه كنت بنهيك عنها مصيبا و بأمرك بها مخطئا و إن كانت حسنه كنت بنهيك عنها مخطئا و بأمرك بها مصيبا فلا بد من خطئك على كل حال.

و جوابها أن للإمام أن يعمل بموجب ما يغلب على ظنه من المصلحه فهو ع لما نهاهم عنها كان نهيه عنها مصلحه حينئذ و لما أمرهم بها كانت المصلحه في ظنه قد تغيرت فأمرهم على حسب ما تبدل و تغير في ظنه كالطبيب الذى ينهى المريض اليوم عن أمر و يأمره بمثله غدا .

و قوله هذا جزء من ترك العقده يعنى الرأى الوثيق و فى هذا الكلام اعتراف بأنه بان له و ظهر فيما بعد أن الرأى الأصلى كان الإصرار و الثبات على الحرب و أن ذلك و إن كان مكروها فإن الله تعالى كان يجعل الخيره فيه كما قال سبحانه فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١) ثم قال كنت أحملكم على الحرب و ترك الالتفات إلى مكيدته معاويه و عمرو من رفع المصاحف فإن استقمتم لى اهتديتم بى و إن لم تستقيموا فذلك ينقسم إلى قسمين أحدهما أن تعوجوا أى يقع منكم بعض الالتواء و يسير من العصيان كفتور الهمه و قله الجدى فى الحرب و الثانى التأنى و الامتناع المطلق من الحرب فإن كان الأول قومتمكم

ص: ٢٩٢

بالتأديب و الإرشاد و إرهاب الهمم و العزائم بالتبصير و الوعظ و التحريض و التشجيع و إن كان الثاني تداركت الأمر معكم إمّا بالاستنجد بغيركم من قبائل العرب و أهل خراسان و الحجاز فكلهم كانوا شيعته و قائلين بإمامته أو بما أراه فى ذلك الوقت من المصلحه التى تحكم بها الحال الحاضره .

قال لو فعلت ذلك لكانت هى العقده الوثقى أى الرأى الأصوب الأحزم.

فإن قلت أفتقولون إنّه أخطأ فى العدول عن هذا الرأى قلت لا- نقول إنّه أخطأ بمعنى الإثم لأنّه إنّما فعل ما تغلب على ظنه أنّه المصلحه و ليس الواجب عليه إلا ذلك و لكنه ترك الرأى الأصوب كما قال الحسن هلا مضيت قدما لا أبا لك و لا يلحق الإثم من غلب على ظنه فى حكم السياسه أمر فاعتمده ثمّ بان له أن الأصوب كان خلافه و قد قيل إن قوله لقد عثرت عثره لا تنجبر سوف أكيس بعدها و أستمر و أجمع الرأى الشئيت المنتشر إشاره إلى هذا المعنى و قيل فيه غير ذلك ممّا قدمنا ذكره قبل.

و قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رضى الله عنه من عرفه عرف أنّه غير ملوم فى الانقياد معهم إلى التحكيم فإنه مل من القتل و تجريد السيف ليلا و نهارا حتّى ملت الدماء من إراقته لها و ملت الخيل من تقحمه الأهوال بها و ضجر من دوام تلك الخطوب الجليله و الأرزاء العظيمه و استلاب الأنفس و تطاير الأيدى و الأرجل بين يديه و أكلت الحرب أصحابه و أعداءه و عطلت السواعد و خدرت الأيدى التى سلمت من وقائع السيوف بها و لو أن أهل الشام لم يستعفوا من الحرب و يستقيلوا من

المقارعه و المصادمه لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معا و لزومهم الأرض و إلقاءهم السلاح فإن الحال أفضت بعظمها و هو لها إلى ما يعجز اللسان عن وصفه .

و اعلم أنه ع قال هذا القول و استدرك بكلام آخر حذرا أن يثبت على نفسه الخطأ فى الرأى فقال لقد كان هذا رأيا لو كان لى من يطيعنى فيه و يعمل بموجه و أستعين به على فعله و لكن بمن كنت أعمل ذلك و إلى من أخلد فى فعله أما الحاضرون لنصرى فأنتم و حالكم معلومه فى الخلاف و الشقاق و العصيان و أما الغائبون من شيعتى كأهل البلاد النائية فإلى أن يصلوا يكون قد بلغ العدو غرضه منى و لم يبق من أخلد إليه فى إصلاح الأمر و إبرام هذا الرأى الذى كان صوابا لو اعتمد إلا أن أستعين ببعضكم على بعض فأكون كناقش الشوكه بالشوكه و هذا مثل مشهور لا تنقش الشوكه بالشوكه فإن ضلعتها لها و الضلع الميل يقول لا تستخرج الشوكه الناشبه فى رجلك بشوكه مثلها فإن إحداهما فى القوه و الضعف كالأخرى فكما أن الأولى انكسرت لما وطئتها فدخلت فى لحمك فالثانيه إذا حاولت استخراج الأولى بها تنكسر و تلج فى لحمك .

ثم قال اللهم إن هذا الداء الدوى قد ملت أطباؤه و الدوى الشديد كما تقول ليل أليل .

و كلت النزعه

جمع نازع و هو الذى يستقى الماء و الأشطان جمع شطن و هو الجبل و الركى الآبار جمع ركيه و تجمع أيضا على ركيا .

ثم قال أين القوم هذا كلام متأسف على أولئك متحسر على فقدهم .

و الوله شده الحب حتى يذهب العقل وله الرجل .

و اللقاح بكسر اللام الإبل و الواحده لقوح و هى الحلوب مثل قلاص و قلوص .

ص: ٢٩٤

قوله و أخذوا بأطراف الأرض أى أخذوا على الناس بأطراف الأرض أى حصروهم يقال لمن استولى على غيره و ضيق عليه قد أخذ عليه بأطراف الأرض قال الفرزدق أخذنا بأطراف السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع (١).

و زحفا زحفا منصوب على المصدر المحذوف الفعل أى يزحفون زحفا و الكلمه الثانيه تأكيد للأولى و كذلك قوله و صفا صفا

ثم ذكر أن بعض هؤلاء المتأسف عليهم هلك و بعض نجا و هذا ينجى قوله تعالى فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ (٢).

ثم ذكر أن هؤلاء قوم وقدتهم العباده و انقطعوا عن الناس و تجردوا عن العلائق الدنيويه فإذا ولد لأحدهم مولود لم يبشر به و إذا مات له ميت لم يعز عنه .

و مرهت عين فلان بكسر الراء إذا فسدت لترك الكحل لكن أمير المؤمنين ع جعل مره عيون هؤلاء من البكاء من خوف خالقهم سبحانه و ذكر أن بطونهم من خماص الصوم و شفاههم ذابله من الدعاء و وجوههم مصفره من السهر لأنهم يقومون الليل و على وجوههم غبره الخشوع .

ثم قال أولئك إخوانى الذاهبون فإن قلت من هؤلاء الذين يشيرع إليهم قلت هم قوم كانوا فى نأناه الإسلام و فى زمان ضعفه و خموله أرباب زهد و عباده و جهاد شديد فى سبيل الله كمصعب بن عمير من بنى عبد الدار و كسعد بن معاذ من الأوس و كجعفر بن أبى طالب و عبد الله بن رواحه و غيرهم ممن استشهد من الصالحين

ص: ٢٩٥

١-١) ديوانه ٥١٥.

٢-٢) سورة الأحزاب ٢٣.

أرباب الدين و العباده و الشجاعه فى يوم أحد و فى غيره من الأيام فى حياه رسول الله ص و كعمار و أبى ذر و المقداد و سلمان و خباب و جماعه من أصحاب الصفه و فقراء المسلمين أرباب العباده الذين قد جمعوا بين الزهد و الشجاعه و

١٤٨٩

فَدَجَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتاقُ إِلَى أَرْبَعَةٍ عَلِيٍّ وَ عَمَّارٍ وَ أَبِي ذَرٍّ وَ الْمِقْدَادِ .

و

١٤٩٠

١٤- جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحِهِ أَيْضًا أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَرَّ بِهِمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَعَضُّوا أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ وَ قَالُوا وَ أَسَيفَاهُ كَيْفَ لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَأْخِذَهَا مِنْ عُنُقِ عِمْدِوُ اللَّهِ وَ كَانَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُمْ أَ تَقُولُونَ هَذَا لِسَيِّدِ الْبَطْحَاءِ فَرَفَعَ قَوْلُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَأَنْكَرَهُ وَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ انظُرْ لَا تَكُونَ أَعْضَبْتَهُمْ فَتَكُونَ قَدْ أَعْضَبْتَ رَبَّكَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِمْ وَ تَرْضَاهُمْ وَ سَأَلَهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

قوله فحق لنا يقال حق له أن يفعل كذا و هو حقيق به و هو محقوق به أى خليق له و الجمع أحقاء و محقوقون .

و يسنى يسهل و صدف عن الأمر يصدف أى انصرف عنه و نزغات الشيطان ما يترغ به بالفتح أى يفسد و يغرى و نفثاته ما ينفث به و ينفث بالضم و الكسر أى يخيل و يسحر .

و اعقلوها على أنفسكم

أى اربطوها و الزموها

ص: ٢٩٤

وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسِّكِرِهِمْ وَ هُمْ مُقِيمُونَ عَلَىٰ إِنْكَارِ الْحُكُومَةِ فَقَالَ ع:

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صَفِيْنٌ فَقَالُوا مِمَّنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِمَّنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قَالَ فَاِمْتَاَزُوا فِرْقَتَيْنِ فَلْيَكُنْ مِنْ شَهِدِ صَفِيْنٍ فِرْقَةً وَ مِنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّىٰ أَكَلَمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ:

أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي وَ أَقْبِلُوا بِأَفْوِدَتِكُمْ إِلَيَّ فَمَنْ نَشَدْنَا شَهَادَةً فَلْيَقْلُ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ع بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ ع أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيَلَةً وَ غِيْلَةً وَ مَكْرًا وَ خَدِيْعَةً إِخْوَانًا وَ أَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَ اسْتَرَاخُوا إِلَيَّ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَالزَّأَى الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَ التَّنْفِيْسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَ بَاطِنُهُ عِدْوَانٌ وَ أَوْلُهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ فَاقِيْمُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ وَ الزُّمُوا طَرِيْقَتَكُمْ وَ عَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ وَ لَا تَلْتَفِتُوا إِلَيَّ نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تُرِكَ دَلَّ (١) وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطِيْتُمُوهَا وَ اللَّهُ لَئِنْ أَيْبَيْتَهَا مَا وَجِبْتَ عَلَيَّ فَرِيضَتَهَا وَ لَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا وَ اللَّهُ إِنْ جِئْتَهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ وَ إِنْ الْكِتَابَ لَمَعَىٰ مَا فَارَقْتَهُ مُيْذَنٌ صِيْحَتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُوْلِ اللَّهِ ص وَ إِنْ الْقَتْلَ لَيَدُوْرُ عَلَيَّ الْآبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ

ص: ٢٩٧

(١ - ١) بعدها في المخطوطه المصريه: «و قد كانت هذه الفعله، و قد رأيتكم أعطيتموها. و الله لئن أبيتها ما وجبت على فريضتها، و لا حملى الله ذنبها، و والله إن جئتها إنى للمحق الذى يتبع، و إن الكتاب لمعى، ما فارقتة مذ صحبتة».

وَ الْإِخْوَانِ وَ الْقَرَابَاتِ فَمَا نَزَدَادُ عَلَى كُلِّ مُصَيبَةٍ وَ شِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا وَ مُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَ تَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ وَ صَبْرًا عَلَى مَضِضِ الْجِرَاحِ وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصِيبْنَا نَقَاتِئُلَ إِخْوَانِنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الْإِعْوَجَاجِ وَ الشُّبْهِهِ وَ التَّأْوِيلِ فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْمِهِ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعْنَنَا وَ نَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

هذا الكلام يتلو بعضه بعضا و لكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر و هذه عادة الرضى تراه ينتخب من جملة الخطبه الطويله كلمات فصيحجه يوردها على سبيل التتالى و ليست متتاليه حين تكلم بها صاحبها و سنقطع كل فصل منها عن صاحبه إذا مررنا على متنها .

قوله إلى معسكرهم الكاف مفتوحه و لا يجوز كسرهما و هو موضع العسكر و محطه .

و شهد صفين

حضرها قال تعالى فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ (١) .

قوله فامتازوا أى انفردوا قال تعالى وَ اٰمْتٰزُوا الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٢) .

قوله حتى أكلم كلاً منكم بكلامه أى بالكلام الذى يليق به و الغيله الخداع و الناعق المصوت.

قوله إن أجيب ضل و إن ترك ذل... هو آخر الفصل الأول و قوله ضل أى ازداد ضلالاً لأنه قد ضل قبل أن يجاب.

ص: ٢٩٨

١-١) سورة البقره ١٨٥.

٢-٢) سورة يس ٥٩.

فأما قوله فلقد كنا مع رسول الله ص فهو من كلام آخر و هو قائم بنفسه إلى قوله و صبرا على مضض الجراح فهذا آخر الفصل الثاني .

فأما قوله لكننا إنما أصبحنا فهو كلام ثالث غير منوط بالأولين و لا ملتصق بهما و هو فى الظاهر مخالف و مناقض للفصل الأول لأن الفصل الأول فيه إنكار الإجابة إلى التحكيم و هذا يتضمن تصويبها و ظاهر الحال أنه بعد كلام طويل و قد قال الرضى رحمه الله فى أول الفصل أنه من جملة كلام طويل و أنه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائما و هو أنى إنما حكمت على أن نعمل فى هذه الواقعة بحكم الكتاب و إن كنت أحارب قوما ما أدخلوا فى الإسلام زيغا و أحدثوا به اعوجاجا فلما دعونى إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم و أبقيت عليهم لأنى طمعت فى أمر يلم الله به شعث المسلمين و يتقاربون بطريقه إلى البقيه و هى الإبقاء و الكف.

فإن قلت إنه قد قال نقاتل إخواننا من المسلمين و أنتم لا تطلقون على أهل الشام المحاربيين له لفظه المسلمين قلت إنا و إن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيره لا يسمى مؤمنا و لا مسلما فإننا نجيز أن يطلق عليه هذا اللفظ إذا قصد به تمييزه عن أهل الذمه و عابدى الأصنام فيطلق مع قرينه حال أو لفظ يخرج عن أن يكون مقصودا به التعظيم و الثناء و المدح فإن لفظه مسلم و مؤمن تستعمل فى أكثر الأحوال كذلك و أمير المؤمنين ع لم يقصد بذلك إلا تمييزهم من كفار العرب و غيرهم من أهل الشرك و لم يقصد مدحهم بذلك فلم ينكر مع هذا القصد إطلاق لفظ المسلمين عليهم

وَ أَىِّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِيَّاطَهُ جَأَشَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا فَلْيَذُبْ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَ الَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبِهِ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيْتِهِ عَلَيَّ الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

أحس علم و وجد و رباطه جأش أى شده قلب و الماضى ربط كأنه يربط نفسه عن الفرار و المروى رباطه بالكسر و لا أعرفه نقلا و إنما القياس لا يأباه مثل عمر عماره و خلب خلابه .

و الفشل الجبن و ذب الرجل عن صاحبه أى أكثر الذب و هو الدفع و المنع.

و النجده الشجاعه و الحثيث السريع و فى بعض الروايات فليذب عن صاحبه بالإدغام و فى بعضها فليذب بفك الإدغام و الميته بالكسر هيئه الميت كالجلسه و الركبه هيئه الجالس و الراكب يقال مات فلان ميته حسنه و المروى فى نهج

البلاغه بالكسر فى أكثر الروايات و قد روى من موته و هو الأليق يعنى المره الواحده ليقع فى مقابله الألف.

و اعلم أنه ع أقسم أن القتل أهون من الموت حتف الأنف و ذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى من الشجاعه الخارقه لعاده البشر و هوع يحاول أن يحض أصحابه و يحرضهم ليجعل طباعهم مناسبه لطباعه و إقدامهم على الحرب مماثلا لإقدامه على عاده الأمراء فى تحريض جندهم و عسكرهم و هيهات إنما هو كما قال أبو الطيب يكلف سيف الدوله الجيش همه

ليست النفوس كلها من جوهر واحد و لا الطباع و الأمزجه كلها من نوع واحد و هذه خاصيه توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده فى الأوقات المتطاوله و الدهور المتباعده و ما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهوله عندنا أن أحدا أعطى من الشجاعه و الإقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها من الترك و الفرس و العرب و الروم و غيرهم و المعلوم من حاله أنه كان يؤثر الحرب على السلم و الموت على الحياه و الموت الذى كان يطلبه و يؤثره إنما هو القتل بالسيف لا الموت على الفراش كما قال الشاعر لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا لمات إذ لم يمت من شده الحزن.

ص: ٣٠١

و كما قال الآخر يستعذبون مناياهم كأنهم لا يأسون من الدنيا إذا قتلوا.

فإن قلت فما قولك فيما أقسم عليه هل ألف ضربه بالسيف أهون ألما على المقتول من موته واحده على الفراش بالحقيقه أم هذا قول قاله على سبيل المبالغه و التجوز ترغيبا لأصحابه فى الجهاد قلت الحالف يحلف على أحد أمرين أحدهما أن يحلف على ظنه و اعتقاده نحو أن يحلف أن زيدا فى الدار أى أنا حالف و مقسم على أنى أظن أن زيدا فى الدار أو أنى أعتقد كون زيد فى الدار و الثانى أن يحلف لا- على ظنه بل يحلف على نفس الأمر فى الخارج فإن حملنا قسم أمير المؤمنين ع على المحمل الأول فقد اندفع السؤال لأنه ع قد كان يعتقد ذلك فحلف أنه يعتقد و أنه يظن ذلك و هذا لا كلام فيه و إن حملناه على الثانى فالأمر فى الحقيقه يختلف لأن المقتول بسيف صارم معجل للزهوق لا يجد من الألم وقت الضربه ما يجده الميت دون النزع من المد و الكف نعم قد يجد المقتول قبل الضربه ألم التوقع لها و ليس كلامنا فى ذلك بل فى ألم الضربه نفسها و ألف سيف صارم مثل سيف واحد إذا فرضنا سرعه الزهوق و أمّا فى غير هذه الصوره نحو أن يكون السيف كالا و تتكرر الضربات به و الحياه باقيه بعد و قايسنا بينه و بين ميت يموت حتف أنفه موتا سريعا إمّا بوقوف القوّه الغاذيه كما يموت الشيوخ أو بإسهال ذريع تسقط معه القوّه و يبقى العقل و الذهن إلى وقت الموت فإن الموت هاهنا أهون و أقل ألما فالواجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع إما على جهه التحريض فيكون قد بالغ كعاده العرب و الخطباء فى المبالغات المجازيه و إمّا أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلك و هو صادق فيما أقسم لأنه هكذا كان يعتقد بناء على

وَ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِأَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ إِنَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مَنْ قَتَلَ بِالسَّيْفِ فَبِالسَّيْفِ يُقْتَلُ فَقَالَ الْقَتْلُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
اِخْتِلَافِ الْأَطْبَاءِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَاءِ وَ مَقَاسِهِ الدَّوَاءِ وَ الدَّاءِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلْمَنْصُورِ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَالَ قَدْ أْبْلَغْنَاكَ مَحَبَّتَهُ.

وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ كَشَيْشِ الضُّبَابِ لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَمِيمًا قَدْ خَلَيْتُمْ وَ الطَّرِيقَ فَالنَّجَاهُ لِلْمُقْتَحِمِ وَ الْهَلَكَةَ لِلْمَتَلَوِّمِ .

الكشيش الصوت يشوبه خور مثل الخشخشه و كشيش الأفعى صوتها من جلدها لا- من فمها و قد كشت تكش قال الراجز كشيش أفعى أجمعت لعض و هي تحك بعضها ببعض (١).

يقرع أصحابه بالجبن و الفشل و يقول لهم لكأني أنظر إليكم و أصواتكم غمغمه بينكم من الهلع الذي قد اعتراكم فهي أشبه شيء بأصوات الضباب المجتمعه .

ثم أكد وصف جبنهم حقا و خوفهم فقال لا تأخذون حقا و لا تمنعون ضيما و هذه غايه ما يكون من الذل .

ثم ترك هذا الكلام و ابتداء فقال قد خليتكم و طريق النجاه عند الحرب و دللتم عليها

ص: ٣٠٤

و هي أن تقتحموا و تلحجوا و لا تهنوا فإنكم متى فعلتم ذلك نجوتم و متى تلومتتم و تثبطتم و أحجمتم هلكتم و من هذا المعنى قول الشاعر تأخرت أستبقى الحياه فلم أجد لنفسي حياه مثل أن أتقدا (١).

و قال قطرى بن الفجاه لا يركنن أحد إلى الإحجام

و كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد و اعلم أن عليك عيوننا من الله ترعاك و تراك فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياه و لا تغسل الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد نور له يوم القيامة و قال أبو الطيب يقتل العاجز الجبان و قد يعجز

ص: ٣٠٥

١-١) للحصين بن الحمام المرى، ديوان الحماسه- بشرح التبريزى ١:١٩٢.

و لهذا المعنى الذى أشار إليه ع سبب معقول و هو أن المقدم على خصمه يرتاع له خصمه و تنخذل عنه نفسه فتكون النجاه و الظفر للمقدم و أمّا قد خلتيم عن خصمه المحجم المتهيب له فإن نفس خصمه تقوى عليه و يزداد طمعه فيه فيكون الظفر له و يكون العطب و الهلاك للمتلوم الهائب تم الجزء السابع من شرح نهج البلاغه و يليه الجزء الثامن

ص: ٣٠٤

- ٩٠-تممه الخطبه المعروفه بخطبه الأشباح (٢) ٣-٣٢
- ٩١-من كلام له عليه السلام لما أرادته الناس على البيعه بعد قتل عثمان رضى الله عنه ٩١
- ٩٢-من خطبه له عليه السلام يذكر فيها ما كان من تغلبه على فتنه الخوارج و ما يصيب الناس من بنى أميه ٤٤-٤٥
- ٩٣-من خطبه له عليه السلام يصف فيها حال الأنبياء ٦٣-٦٥
- ٩٤-من خطبه له عليه السلام يذكر فيها حال الناس عند البعثه ٦٦
- ٩٥-من خطبه له عليه السلام فى تعظيم الله و تمجيدته، ثم ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم و الثناء عليه ٦٧-٦٨
- ٩٦-من كلام له عليه السلام فى توبيخ أصحابه على التباطؤ عن نصره الحق ٧٠-٧٧
- ٩٧-من كلام له عليه السلام فى وصف بنى أميه و حال الناس فى دولتهم ٧٨
- ٩٨-من خطبه له عليه السلام فى وصف الدنيا ٨٠-٨١
- ٩٩-من خطبه له عليه السلام يذكر فيها محمدا صلى الله عليه و ما تركه فى أصحابه من سنته ٨٤
- ١٠٠-من خطبه له عليه السلام، و هى من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم ٩٦-١٠١

١- (*) و هى الخطب الوارده فى نهج البلاغه.

٢- (١) أولها فى الجزء السادس ص ٣٩٨.

١٠١- من خطبه له أخرى عليه السلام تجرى هذا المجرى ١٠٢-١٠٤

١٠٢- من خطبه له عليه السلام فى الترهيد و وصف الناس فى بعض الأزمان ١٠٥-١١٣

١٠٣- من خطبه له عليه السلام يصف فيها حال الناس قبل البعثة و ما صاروا إليه بعدها ١١٤

١٠٤- من خطبه له عليه السلام، ذكر فيها كلاما فى شأن أهل البيت و أمر بنى أمية معهم ١١٧-١٦٧

١٠٥- من خطبه له عليه السلام فى وصف الإسلام و سمو شرائعه، ثم ذكر النبى صلى الله عليه و ذكر أصحابه ١٧١-١٧٦

١٠٦- من كلام له عليه السلام يصف بعض أيام صفين ١٧٩

١٠٧- من خطبه له عليه السلام؛ و هى من خطب الملاحم أيضا ١٨١-١٩١

١٠٨- من خطبه له فى تمجيد الله و وصف ملائكته ١٩٤-٢١٨

١٠٩- من خطبه له عليه السلام يذكر فيها فرائض الإسلام ٢٢١

١١٠- من خطبه له عليه السلام فى وصف الدنيا ٢٢٦-٢٢٨

١١١- من خطبه له عليه السلام يذكر فيها ملك الموت و توفيه الأنفس ٢٣٧

١١٢- من خطبه له عليه السلام فى التحذير من أمر الدنيا ٢٤٧، ٢٤٦

١١٣- من خطبه له عليه السلام فى الحىض على التقوى و ذكر أوصاف الدنيا و الفرق بينها و بين الآخرة ٢٥٠-٢٥٢

١١٤- من خطبه له عليه السلام فى الاستسقاء، و صلاه الاستسقاء و آدابها ٢٦٣، ٢٦٢ و أخبار و أحاديث فى الاستسقاء ٢٧٠-٢٧٥

١١٥- من خطبه له عليه السلام فى تعظيم ما حُجب عن الناس و كشف له، و الإخبار بما سيكون من أمر الحجاج الثقفى ٢٧٦-٢٧٨

١١٦- من كلام له عليه السلام فى التوبيخ على البخل، و دعوه أصحابه لنصرته ٢٧٢

١١٧- من كلام له عليه السلام فى حث أصحابه على مناصحته ٢٨٤

١١٨- من كلام له عليه السلام و قد جمع له أصحابه فضهم على الجهاد و أثار المحبه فيهم ٢٨٥

١١٩- من كلام له عليه السلام فى وصف نفسه و الحث على الاستقامه و التحذير من النار و الحث على طلب الحمد ٢٨٨

١٢٠- من كلام له عليه السلام فى احتجاجه على الخوارج ٢٩١، ٢٩٢

١٢١- من كلام له عليه السلام فى التحكيم ٢٩٧، ٢٩٨

١٢٢- من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه فى ساعه الحرب ٣٠٠

١٢٣- من كلام له عليه السلام فى توبيخ أصحابه و وصفهم بالجبن؛ و حثهم على الجرأه و التقم ٣٠٤

ص: ٣٠٩

فهرس الموضوعات (١)

القول فى عصمه الأنبياء و فيه ثلاثه فصول: ٧-٢١

الفصل الأول فى حال الأنبياء قبل البعثه ٨-١٠

الفصل الثانى فى عصمه الأنبياء زمن النبوه فى أفعالهم و تروكهم عدا ما يتعلق بتبليغ الوحى و الفتوى فى الأحكام ١١-١٨

الفصل الثالث فى خطئهم فى التبليغ و الفتاوى ١٨-٢١

فصل فيما كان من أمر طلحه و الزبير عند قسم المال ٣٥-٤٣

فصل فى ذكر أمور غيبية أخبر بها الإمام ثم تحققت ٤٧-٥١

أقول مأثوره فى مدح الأناء و ذم العجله ٨٧-٨٦

فصل فى مدح قله الكلام و ذم كثرته ٨٧-٩٣

هزيمه مروان بن محمد فى موقعه الزاب ثم مقتله بعد ذلك ١٢١-١٢٣

شعر عبد الله بن عمرو العبلى فى رثاء قومه ١٢٣-١٢٤

أنفه ابن مسلمه بن عبد الملك ١٢٤

مما قيل من الشعر فى التحريض على قتل بنى أميه ١٢٥-١٢٨

أخبار متفرقه فى انتقال الملك من بنى أميه إلى بنى العباس ١٢٨-١٦٦

فصل فى التقسيم و ما ورد فى ذلك من الكلام ١٨٤-١٨٦

فصل فى الكلام على الالتفات ١٩٦-١٩٧

موازنه بين كلام الإمام على و خطب ابن نباته ٢١١-٢١٦

فصل فى التخلص و سياق كلام للشعراء فيه ٢٣٩-٢٤١

فصل فى الاستطراد و إيراد شواهد للشعراء فيه ٢٤١-٢٤٥

١-*) و هي الموضوعات الواردة في كتاب شرح نهج البلاغه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩